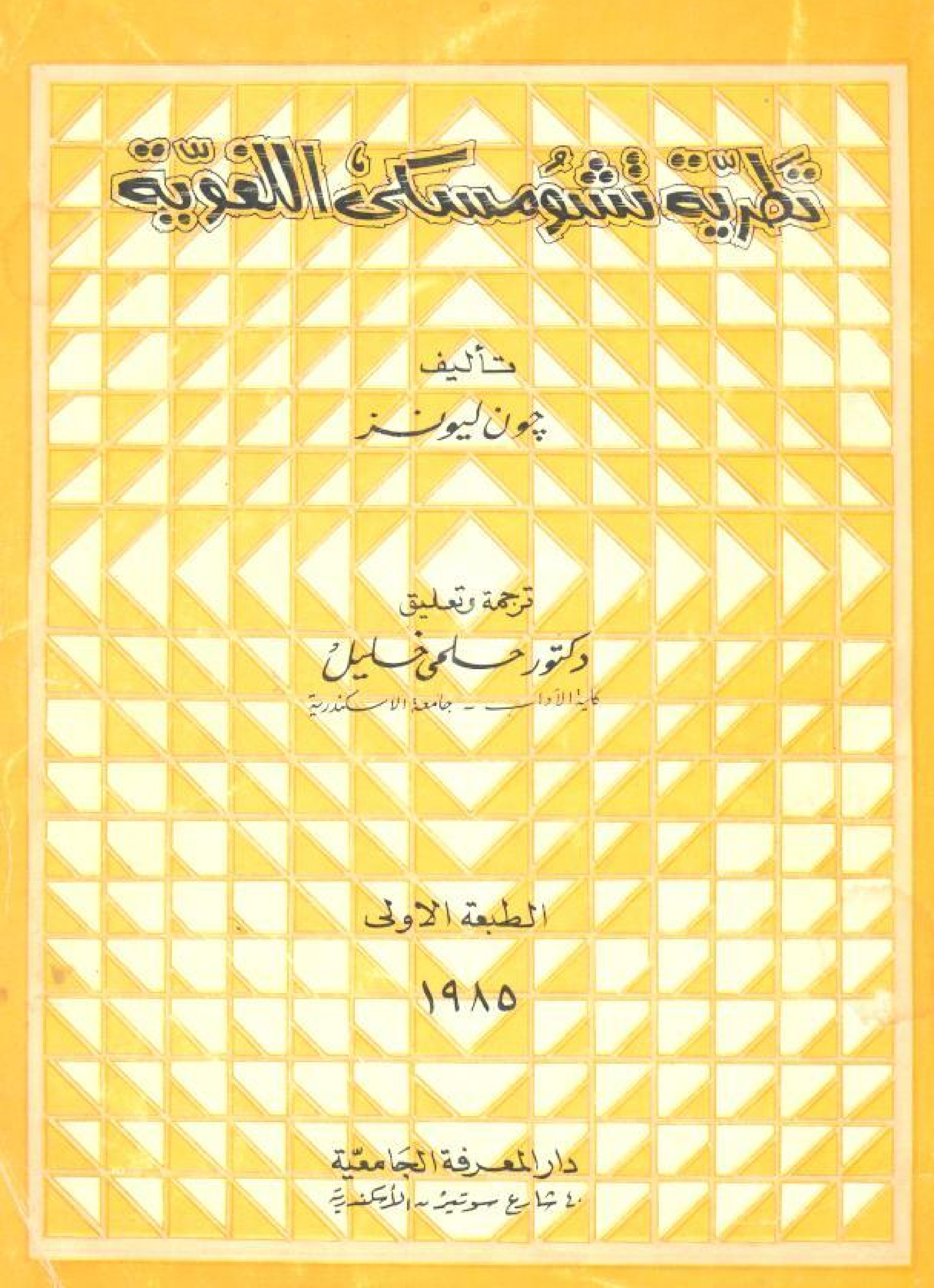


نظرية تشومسكي اللغوية

تأليف

جون ليونز

ترجمة وتعليق

دكتور حلمي خليل

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الطبعة الاولى

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الاسكندرية



تأليف

جون ليونز

ترجمة وتعليق

دكتور حلمي خليل

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

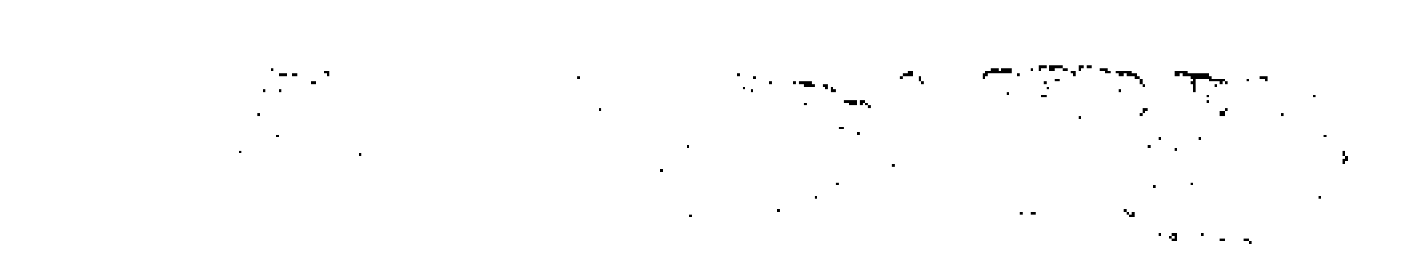
الطبعة الاولى

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الاسكندرية





(مقدمـــة المترجـــم)

لا أقصد بهذه الترجمة أن أدعو الى نظرية ، أو أروج لمذهب وانما هى محاولة لمعرفة نظرية علمية أثرت فى الفكر اللغوى الانسانى منــذ أكثر من ربع قرن ، ومازال أثرها واضحا حتى اليوم فى دراسات وأبحاث علماء اللغة المعاصرين ، حتى قيل ان أية نظرية لغوية لايمكن أن تتجاهل نظرية تشومسكى ، بل ان مكانة أى نظرية وانجازها فى حقل الدراسات اللغوية المعاصرة يتحدد بمدى صلتها بنظرية تشومسكى ، قربا وبعدا أو نقدا وتعديلا .

كما لا أحب لأحد أن يفهم أننى أدعو بهذه الترجمة الى أن ندير ظهورنا أو نغلق عقولنا عما تركه السلف من علماء العربية القدمـــاء فى درس اللغة بعامة والعربية بخاصة . وانما ما أدعو اليه بهذه الترجمة هو أولا المعرفة العلمية بالتراث اللغوى العربى ، ثم بالتطورات العلمية التى حدثت فى دراسة اللغة فى عالمنا المعاصر منذ مطلع هذا القرن وحتى اليـــوم .

وهى دعوة سبقنى اليها علمـــاء وأساتذة من الجامعـــة ومن غير الجامعة ، بل لقد امتدت هذه الدعوة حتى وصلت الى الصحف والمجلات فىمصر والعالم العربى فيما يعرف بقضية الأصالة والمعاصرة أو التراث والحداثة حيث نجد دائما وأبدا طرفين يتنازعان .

طرف منهما يجزع من الثقافة الأوروبية الحديثة ويعدهـــا ثقافة دخيلة تستهدف التسلط والسيطرة ومسخ هويتنا الحضارية ومـــن ثم يلوذ بالتراث العربى الخالص ، يحتمى به من شر هذا الغزو الفكرى ولا يرضى بغيره بديلا حتى أن الكاتب منهم يكتب ويفكر كأننا مازلنـــا نعيش فى القرن الثانى أو الثالث بعد الهجرة .

أما الطرف الآخر فيفرح بالثقافة الوافدة ويتحو باللائمة على التراث العربي ، يرى فيه كل أسباب التخلف والتدهور ولايرى خلاصا الا أن نتبنى هذه الثقافة الوافدة .

وبين هذين الطرفين قد نجد صنوفا شتى من الأمزجة كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود (١) تأخذ بطرف من هنا وطرف من هناك بنسب متفاوتة ، فمنهم من يقبل الغرب كله والتراث كله ، ويحسب أن الجمع بينهما أمر ممكن ، ومنهم من يقبل الغرب كله ، وبعض التراث دون بعض ، ومنهم من يقبل التراث كله وبعض الغرب دون بعض ، ومنهم من يجري تعديلا في التراث وفي الغرب معا ، ومنهم من يكاد يرفض الجانبين معا ، فلا هو تعلم شيئا من التراث العربي ليعرفه ولا هو يرضى بقبول الثقافة الوافدة خشية أن يقال عنه انه من توابع الاستعمار ومن دعاة الغزو الثقافي ، وأمثال هؤلاء جميعا تراهم بكثرة منذ مطلع النهضة الحديثة في مصر وحتى اليوم بين كتاب الأدب ونقاده وعلماء اللغة والفلاسفة والمؤرخين والمفكرين . بل لعلنا قد نجد أصداء لمثل هذا في التراث العربي القديم في الصراع بين الثقافة العربية الخالصة والثقافات الوافدة التي أخذت تتسرب اليها على يد العلماء من غير العرب .

وفي ظني أن جماع الأمر كله يعود الى الفهم والتمثل لحقائق التراث العربي وأصوله وحقائق الثقافة الغربية وأصولها ، ومن البداهة أن لا معاصرة دون أصالة ، ولا أصالة دون معاصرة فاعلة ومتفاعلة .

وأمر اللغة في هذا كله — ان درسا أو استعمالا — هو حجر الزاوية الآن النهضة اللغوية هي في حقيقتها نوع من النهضة الشاملة ، لأن اللغة هي الفكر ، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك .

---

(١) راجع ، تجديد الفكر العربي ، ص ٢٨٨ — ٢٩٢ .

وقد تغيرت العربية عما كانت عليه قديما وهو تغير أوضح من أن ندل عليه ، ولكن هذا التغير لم يواكبه تغير فى درس العربية ، فكيف تتغير العربية ولا يتغير درسها ؟!

ان فهم التراث اللغوى العربى وتمثله يضع بين أيدينا بعض أسس هذا التغير فى درس العربية . يقول الزجاجى (ت ٣٣٧ هـ) فى كتابه « الايضاح فى علل النحو » .

« ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد — رحمه الله — سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو ، فقيل له : أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال الخليل : ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام فى عقولها علله [1] وان لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه ، فان أكن أصبت العلة ، فهو الذى التمسته وان تكن هناك علة له ، فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها قال انما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، الا أن ذلك الذى ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة ذلك .

فان سنح لغيرى علة لما عللته من النحو هى أليق مما ذكرته بالمعلول

---

(١) لعل ذلك ماقصده أستاذنا المرحوم الدكتور حسن عون بمصطلح النحو الفنى فى مقابل مصطلح النحو العلمى الذى يخضع لأصول ومصطلحات ، انظر اللغة والنحو ، ص ٧٨ .

فليأت بها (١) .

ثم يعلق الزجاجي على ذلك قائلا « وهذا كلام مستقيم وانصاف من الخليل رحمة الله عليه » (٢) .

على هذا النحو من الموضوعية يفتح الخليل أمامنا بـاب الأخذ بأسباب العلم فى تجديد درس العربية والتعليل لها بغير العلل التى قال هو بها ، أو قال بها غيره من علماء العربية ، وهو مايبرهن عـلى أن القدماء لم يكونوا على هذه الدرجة من التعصب لما يقولون كما يتعصب له بعض المعاصرين .

ولكن قبل أن نرفض أو نقبل لابد لنـا أولا من الفهـم والتمثل يستوى فى ذلك ما نقبله أو نرفضه من التراث أو نظريات وآراء علماء اللغة المعاصرين .

ومع ذلك فلابد أن نعترف أن مناهـج البحث اللغـوى الحديث والمعاصر قد بلغت من الدقة والموضوعية والعلمية والشمول مـا يفتح أمامنا آفاقا واسعة فى درس العربية ، ولنـا فى صنيع القدمـاء أسـوة حسنة ، فقد استعان القدماء فى درسها بعلل الفقهاء والمتكلمين بل والمناطقة ولا جناح عليهم فيما فعلوا فقد أرسوا مبادىء وأقاموا أصـولا وبقى أن نحاول بعض ماحاولوا . وفى كلام الخليل ما يؤكد ذلك لأن اختلاف العلة أو تعدد النماذج التحليلية للغة لا يلغى أحدها الآخر كما لا يخطئه أيضا وانما هو اختلاف فى النظر يرجع الى اختـلاف الأسـس العلمية والمنهجية التى يبنى عليها اللغويون أعمالهم ، ثم كفاءة هـذه النماذج للشروط العلمية التى استقر عليها البحث العلمى .

---

(١) الايضاح ، ص ٦٥ — ٦٦ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ففى التراث العربى عاش النموذج البصرى بجوار النموذج الكوفى ولم يلغه وان كان الأول قد شاع وذاع ربما لأسباب غير علميــة أو لغوية • وكل ماكان بينهما هو اختلاف حول مسائل تقل أو تكثر نتيجة لاختلاف فى تطبيق الأصول ومن هنا كان كتاب « الانصاف فى مسائــل الخلاف » لأبى سعيد الانبارى (ت ٥٧٧ هـ) أوضح دليل على الخلاف لا المعارضة التى تؤدى الى النفى والخطأ •

من هذا الأصل القديم والتصور الحديث للبحث اللغــوى نقــدم للقارىء العربى هذه الترجمة عن نظرية تشومسكى اللغوية من حيث هى نموذج لتحليل وفهم وتفسير ووصف اللغة ، وهى ترجمة أرجو أن تسد نقصا فى هذا الباب فى المكتبة العربية ولا أقول أنها تغنى عــن الكتب الأصول التى وضعها هذا العالم وانما قد تعين هذه الترجمة على ترجمة الأصول اذا ما حاول أحد أن يترجم بعض أعمال تشومسكى الأصيلة •

وقبل أن نعرف بالكتاب المترجم ومؤلفه ، وكذا عملى فى الترجمــة يحسن بنا أولا أن نتوقف قليلا عند صاحب هــذه النظرية أعنى نعــوم تشومسكى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس منذ أذاع نظريته هذه •

افرام نعوم تشومسكى يهــودى من مواليــد فلاديلفيا بولايــة بنسلفانيا فى السابع من ديسمبر عام ١٩٢٨ وفى هذه الولاية تلقى دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس علم اللغــة والرياضيات والفلسفة ، ومن هذه الجامعة حصل على درجة الدكتوراة فى عام ١٩٥٥ ، ولكنــه قام بمعظم أبحاثه ودراساته لاعداد رسالته فى جامعة هارفرد فى الفترة من عام ١٩٥١ الى عام ١٩٥٥ ثم عين مدرســا بعد حصوله على الدكتــوراة فى معهــد ماساتشوستس للتكنولوجيــا Massachusetts Institute of Technology ، ومنذ ذلك الحين ظل يترقى فى حياته العلمية حتى وصل الى كرسى الأستاذية فى علم اللغة واللغات الحديثة وهو متزوج وله ثلاثة أولاد ، ولد وبنتان •

وقد حصل تشومسكي على عدة درجات فخرية من جامعات ومعاهد مختلفة : ففي عام ١٩٦٧ حصل على درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة شيكاجو وفى العام نفسه حصل أيضا على مثل هذه الدرجة من جامعة لندن وفى عام ١٩٧٠ منحته جامعة دلهى درجة الدكتوراة الفخرية ثم حصل فى عام ١٩٧٣ على نفس الدرجة من جامعة مساتشوستس .

وهو عضو فى عدة جمعيات علمية لغوية وغير لغوية مثل الجمعية الامريكي للتقدم العلمى والاكاديمية القومية للعلوم الاكاديمية الامريكية للفنون والعلوم والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية وعضوا مراسلا للاكاديمية البريطانية .

كما عمل أستاذا زائرا فى عدة جامعات أمريكية وأوروبية مثل جامعة كولومبيا (١٩٥٧ — ١٩٥٨) وجامعة كاليفورنيا (١٩٦٦ — ١٩٦٧) وجامعة أكسفورد ولندن عام ١٩٦٩ وجامعة كمبردج عام ١٩٧١ .

وقد بدأ تشومسكي حياته العلمية قبل أن يحظى بشهرته الواسعة بدراسة مبادىء علم اللغة التاريخى على يد أبيه الذى كان عالما فى اللغة العبرية ثم حصل على درجة الماجستير فى هذه اللغة .

ولكن من الغريب حقا أن كل الذين كتبوا عن حياة تشومسكى أو نظريته يتجاهلون هذه الفترة من حياته العلمية ولا يتوقفون أمامها . فاللغة العبرية — كما نعلم هى احدى اللغات السامية ومن المعروف أن نحاة العبرية الذين عاشوا فى كنف المسلمين فى الأندلس مثل سعديا الفيومى ومروان بن الجناح قد أقاموا درسهم النحوى للغة العبرية

على طريقة الغرب ومنهجهم فى درس العربية (١) •

فهل اطلع تشومسكى على النحو العربى ودرسه كما اطلع على نحو العبرية ودرسه • لن نحتاج الى الترجيح أو الاستنتاج فهو يؤكد ذلك فى مقابلة له يقول « قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية ، ومازالت أذكـر دراستى للاجرومية (٢) منذ عدة سنوات خلت — أظن أكثر من ثلاثين عاما — وقد كنت أدرس هـذا مع الأستـاذ فرانز رونتـال •• وكنت وقتـذاك طالبا فى المرحلة الجامعية أدرس فى جامعة بنسلفانيـا ، وكنت مهتما بالتراث النحوى العربى والعبرى » (٣) •

والمستشرق روزنتال من المستشرقين الذين كانوا يعرفون العربية وآدابها (٤) ومعنى هذا أن تشومسكى كان وثيق الصلة فى شبابه باللغة العربية ونحوها كما كان وثيق الصلة باللغة العبرية — لغة قومه •

فهل أثرت تلك المعرفة بالتراث العربى فى تكوينه العلمى ومن ثم ظهرت آثارها بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى نظريته اللغوية ؟ تساؤل — لاشك — له مبرراته العلمية ومن ثم فهو خليق بالدراسة والبحث !

ومهما يكن من أمر فان تشومسكى لم يحقق شهرته الواسعـة الا

---

(١) راجع د • حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، ص ٩٤ — ٩٥ •

(٢) الأجرومية ، كتاب مختصر مشهور فى النحو العربى لابن أجروم الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى ويقال أن هذا الكتاب قـد نقل الى اللغة اللاتينية فى القرن السادس عشر الميلادى •

(٣) د مازن الوعر ، لقاء مـع نوام تشومسكى ، مجلـة اللسانيات ، جامعة الجزائر العدد السادس ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٧٢ •

(٤) من أهم آثاره : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ، وقد نقله الى العربية د• أنيس فريحة عام ١٩٦٣ وله دراسات حول أساليب التعليم فى الاسلام وغير ذلك • انظر ، نجيب العقيقى ، المستشرقون ٣/١٦٢ •

بعد أن ارتبط اسمه بنظرية النحو التحويلي والذى وجهه هذه الوجهة كلفه الشديد بدراسة المنطق الحديث والعلوم الرياضية .

ومن أهم الذين أثـروا فى حياته زيلج هـاريس Z .Hariss الذى كان يعمل أستاذا لعلم اللغة فى جامعة بنسلفانيا ، ومـن الغريب حقا أن تشومسكى دخـل ميدان عـلم اللغة عن طريـق السياسـة فقد كان يتعاطف مع آراء أستاذة السياسية وهو ما دفعه للالتحاق طالبا لدراسة علم اللغة .

ويبدو أن اهتمام تشـومسكى السياسى يرجع الى كونه ولد يهوديا فى مجتمع مسيحى وقد تكونت آراؤه السياسية مبكرا فيما عرف بالمجتمع اليهودى الثورى فى مدينة نيويورك وكعادة معظم الأقليات اليهوديـة كان يميل الى نزعات متطرفة فقد كان فوضويا ثم أصبح أشتراكيا ولكن شهرته السياسية جاءت من نقده اللاذع للسياسة الأمريكية الخارجية وخاصة ابان التورط الأمريكى فى فيتنام وهو يصدر فى هذا النقد عـن مقولة عامة ترى أن الحرب فى فيتنام هـى من قبيل جرائـم الحرب «War Crimes» وأنه ليس من حق الولايات المتحدة الأمريكية أن تملى على النـاس كيف يعيشـون وكيف يبنـون حياتهم السياسيـة والاجتماعية والاقتصادية (١) وواضح أن هذه النظرة ترجع الى أصول ليبرالية Liberal (٢) ولكنه فيما يتصل بالصراع العربى الاسرائيلى يصدر كتابا كاملا فى هذا الموضوع بعنوان « السلام فى الشرق الاوسط» Peace in the middle east والكتاب لاشك يحوى آراء تحتاج الى دراسة لن يتسع لها المقام هنا ، ولكنه بشكل عام يرجع الصراع العربى الاسرائيلى الى أسباب تاريخية خاصة بفلسطين وأسباب تاريخية أخرى خاصة باليهود ، وهو يرى أن الرأى العام الأوروبى والأمريكى عندما

---

1) Leiber, Justin, Noam chomsky, Yphilosophic overview P. 178.
2) Ibid p. 180.

يتعاطف مع الوجود الصيهوني فى فلسطين يخلط بين الأسباب التاريخية الخاصة باليهود فى أوروبا والأسباب التاريخية التى تراها الصهيونية فى فلسطين ، ففى أوروبا عانى اليهود من الأضطهاد النازى وغيره ، أما فى فلسطين فيدعى — طبعا — أن لهم وجوداً تاريخياً ويستند فى اثبات هذا الوجود الى أساطير التوراة ، وينتهى الى أن من حق العرب والصهاينة العيش معا فى سلام داخل فلسطين (١) •

وقد حاول بعض الباحثين دراسة الأصول الفكرية والسياسية والاجتماعية عند نعوم تشومسكى ومدى صلتها بحياته العلمية وخاصة فى ميدان علم اللغة ودراسة اللغات — حيث رأى أن هناك علاقة وثيقة بين تبنى تشومسكى للنظرة العقلية والفلسفية والنفسية فى دراسته العلمية وآرائه السياسية والاجتماعية (٢) •

ومهما يكن من أمر فقد أكسبته آراؤه السياسية شهرة واسعة بين عامة المثقفين بالاضافة الى شهرته العلمية بين علماء اللغة ودارسيها باعتباره واحدا من ألف عالم أثروا فى الحياة الانسانية فى القرن العشرين •

أما مؤلف الكتاب الذى بين أيدينا ترجمة فهو جون ليونز John Lyons أستاذ علم اللغة بجامعة سسيكس Sussex ولد عام ١٩٣٢ م فى

---

(١) حول آراء تشومسكى السياسية انظر :

1 — Chomsky, Peace in the middle east, New York 1974.

2 — ———— , American Power and the New Mandarins, New York, 1969.

3 — ————At war with Asia, New York, 1969.

Leiber, Justin, op. cit. pp. 178 - 183.

مانشستر بالملكة المتحدة وتلقى دراسته الأولى فى كليــة سانت بيد St. Bedés Collage وكلية المسيح Christ's Collage فى كمبردج ثــم عين بعد حصولة على درجاته العلمية محاضرا فى مدرسة الدراســات الشرقيةوالافريقية School oF Oriental and African Studie. فىلندن وذلك فى الفترة من عام ١٩٥٧ — ١٩٦١ ، كما حاضر فى جامعة كمبردج فى الفترة من عام ١٩٦١ — ١٩٦٤ ثم عين أستاذا لعلـم اللغة فى جامعـة أدنبره من عام ١٩٦٤ — ١٩٧٦ ومنــذ ذلك الحين وهو يشغــل منصب الأستاذية فى علم اللغة فى جامعة سسيكس •

وقد كتب عدة مقالات فى مجلة علم اللغة The Joural oF linguistics كما اشترك بمقالاته فى الملحق الادبى لجريدة التايمز اللندنية ،وقــد أصدر عدةكتب من أهمها«علم الدلالةالتركيبى» «Structural Semantics» فى عام ١٩٦٣ « وعلم اللغة النظرى » «Theoritical linguistic» عام ١٩٦٨ ولعل من أشهر كتبه التى يتداولها المتخصصون والدارسون لعلم اللغة فى مصر والعالم العربى كتابيــة « آفاق جــديدة فى علم اللغــة » «New Horizons in Linguistics» الذىصدر عام١٩٧٠«علم الدلالة» «Semantics» الذى صدر عام ١٩٧٧ وهو كتاب ضخم يقع فى مجلدين ويعد من أوسع الكتب وأشملها فى دراسة علم الدلالة •

أما الكتاب الذى بين أيدينا ترجمتهفهو الطبعة الثانية التى صدرت عام ١٩٧٧ وهى طبعة مزيدة ومنقحة عن الطبعــة الأولى التى صدرت عام ١٩٧٠ •

وترجع أهمية هذا الكتاب الى أن المؤلف قد عرض أصوله قبل نشره على تشومسكى فقرأها وأدخل عليها بعض التعديلات كما اتفق مع المؤلف فى كثير مما ذهب اليه فى شرحه للنظرية التحويلية ولكنه اختلف معــه أيضا فى جوانب أخرى يرى المؤلف أنها تمثل نقاط خــلاف بينه وبين تشومسكى وقد نبه عليها فى هوامش الكتاب وترجمناها فى مواضعها كما

أن القارىء لن يجد صعوبة فى العثور عليها فى متن الكتاب وخاصة فى الفصل الأخير منه ، كما يعد هذا الكتاب من الكتب التى عول عليهما كثير ممن كتبوا حول النظرية التحويلية باللغة العربية .

ويقع الكتاب فى عشرة فصول وخاتمة وثلاثة ملاحق ، أما الفصل الأول فهو بمثابة مقدمة الكتاب ، حاول المؤلف فيه أن يلقى الضوء على الأصول الفلسفية والعلمية التى أقام عليها تشومسكى نظريته اللغوية وصلتها باللغة كظاهرة انسانية وبعلم اللغة وتطوره .

أما الفصل الثانى فقد خصصه المؤلف للتعريف بعلم اللغة الحديث والفرق بينه وبين الدراسات اللغوية التقليدية ، ثم بين الأصول العلمية والتحليلية التى يقوم عليها علم اللغة الحديث ، كما بين أهم الخصائص التى تنفرد بها اللغة الانسانية عن أى وسيلة اتصال أخرى ، كما شرح وجهة نظر تشومسكى وآراءه فى ماهية اللغة الانسانية وحقيقتها .

أما الفصل الثالثفقد خصصه لدراسة مدرسة بلومفيلد التى تلقى تشومسكى دراسته الأولى على يد واحد من زعمائها هو زيلج هاريس وبعد أن بين أصول المذهبالسلوكى فى دراسة اللغة كما تمثله مدرسة بلومفيلد أخذ فى شرح وجهة تشومسكى وهجومه على هذه المدرسة ورفضه لها ولكى يبين الأصول العامة التى يستند اليها تشومسكى فى هجومه هذا على السلوكيين انتقل فى الفصل الرابع من الكتاب الى أهداف النظرية اللغوية عند تشومسكى مبنيا أصولها ومنهجها فى التحليل اللغوى ، وخاصة فى دعوة تشومسكى الى التخلى عن فكرة الاجراءات الكشفية التى نادى بها البلومفيلديون ورأى استبدالها بوضع نظرية تؤدى الى الكشف عن طبيعة النظام اللغوى وماهيته .

أما فى الفصل الخامس فقد بدأ فى عرض صورة مبسطة للنظرية التحويلية وخصص هذا الفصل لعرض النموذج الأول الذى قدمه

تشومسكي للتحليل اللغوى ، وهو النمـوذج المعروف باسـم القواعد النحوية المحددة Finite state grammar والذى يقوم على مبـدأ يرى أن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات للكلمات داخل الجملة بحيث يؤدى الاختيار الأول الى عدة اختيارات أخرى بعضها اجبارى وبعضها اختيارى ، وقد قدم أمثلة تحليلية ورسوم بيانية لكى يوضح ذلك .

أما الفصل السادس فقد أفرده لدراسـة النموذج الثـانى من النماذج الثلاثة التى قدمها تشومسكى للتحليل النحوى هو والنموذج المعروف باسم قواعد تركيب أركان الجملة Phrase stucture grammar وفى هذا الفصل يبين المؤلف كيف اكتشف تشومسكى أن النموذج الأول غير كاف لتحليل بعض الجمل وخاصة الجمل الغامضة التركيب ، ولذلك أدخل تعديلا على النموذج الاول انتهى به الى النموذج الثانى الذى خصص له المؤلف هذا الفصل حيث تناوله بالشرح والتحليل .

أما الفصل السابع فقد خصصه للصورة النهائية أوللنموذج النهائى الذى ارتضاه تشومسكى فى التحليل النحوى ، وهو النموذج التحويلى، وفى هذا الفصل يشرح المؤلف شرحا دقيقا ، القواعد التحويليـة التى وضعها تشومسكى ويطبقها على أمثلة من اللغة الانجليزية وخاصـة فى علاقة هذه القواعد بالنموذجين السابقين وبالتحليل اللغوى عند مدرسة بلومفيلد .

أما الفصل الثامن فقد خصصه المؤلف لدراسة التطورات المعاصرة لنظرية تشومسكى اللغوية ، وهو يلخص هذه التطـورات التى حدثت على النظرية الأصلية بأنها عبارة عن فروض علميـة مضادة لنظريـة تشومسكى ، ويرصد أهم هذه التطورات فى نظريـة الحالة النحويـة Case grammer وغيرها من النظريات التى أذاعها بعض تلاميـذ تشومسكى ومساعديه .

أما الفصل التاسع فقد خصصه للأصول النفسية للنحو التحويلي وهو يعزو هذه الأصول الى اهتمام تشومسكي بالعمليات العقلية المرتبطة باللغة ومحاولته ادماج علم اللغة مع علم النفس نظرا للنتائج العملية الهامة التي سيسفر عنهـا هذا الاندماج وأثــره في دراسة علم اللغة ومناهجه ثم يتوقف طويلا أمام الأصول التي استمد منهـا تشومسكي آراءه النفسية والعقلية •

أما الفصل العاشر والأخير فقد خصصه لدراسة الجانب الفلسفي في النحو التحويلي ، حيث يرى تشومسكي أن علم اللغة قادر على أن يسهم اسهاما حقيقيا في دراسة ومعرفة طبيعة العقل البشري ، ويبين المؤلف الأصول التي استقى منها تشومسكي نظرته تلك ويحددهـا في مبادىء بعضها يتصل بطبيعة العقل الانساني وخصائصه الفطرية كما عبر عنها ديكارت وبعضها يتصل بمبادىء ابتكرها تشومسكي تقوم على هذه المقولات الديكارتية في علم اللغة •

أما الخاتمة فقد خصصها المؤلف لشرح أهم الخصائص التي تميز اللغة الانسانية عن لغة الحيوان بما لها من صلة بنظرية تشومسكي •

وقد زود المؤلف هذه الطبعة من الكتاب بثلاثة ملاحق بالاضافــة الى قائمتين احداهما خاصة بمؤلفات تشومسكي والأخرى خاصة بمــا كتب حول النظرية التحويلية سواء من مؤيديها أو معارضيها •

أما الملحق الأول فهو عبارة عن دراسة علمية لمـا يسمى في عــلم اللغة المعاصر باللغات المنطقية أو الصورية formal languages والفرق بينها وبين اللغات الطبيعية natural languages وعلاقتهما بالقواعد النحوية المنطقيــة formal grammar حيــث تناول المؤلــف بعض المصطلحات الأساسية في عــلم اللغة من وجهــة نظر المنطق الرمــزي وتحليلاته ومدى انطباق هذا التحليل على اللغات الطبيعية ، ولم أترجم

هذا الملحق وانما استفدت منه فى التطبيق على ماذكره المؤلف عن الصلة بين اللغات المنطقية والطبيعية عند تشومسكى وسيرى القـارىء ذلك فى مواضعه من هذه الترجمة • ومثل ذلك فعلت أيضا فى الملحق الثانى الذى تناول فيه المؤلف تعديل تشومسكى لبعض آرائه والأسباب التى دعته لذلك •

أما الملحق الخاص بترجمة حياة تشومسكى فقد ترجمته واستفدت منه وضعته فى هذه المقدمة على نحو ما رأى القارىء فيما سلف ، وأما قائمة مؤلفاته وما كتب حوله فقد تركتهما لمن يريد مزيدا من التوسـع والاطلاع حول آراء تشومسكى واستبدلت بها قائمة آخرى بمـا كتب حول تشومسكى باللغة العربية وهى قائمـة متواضعة ولكـن لاشك فى فائدتها لمن لايحسن القراءة باللغات الأجنبية ويريد معرفة المزيد عن هذه النظرية باللغة العربية ، كما زودت الترجمة بقائمة بالمصطلحات العلمية فذكرت المصطلـح الأجنبى ومقابله العـربى • ومعظم هـذه المصطلحات جديد لم يسبق وضعها باللغة العربية •

وقد حاولت فى هذه الترجمة — قدر طاقتى — أن ألتزم الدقة فى نقل لغة المؤلف وألا أتدخل كثيرا فى عباراته وأمثلته بالحذف أو التغيير، كما أبقيت على الأمثلة التى استشهد بها المؤلف من اللغة الانجليزيـة وهى أمثلة واضحة وبسيطة يعرفها المبتدىء فى هذه اللغة ، فضلا عـن أن ترجمتها قد تؤدى الى لبس ولكننى استعضت عنها بأمثلة من اللغة العربية وضعتها فى هامش الترجمة كأمثلة تطبيقية على ما استشهد به المؤلف ، كما زودت هوامش الكتاب بتعليقات توضح بعض الظواهـر النحوية التى تناولها بعض علماء العربية القدماء من النحاة واللغويـين والتى قد تساعد على فهم بعض الجوانب التحليلية فى نظرية تشومسكى •

ولا يفوتنى فى ختام هذه المقدمة أن أتقدم بجزيل شكرى وعرفانى

للصديق الدكتور سعد مصلوح الذى تفضل بقراءة أصول هذه الترجمة وأبدى آراء استفدت منهـا فى ترجمة وتفسـير بعض المصطلحـات والعبارات •

والله من وراء القصد هو نعم المولى ونعم النصير

المترجـم

حلمى خليـل

الاسكندرية فى مايو ١٩٨٥

مقدمــة الطبعة الأولى للمؤلف

من الواجب على أن أبدا أولا بتسجيل عميق شكري وإمتناني لنعوم تشومسكي على تفضله بقراءة أصول هذا الكتاب والتعليق عليهـا بتعليقات قيمة • والحقيقة أن تشومسكي كان قد قرأ هذه الأصول مرة قبل ذلك وأدخل عليها بعض التعديلات في مواضع عـدة • ولا أشك في أن هذه الاستدراكات قد أضافت قدرا لا بأس به من الوضوح ، كمـا بينت أيضا جانبا من آراء تشومسكي حول علم اللغة وفلسفتهـا بحيث يمكن الاعتماد عليها في هذا الصدد •

وقد اتفق تشومسكي معي أحيانا فيما ذهبت اليه من آراء حول نظريته وخاصة في الفصل الأخير من الكتاب غير أن هناك آراء أخرى لم يوافق عليها ، وهي تمثل نقاط خلاف بيني وبينه ، ولن يجد القارىء صعوبة في العثور عليها فهي واضحة سواء في نص الكتاب نفسه أو من الملاحظات التي وضعتها في حاشية الكتاب •

ولعل من أهم أهداف هذا الكتاب احاطة القارىء بقدر كاف مـن المعلومات التاريخية والفنية ، لكي يصبح قادرا بعد ذلك على الاطـلاع بنفسه على مؤلفات تشومسكي وأعماله ، ولذا حرصت على أن تكـون فصول معينة من الكتاب واضحة العبارة سهلة التناول ، لأنني على يقين من صعوبة فهم الأثر الذي أحدثه تشومسكي أو تقديره في عـدد من المناهج العملية دون التعرض لبعض التفاصيل اللعمية والفنيـة التي تناولتها مناهج سبقته في دراسة اللغة وتأثر بها •

وقـد تكرم كـل من ج • ك مرشال J.C.Marshall و ب • ماتيوز P. H. Matthews بقراءة أصول هذا الكتاب ، كمـا أضفت

بعض التعديلات فى مراجعتى النهائية له بناء على تعليقاتهما القيمة ، ولذا فأنا مدين لهما بالكثير لتعاونهما الصادق .

وأخيرا ، لعلى لست فى حاجة الى القول بأننى وحدى المسئول عما يكون قد تبقى من أخطاء او نقص فى هذا الكتاب .

ج.ل

مقدمة الطبعة الثانية للمؤلف (١)

عند اعداد هذه الطبعة من الكتاب — وهى طبعة مزيدة ومنقحة — تركت الفصول السبعة الأولى منه دون أى تغير يذكر ، الا من بعض الأخطاء المطبعية التى أصلحتها ، وكذا أخطاء أخرى هينة تداركتها ، ولكننى أعدت صياغة المقدمة تقريبا باضافة بعض التفصيلات وتغيير لبعض العبارات ، كما وضعت ملاحظة أو ملاحظتين فى الحاشية لكى ألفت نظر القارىء الى ملاحق الكتاب (٢) .

أما الفصل الثامن ، فقد توسعت فيه بحيث أمتد فى هذه الطبعة فأصبح يشمل الفصول من التاسع الى الحادى عشر بما أضفت اليه من موضوعات تتصل بالتغيرات والتطورات التى طرأت فى مجال النحو التوليدى generative grammar منذ الستينات بحيث أصبح فى هذه الطبعة شيئا جديدا كلية ، وقد أدهشنى — وهو ما لم أتوقعه فى بداية الأمر — أن الكتاب قد لقى قبولا واسعا ، وشاع استعماله فى محيط طلاب علم اللغة وبناء على ذلك ، تصورت أنه من المفيد أن يحتوى الكتاب على ملحق يضم عرضا شبه منهجى Semi - formal للمذهب الصورى formalism الذى يقوم عليه نظام النحو التوليدى عند تشومسكى ، كما أضفت أيضا تعليقات لاتقل أهمية عن ذلك — غير أنها تتسم بنوع من الحذر — عن العلاقة المعقدة التى تربط بين النظم المختلفة للنحو التوليدى وبين اللغات الطبيعية natural languages (٣)

---

(١) وهى الطبعة التى بين يدى القارىء ترجمتها (المترجم)

(٢) انظر مقدمة الترجمة .

(٣) مصطلح اللغات الطبيعية natural Languages يتقابل فى علم اللغة مع مصطلح آخر هو اللغات المنطقية formal languages ويقصدون بالمصطلح الأول اللغات التى نشأت طبيعية على ألسنة

وأنا على ثقة من أن القارىء ذا العقلية الرياضية سليغفر لى العـذر فى الاحجام عن التعمق فى الجانب المنطقى فى هذا الملحق كما كان يتوقع فاذا شعر بعد قراءته بأنه لم يرتو بعد فسوف يجد ما يروى ظماه فيما ذكرته من مراجع للتوسع فى القراءة وخاصة اذا كان يسعى الى الاطلاع على الجانب الأكثر تعقيدا وفنية من أعمال تشومسكى •

= البشر وفى مجتمعاتهم كظاهرة اجتماعية وهى لغات فى ظاهرهـا مختلفة من حيث بنية المفردات وتراكيب الجمل ولكنها فى الحقيقة تحتوى على أصول عامة أو كلية تجمع بينهما مثل : ثنائية التركيب، المقطعية ،العلاقة الاعتباطية بين اللفظ والدلالة ، التركيب •••الخ وهى فى اشتراكها فى مثل هذه الأصول أو غيرهـا تشبه اللغات المنطقية أو الرياضية التى يقوم العلماء بوضعها وضعـا منطقيا علميا وبناء على ذلك يرى علماء اللغة المعاصرون أننا نستطيع أن نتخذ من اللغات المنطقية formal language نموذجا مثاليا للغـة الطبيعية ومعنى هذا أن اللغة المنطقية أو اللغة المصطنعة antifichial قائمة على أساس من اللغة الطبيعية ولكنها أعنى المنطقية لاتحتاج الى التعريفات الغامضة التى قد تحتـوى عليها قواعـد اللغات الطبيعية مثل تعريف الكلمة أو الجملة أو الحرف أو غـير ذلك من أقسام الكلام فهى تتحول فى اللغة المنطقية الى رمـوز رياضية امعانا فى الدقة العلمية والصرامة المنهجية فضلا عن أن اللغـات المنطقية تتجاهل أحيانا المعنى أو التفسير الـدلالى للتراكيـب وأحيانا تعطى للرموز الرياضية التى تستعملها معانى ترمز بها الى الدلالة اللغوية ولكن فى نطاق فكرة التجريد التى تضعها نصـب عينيهـا •

وقد لجأ علماء اللغة المعاصرون لهذا النمط من اللغـة المنطقية لخلق نموذج تجريدى لكل أنواع نظـم الاتصال الأخرى بحيث يمكن وضع هذا النموذج ازاء أى لغة طبيعية تستعمل فعـلا أو ازاء أ ى لغة قد تستعمل فى المستقبل ولانعرفها الآن وهو منحى =

أما الملحق الثاني فقد كرسته لكي أصحح به ما قـد يراه البعض نوعا من عدم التوازن ، ولا أقول نوعـا من التحيـز ، في تقديمـي لتشومسكي كعلم من أعلام الفكر اللغوي المعاصر وبصورة علمة فقد كنت مترددا في عرض تقويمي الخاص لأعمال تشومسكي وتقديمـه غير أنني تبينت الآن أن هناك اختلافا أقل مما كنت أتصور بين آرائه الآن وآرائه القديمة ، يدل على ذلك ما يصرح به أحيانا وما ينشره من آثار وخاصة في الطبعة الجديدة من كتابة « التركيب المنطقي للنظرية اللغوية»
« The Logical Structure of Linguistic Theory»
والتي أشرت لها في هذا الملحق .

كما تصورت أيضا أنه من المناسب أن يتضمن هذا الملحق — ولو بصورة مختصرة — مـاوجهه دل هيمز Dell Hymes من نقـد في عرضه للطبعة الأولى من كتابي هذا ، ذلك العرض الذي يتسم بالدقة والافاضة والعمق ، وأنا اذ أفعل ذلك أتقدم بعمـق شكري وعرفاني

= من التجريد المنطقي كما نرى يشبه القضايا المنطقية أو الرياضية حيث تتمثل الصورية والضبط في أجلى معانيها يضـاف الى ذلك أن فكرة الشمول أو الكلية المقصودة من بناء هذه اللغات المنطقية معناها أن اللغوي لايريد أن يحصر نفسه في النظر الجزئي للظواهر التي يدرسها من حيث هي ظواهر جزئية أو من حيث ارتباطها بلغة معينة ولذلك فهو يعتمد على مبدأ الحتمية كما يتجلى في العلـوم الرياضية والمنطقية من حيث صدق الجزء على الكل وكذلك عـلى فكرة التجريد أي الاعتماد على الثوابت التي تظهر من خـلال المتغيرات وهذان المبدءان أعني الحتميـة والتجريد همـا اللذان يحققان فكرة الشمول أو الكلية التي نراها في المنطق والرياضيات. وسترى خلال هذا الكتاب كيف استطاع تشومسكي أن يستغل هذه الجوانب المنطقية والرياضية في بناء أصوله النظرية وهو في هذا متأثر بالمنطق الرمزي الى حد بعيد . (المترجم).

لعالم يعرف عن هذا الموضوع ـ فى تقديرى ـ أكثر مما أعرف ، ولكن لأسباب يعرفها هو جيدا رأى فى كتابى الضئيل الطموح هذا ما يستحق التعليق المستفيض •

والحق أننى قد تعلمت الكثير من عرضه القيم للكتاب ، خاصة فى ذلك المواضع التى اختلفت آراؤنا حولها ، ومن ثم فأنا أوصى بالاطلاع على هذا العرض لمن يريد أن يعرف المزيد عن علم اللغة الأمريكى أو الحياة العلمية الأمريكية واتجاهاتها فى الستينات من هذا القرن حينما ظهر تشومسكى عالما ومفكرا سياسيا له نشاط واسع وأنا أعترف أن ما ذكرته فى هذا الملحق من مقال دل هميز Dell Hymes يعد قليلا ، نظرا لحجم الكتاب ولذا ينبغى على غير الأمريكى أن يطلع عليه وأن كنت أرى أن آراء تشومسكى السياسية انما تقدم الجانب الانسانى منه ، أما نظريته اللغوية فهى التى صنعت منه علما من أعلام الفكر اللغوى المعاصر •

سسكس فى مارس ١٩٧٧ — ج•ل

الفصل الأول

مقـــدمـــة

يحتل نعوم تشومسكى مكانة فريدة فى علم اللغة المعاصر ، بـــل لعل أحدا من علماء اللغة لم يتمتع بتلك المكانة من قبل فى تاريخ هـــذا العلم . وقد نشر تشومسكى كتابه الأول عام ١٩٥٧ وكان كتابا ضئيل الحجم مقتضبا وكانت أفكاره غير مقيدة بالتناول العلمى والفنى لقضايا هذا العلم الى حد ما ، ومع ذلك فقد كان الكتاب ثورة فى الدراســـة العلمية للغة ظل تشومسكى بعدها يتحدث بسطوة منقطعة النظير فى كافة نواحى النظرية النحوية grammatical theory لسنوات طويلة .

ولا يعنى هذا — طبعا — أن جميع علماء اللغة بل الغالبية العظمى منهم قد قبلت نظرية النحو Theory of trans - formational grammar التحويلى كما قدمها تشومسكى منذ حوالى عشرين عاما فى كتابه «التاركيب النحوية » Syntactic Sructures حيث كانت هناك مدارس لغوية مختلفة معروفة ومستقرة فى العالم قبل ثورة تشومسكى وأتباعـــه غير أن التحويليين trans - formationalists أو مدرســة تشومسكى لم تكن مجرد مدرسة عادية بين مدارس لغوية أخرى ، وسواء أكانوا على حق أم على باطل ، فان نظرية تشومسكى النحوية تعد بلا شك — أكثر النظريات اللغوية حيوية وتأثيرا بحيث لايستطيع أى عالم لغوى، يريد أن يساير التطور المعاصر فى علم اللغة أن يتجاهل وجود هذه النظرية بل لقد أصبحت كل مدرسة لغوية الآن تحدد موقفها وموقعها بالنظر الى آراء تشومسكى فى قضايا لغوية معينة .

وليست شهرة تشومسكى ومكانته بين علماء اللغة هى التى صنعت منه علما من أعلام الفكر المعاصر ، لأن علم اللغـــة النظرى يعـــد من العلوم غير المعروفة الا بين فئة قليلة منا لناس وكثير منهم لم يسمع به

بل هناك من لايعرف أى شىء عن هذا العلم واذا كان علم اللغة يعد الآن فرعا من فروع العلم المعروفة ، الجديرة بالاهتمام فان ذلك لايعود الى طبيعة هذا العلم وانما مرد ذلك الى علاقة علم اللغة ببعض العلوم الأخرى • ويرجع الفضل فى ذلك — الى حد كبير — الى ماقدمه نعوم تشومسكى لهذا العلم والدليل على ذلك احتشاد أكثر من ألف طالب وأستاذ لكى يستمعوا الى محاضراته فى فلسفة اللغة عندما حضر الى جامعة أكسفورد فى ربيع عام ١٩٦٩ وقليل من هؤلاء كانت له معرفة سابقة بعلم اللغة ، غير أننا نستطيع أن نفترض أنهم كانوا على درجة من الاقتناع بهذا العلم ، أو على الأقل على استعداد للاقتناع به ، ولذا رأوا أن الأمر يستحق أن يبذل من أجله الجهد العقلى الكافى لمتابعة مناقشات تشومسكى التى كانت تنحو نحوا علميا وفنيا خالصا ، كما إهتمت الصحف المحلية اهتماما واضحا بهذه المحاضرات أيضا •

وهنا قد يعجب القراء الذين لم يطلعوا بعد على مؤلفات تشومسكى وأعماله وقد يتساءلون عن العلاقة بين ميدان متخصص من الدراسة اللغوية العلمية مثل ميدان النحو التحويلى ، وعلوم معروفة وواضحة وهامة مثل : علم النفس أو الفلسفة • وهو تساؤل سنتولى الاجابة عنه بالتفصيل فى الفصول القادمة من هذا الكتاب ، غير أنه يستحق فى هذا المقام اجابة عامة وسريعة •

نحن نعلم أن أوضح ما يتميز به الانسان عن غيره من أنواع الحيوان هو قدرته على استخدام اللغة لا موهبة الذكاء أو التفكير كما قد يوحى بذلك مصطلح homo - Sapiens أى النوع الانسانى بوصفه كائنا حيا ، وهو مصطلح تقليدى يشيع استعماله فى علم الحيوان zoology حقا لقد خاض الفلاسفة وعلماء النفس فى جدل واسع عما اذا كان الفكر — كما يمكن أن تصوره هذه الكلمة — يتجسد فى الكلام أم فى الكتابة ، وسواء أكان هذا صحيحا أم غير صحيح فالذى لاشك فيه هو أن للغة أهمية حيوية فى كافة أنواع النشاط الانسانى وأنه بدون اللغة

لايتحقق معظم النشاط الانسانى بل قد لايتحقق أدنى نشاط للانسان فاذا سلمنا بأن اللغة — كما نعرفها — ذات أهميـة حيوية فى حيـاة الانسان على هذا النحو ، فمن الطبيعى اذن أن نتساءل عن الدور الذى تقوم به دراسة اللغة فى معرفة طبيعة الانسان وفهمها •

ولكن ما اللغة ؟ سـؤال قل من يفكر فيه من الناس ، ولاشك أننا نعرف بصورة عامة ماذا نقصد بكلمة اللغة حيث نعتمد فى تفسيرنا لها على نفس الطريقة التى نفسر بها دلالات الكلمات الأخرى فى أحاديثنا اليومية • ومع ذلك فهناك فرق واضح بين هذا اللون من المعرفة العامية غير الدقيقة وبين المعرفة الدقيقة أو الفهم المنهجى لماهية اللغـة ، أو بعبارة أخرى المعرفة العلمية بها ، وسنرى فى الفصول القادمة من هذا الكتاب أن من الأهداف التى يسعى اليها علم اللغة النظرى أن يضع بين أيدينا اجابة علمية عن سؤال مثل ما اللغة ؟ وبناء على تلك الاجابـة يستطيع هذا العلم أن يقدم للفلاسفة وعلمـاء النفس الدليـل العلمى الذى يمكنهم من وضع حدود واضحة فى مناقشاتهم حول ماهية العلاقة التى تربط بين اللغة والفكر •

وكما سنرى أيضا فان منهج تشومسكى فى النحو التوليدى قـد تطور بحيث أصبح يقدم وصفا رياضيا mathematical description دقيقا لبعض الملامح Features البارزة للغة • وفى هـذا الصدد تبرز أهمية خاصة لقدرة الأطفال على بناء جمل نحوية صحيحـة منظمـة واشتقاقها من خلال ما يسمعونه من آبائهم وممن حولهم مـن الناس بحيث يستغلون نفس القواعد المنتظمة التى يسمعونها فى بناء وتركيب جمل لم يسمعوا بها قط من قبل •

وقد ناقش تشومسكى فى كثير مما نشره من أعمال علمية الأصول العامة التى تحدد الطريقة التى تتكون بها القواعد النحوية فى لغـات بعينها مثل : الانجليزية والتركية والصينية والتى تتشابه الى حد ما فى

جميع اللغات الانسانية ، بل لقد زعم أن الأصول التى تحكم تركيب أى لغة هى عبارة عن قواعد محددة وعلى درجة كبيرة من الاتساق والتنظيم بحيث يمكن القول بأنها وثيقة الصلة بالناحية البيولوجية فى الانسان ، أى أنها تشكل وتكون جزءا مما نطلق عليه الطبيعة الانسانية كما تنتقل بالوراثة genetically من الآباء للأبناء .

فاذا كان الأمر على هذا النحو الذى يؤكده تشومسكى ، فمعنى هذا أن النحو التحويلى هو أفضل نظرية ظهرت حتى الآن لوصف تركيب اللغة الانسانية وتفسيرها بطريقة منهجية Systematic ومعنى هذا أيضا أن معرفة النحو التحويلى وفهمه يعد ضرورة أساسية لأى فيلسوف أو عالم نفس أو عالم أحياء يرغب فى دراسة قدرة الانسان اللغوية . ومن هنا تأتى أهمية أعمال تشومسكى ومكانتها بالنسبة لمناهج العلوم الأخرى غير علم اللغة، كما تظهر أيضا الأهمية الواضحة للغة فى كافة نواحى النشاط الانسانى ، خاصة فيما يتصل بتلك العلاقة الفريدة الجوهرية التى يقال انها تربط بين تركيب اللغة والخصائص الفطرية innate poperties للعمليات العقلية .

ولكن اللغة ليست نوعاً واحداً من أنواع السلوك الانسانى المعقد فهناك أنواع أخرى من النشاط الانسانى العادى مثل عملية الخلق الفنى يمكن أن تخضع للدراسة والوصف فى اطار نظم systems رياضية علمية خاصة ، أو ربما فى اطار نظام يقوم على مبادىء النحو التحويلى أيضا حيث تمثل نظرية تشومسكى النحوية نموذجا خاصا لكثير من العلماء فى حقل العلوم الاجتماعية والدراسات الانسانية يمكن العمل فى اطاره (١) .

---

(١) لعل من أهم الميادين التى اتخذت من نظريةتشومسكى نموذجا ومنطلقا للدراسات علمية ميدانا علم النفس وعلم الأسلوب . ففى علم النفس أصبحت نظرية تشومسكى منطلقا لكثير من العلماء

وهكذا يتضح لنا أن تأثير تشومسكي قد امتد لكثير من العلوم والمناهج المختلفة غير أن الثورة التشومسكية chomskyan revolution

---

= وخاصة فى دراسة الجوانب النفسية للغة الانسانية سواء من ناحية الاكتساب أو التعلم فهناك العديد من الدراسات فى علم النفس تطبق نظرية تشومسكي وتتخذ من مبادئه أساسا لها ، بل سنرى من خلال هذا الكتاب أن مصطلح علم اللغة النفسي يدين لهذه النظرية بوجودة اذ كان ذلك الفرع من الدراسة اللغوية يعرف من قبل باسم علم النفس اللغوى وغالبا ما ينفرد علماء النفس بالحديث فيه بل لقد انفرد فعلا علماء النفس بدراسة هذه الجانب من اللغة طوال القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن الحالى حينما ظهر تشومسكي بنظريته عن الملكة الفطرية عند الطفل فهدم كثيرا من النظريات القديمة القائمة على فكرة التلقين والتقليد فى اكتساب اللغة فى مراحل حياة الطفل الأولى •

أما فى ميدان الأسلوبية أو علم الأسلوب Stylistics فقد أضافت نظرية تشومسكي بعدا جديدا وعميقا الى الدراسات الأسلوبية • وهى تنطلق فى التحليل الأسلوبى من مفهوم خاص للأسلوب وهو أن الشاعر أو الكاتب يستخدم أنواعا معينة من التحويلات فى لغته وبخاصة التحويلات الاختيارية بحيث تصبح هذه التحويلات مميزاً أسلوبياً عنده ، لأن هذ الاختيار دون غيره وألحاح الكاتب أو الشاعر على استخدامة من بين مجموعة الطاقات التحويلية الكامنة فى النظام اللغوى انما هو أصلا استغلال لطاقات اللغة التى يستخدمها ولكن بتحولات معينه •

ويشير « أوهمان » فى مقال له عن « النحو التحويلى والأسلوب الأدبى » الى ثلاث خصائص تمتاز بها النظرية التحويلية فى دراسة الأسلوب وهى :

١ — ان الكثير من التحويلات ذات طابع اختيارى ، أى أن التركيب المستعمل يمكن تحويله الى عدة تراكيب على المستوى السطحى دون أن يحدث تغير هام فى دلالة هذا التركيب ومن =

قد انفردت بتأثير قوى وعميق فى دراسة اللغة حيث استمد تشومسكى معظم آرائه النفسية والفلسفية من الدراسات النحوية واللغوية المعاصرة

= هذه التحويلات تتكون مجموعة من البدائل التركيبه على المستوى الاسلوبى يمكن تتبعها .

٢ ـ العلاقة بين البنية السطحية والبنية العميقة فيما يتصل بالتراكيب التى يمكن استغلالها أسلوبيا وذلك فى التراكيب المحولة عن بنية عميقة واحدة ، حيث نجد أن هذه التراكيب تظل تحتفظ بعلاقتها بالتركيب العميق ، ومن ثم نستطيع أن نفسر كيف تتحول عدة تراكيب سطحية الى بدائل أسلوبية .

٣ ـ يختلف الكتاب والشعراء فى استخدام التراكيب المعقدة والغامضة كما وكيفا ، وتستطيع النظرية التحويلية أن تكشف عن علاقة مثل هذه التراكيب بالتركيب العميق ، لأن هذا الاختلاف فى نوع التعقيد أو درجة الغموض قائم على أساس من القواعد التحويلية التوليدية للغة .

ومعنى هذا أن النظرية التحويلية فى مجال الدراسة الأسلوبية لاتقف عند حدود وصف العبارات المستخدمة فعلا ، بل تقدم تفسيرا للقواعد اللغوية التى تتحكم فى الصياغة وكذلك مدى فهم المتلقى لها ، وبذلك تقدم النظرية التحويلية أداة للتحليل الأسلوبى يفسر العلاقة بين الابداع عند الأديب والابداع الذهنى عند المتلقى .

كما أسهمت هذه النظرية أيضا فى الدراسات العروضية بأبحاث ودراسات حول الوزن والايقاع فى الشعر فيما يعرف باسم « العروض التوليدى » «Generative Metrics» كما قدمت أبحاثا أخرى حول « الاستعارة » وكلها قد تؤدى الى تطور ضخم فى نطاق الدراسات الأدبية والنقدية اذا ما طبقت على نطاق واسع .

كما قام أيضا بعض اتباع تشومسكى بتطوير الدراسة الأسلوبية ونقلها من حدود الجمل الى آفاق النص الأدبى ذاته فيما يعرف =

سواء ما اتصل منها باللغة الانجليزية أو بغيرهـا من اللغـات ولذلك سنولى اهتماما خاصا فى هذا الكتاب للتراث اللغوى الذى استمد منـه تشومسكى أفكاره •

والحقيقة أن شهرة تشومسكى وشعبيته لا ترجع الى مـا أنجزه فى حقل علم اللغة أو الى أثره فى بعض مناهج العلـوم الأخرى فحسب وانما ترجع أيضا الى أنه أصبـح معروفا على نطاق واسـع باعتباره من أكثر الناس صراحة فى نقد السياسية الأمريكية فى فيتنام ، ومن ثم أصبح « بطل اليسار الجديد » «hero of the New left» فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد عرض نفسه من أجل ذلك لمتاعب جمة فقد رفض دفع نصف ضرائبه ، كما شجع وأيد الشباب الأمريكى الـذى رفض الخدمة العسكرية فى فيتنام ولاشك أن جانبا من شهرة تشومسكى ترجع الى هذا النشاط السياسى ، كمـا ترجع أيضا الـى مقالاته ومؤلفاتـه السياسية التى أدان فيها الاستعمـار الأمريكى وكـذا زمرة العلمـاء الأمريكيين الذين يعملـون مستشاريـن أكاديميين للحكومة الأمريكيـة باعتبارهم خبراء فى بعض الميادين العلمية مع أن الحياة العلمية منهم براء

= اليوم باسـم قواعد النص Text Grammer أو تحليـل النص Discourse Analysis وكلها نظريات معاصرة مازالت فى مرحلة المخاض ولكنها تبشر بنتائج هامة وخاصة فى نظرتها الكلية الشاملة التى تتميز بها نظرية تشومسكى عن أى نظرية لغوية أخرى •

ومن أهم الدراسات الأسلوبية التى اتخذت من هـذه النظرية منطلقا لها ، الدراسات التى قام بها عدد من العلمـاء والباحثين أمثال أوهمان R. Ohman وهندريكس O. Hendricks وفورن Thorne وفولر Fowler وغيرهم (انظر د • محمود عياد ، الأسلوبية الحديثة ، مجلة فصول المجـلد الأول العـدد الثانى ١٩٨١ ص ١٢٣ — ١٣٢) (المترجم)

اذ هي لاتعرف هذا اللون غير الأخلاقي مـن الخبرات وانمـا تقدم الجانب الأخلاقي أولا وقبل كل شيء .

ولأن مثل هؤلاء المستشارين كانوا يخدعون الرأى العام عما يجرى فى حرب فيتنام وعن التدخل الأمريكى فى كوبـا والقضايـا السياسية الأخرى ولذا كانت مؤلفات تشومسكى فى هذا المجال تلفت أنتباه الرأى العام (١) ومازال حتى اليوم من أشد المؤيدين للتغـيرات الاجتماعيـة والسياسية الثورية فى المؤسسات الأمريكية . وعلى الرغم من أن هـذا الكتاب يهتم أولا بآراء تشومسكى فى اللغة الا أننا نلفت النظر هنا الى أن نظرية تشومسكى اللغوية وفلسفته السياسية لاتنفصل احداهمـا عن الأخرى كما قد يبدو للوهلة الأولى ،وكما سيتضح أيضا من الفصول القادمة فى هذا الكتاب حيث سنجد أن تشومسكى من ألد أعداء عـلم النفس السلوكى أو المذهب السلوكى behaviourism الذى يرى أن جميع معتقدات الانسان ومعارفه وكذا طرق تفكيره وسلوكه وأفعاله سواء أكانت بسيطة أم مركبة يمكن تفسيرهـا من حيث هى عـادات Habits تقوم عـلى مبـدأ الشرط Conditioning بحيـث لا تختلف فى كيفتها أو نوعها عن الطريقة التى تتعلم بها الفئران فى معامل عـلم النفس حينما تريد أن تصل الى غذائها بدفع حاجز خـاص فى القفص الذى حبست فيه .

وكان أول هجوم قام به تشومسكى على المذهب السلوكى حينما

---

(١) حول آراء تشومسكى السياسية راجع مؤلفاته فى هذا المجال وهى:

1 - American Power and the New Mandarins, New York, 1970.

2 - For Reasons of State., New York, 1973.

3 - The Backroom Boys., New York, 1973.

4 - At war with Asia., New York, 1970.

5 - Peace in the Middle Eeast., New York, 1974.

عرض كتاب ب • ف سكينز B.F. Skinnes السلـــوك اللغـــوى Verbal Behavior عرضـــا مسهبا موثقـــا وكان ذلك فى عـــام ١٩٥٩ وفى هذا العرض ذهب تشومسكي الى أن المصطلحـــات العلمية الفخمة والاحصاءات المؤثرة التى يكسو بها السلوكيون دراساتهم ما هى الا لون من ألوان الخداع والتمويه يخفـــون به عجزهم عـــن تفسير الحقيقـــة البسيطة التى تقول ان اللغة ليست نمطا من العادات ، وأنهـــا تختلف جوهريا عن طرق الاتصال عند الحيوان •

وهذا الهجوم يشبه تماما ما كتبه تشومسكي من مقـــالات وكتب سياسية متحديا بها علماء النفس والاجتماع وغيرهم من العلمـــاء الذين تسمى الحكومات وراء نصائحهم وخبراتهم وهـــم فى الحقيقة ليســـوا بعلماء وانما هم يحاكون يائسين المظاهر السطحية Surface Features للعلوم فقط دون حقيقتها ذات المحتوى الفكرى والعقلى الذى يعتد به وهؤلاء العلماء فى محاولاتهم تلك يلقون خلف ظهورهم جميـــع القضايا الأساسية التى يجب عليهم الاهتمام بها ويلجـــأون بذلك الى تفاهـــات نفعية Pragmatic ومباذل منهجية Methodological •و يرى تشومسكى أن الانسان يختلف عن الحيوان والآله وهذا الاختلاف لابد أن يؤخذ فى الحسبان سواء فى العلم أو الحكم والسياسة وهذا الـــرأى هو الذى يكمن خلف فلسفته اللغوية والسياسية ويوحد بينهما ومن ثم فان فلسفة تشومسكى هى فلسفة انسانية ، لأنها تجد استجابة تلقائية فى نفوس هؤلاء الذين يؤمنون بالاخاء الانسانى ونبل الحياة الانسانية وكرامتها غير أن الدفاع عن هذه القيم الأصيله غالبا مايتنكر الى بعض العلمـــاء الذين لايصلحون ـــ نتيجة تكوينهم الأكاديمى ـــ لهذا النوع من القضايا التى تستهوى أصحاب الرءوس الصلبة من النفعيين •

وتشومسكي ليس واحدا من هؤلاء العلماء اذ لايمكن وصفه بأنـــه واحد من أصحاب العقل الليبرالى الجاهز Wolly minded liberal. ويعرف خصوم تشومسكى قبل مؤيديه أنه من أوسع الناس اطلاعا فى

فلسفة العلوم Philosophy of Science فهو قادر على أن يعالج ببراعة المناهج الفكرية والرياضية التى تعتمد عليها العلوم الاجتماعية وله فى ذلك آراء قد يقبلها بعض العلماء وقد يرفضها آخرون ، ولكنهم جميعا لايمكن أن يتجاهلوها ، وأى انسان يريد أن يتابع أو يحكم على آراء تشومسكى ومواقفه لابد له أن يكون على استعداد للذهاب اليه ومقابلته فى ميدان علم اللغة أو فى ميدان البحث اللمى فى اللغة لانه يعتقد — كما قلت آنفا — أن تركيب اللغة يتحدد بتركيب العقل الانسانى وأن وجود خصائص لغوية كلية Universel تجمع كل اللغات لهو دليل على أن هذا الجانب من الطبيعة البشرية واحد وعام عند جميع أفراد الجنس البشرى بغض النظر عن الأصل العرقى race أو الطبقة الاجتماعية أو الفروق العقلية أو الشخصية أوالا طبيعية

والحق أن هذه معتقدات وآراء تقليدية traditional وتشومسكى نفسه — كما سنرى فيما بعد — يعزو هذه الآراء صراحة — الى الفلاسفة العقلانيين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولكن الجديد فى هذه الآراء يظهر فى الطريقة التى يعالج بها تشومسكى هذه الآراء وكذا فى نوع البراهين التى يقدمها على ما يقول .

ولعل مما يرمز الى مكانة تشومسكى وأثره ، أن المعهد الذى يجرى فيه دراساته وأبحاثه فى تركيب اللغة بما لها من صلة بالعقل الانسانى وخصائصة يعد من معاقل العلوم الحديثة فى العالم وهو معهد ماسشوتس للتكنولوجيا :

The Massachusetts Institute or Technology.

وقد يكون من المستغرب أن آراء تشومسكى التى تلخص أبحاثه ودراساته تلائم الى حد بعيد أقسام الدراسات الانسانية فى الجامعات التقليدية ، ولكن هذا لون من التعارض الظاهرى لاغير ، لانه يرى ضرورة الغاء الحدود التقليدية المصطنعة القائمة بين الفنون arts والعلوم Sciences أو بين العلم والدراسات الانسانية .

الفصـــل الثانى

علم اللغـــة الحديث : أهدافـــه واتجاهـــاته

لعلل علم اللغة Linguistics يعد موضوعا جديدا بالنسبة لبعض القراء ولاسيما لمعظهم أيضا ، ولذلك سوف أبدأ بشرح ماهية هذا العلم بصورة عامة ، حتى نستطيع أن نمضى قدما فى الفصـــول القادمة ولكى نتمثل أيضا بعض جوانب هذا العلم التى كانت ذات أهمية خـــاصة فى تكوين فكرتشومسكى •

ويعرف علم اللغة ـــ عادة ـــ بأنه العلم الذ ىيدرس اللغة دراسة علمية ، وكلمة « علم » Science هنا ذات دلالـــة حاسمة cucial ولذا سنولى عناية خاصة لما يتضمنه هذا المصطلح من دلالات خـــلال مناقشتنا لنظرية تشومسكى غير أنه يمكن القول الآن ، ان الدراسة أو الوصف العلمى Scientific decription هو الـــذى يمضى عـــلى طريقة منهجية Systematically تقوم على أسس موضوعية Objective بالاضافة الى ملاحظات يمكن التحقيق منها واثباتها وكل ذلك فى اطار نظرية عامة general Theory ملائمة للحقائق والمعلومات التى حصلنا عليها •

وكثيرا ما نسمع أن علم اللغة من العلوم الحديثة ، وأن البحث فى اللغة فى أوربا وأمريكا قبل القرن التاسع عشر كـــان بحثا ذاتيا أو غير موضوعى Subjective كما كان بحثا يقوم على التخمين والتأمـــل العقلى Speculative وغير منهجى unsystematic ولا حاجة بنا الى التحقق من صحة هذا الاتهام الكاسح لماضى البحث فى اللغة وانما ، أهم ما يعنينا الآن أن علم اللغة ـــ كمـــا نعرفه اليوم ـــ ماهـــو الا تطور لمعارضة واعية لخصائص المناهج التقليدية فى الدراسة اللغويـــة خلال القرون الماضية ، وكان هذا الانفصال عن الماضى ـــ كما سنرى فيما بعد

— أكثر حسما وحدة فى أمريكا عنه فى أوربـا اذ لم تعبر أى مدرسـة لغوية أوربية أو أى مدرسة لغوية فى أى مكان آخر عن رفضها العنيف القاطع للنحو التقليدى traditional grammar كما فعلت مدرسة بلومفيلد اللغوية ، التى بدأت فى الولايات المتحدة الأمريكية ثم استقرت وسادت فيها فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية، وهى المدرسة التى نشأ تشومسكى وتدرب على أيدى علمائهـا والتـى قام أيضا بالهجوم عليها بمنهجه الجديد فيما بعد ، ولن نتنـاول هنـا تفصيلا الخصائص العلمية والمنهجية التى تميز عـلم اللغة الحديث عن النحو التقليدى ولكن سنكتفى ببيان أهم الجوانب ذات الصلة الوثيقة بموضوع هذا بالكتاب .

وأول هذه الجوانب هو الاستقلال autonomy الذى يتمتع به منهج علم اللغة عن بقية المناهج العلمية الأخرى ، وهـو أول مظهر من مظاهـر علميـة Scientificness علـم اللغـة ، ذلك لأن النحو التقليدى كأى شىء آخر فى الثقافـة الغربية يتصل فى كثـير من جوانبه ومنذ بدايته بالفلسفة والنقد الأدبى فى الثقافة اليونانية منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، بل لقد كان تأثـير الفلسفة والنقد الأدبى مهيمنا فى بعض المراحل التاريخية ولكن من الاتجـاهين كان ممثـلا بصورة أو بأخرى فى جميع المراحل بحيث أثرا فى اتجاهـات ومناهـج الدراسة اللغوية التى قام بها العلماء لعدة قرون ، غيرأن هذه الاتجاهات والمناهج تعد غير صحيحة الآن — ومع ذلك فهى منتشرة ومتداخلة فى ثقافتنا بحيث لاتؤثر فى هؤلاء العلماء الذيـن درسوا النحـو التقليدى فحسب وانما يميل الرجل العادى أيضا الى قبول أحكامها دون مناقشة .

وهكذا نجد أن علم اللغة عندما يحـاول أن يتخذ لنفسه منهجـا مستقلا انما كان يبحث لنفسه عن بداية جديدة وموضوعية فى النظر الى اللغة ودراستها دون أحكام مسبقة أو أفكـار تقليديـة ودون أن يعتنق بالضرورة آراء الفلاسفة أو علماء النفس أو نقاد الأدب أو من يمثل آراء

أى علوم أخرى • ولكن هذا لايعنى انـه لاتوجـد — أو ينبغـى ألا توجد — صلة بين علم اللغة والعلوم الاخـرى التى تعنى باللغـة ، اذ الحقيقة — كما سنرى فى الفصول الأخيرة من هذا الكتاب — أنه يوجد الآن تقارب واضح بين علماء اللغة وعلمـاء النفس والفلاسفة وهـذا التقارب كان محصلة لتطور علم اللغة واستقلاله بـل كان عـلم اللغة نفسه — وبخاصة أعمال تشومسكى — هى التى أوحت بهـذا التقارب والتحالف بين هذه العلوم الثلاثة •

وقد أشرت من قبل الى النزعة الأدبية التى سيطرت على النحـو التقليدى وهى ذات صلة بحقيقة واضحة وهى أن النحاة الغربين القدماء كانوا يهتمون — قبل كل شىء — بالمحافظة على النصوص الأدبية لكتاب اليونـان وتفسيرها ومن ثم تعود العلماء على الاهتمام باللغة المكتوبـة written language وتجـاهل الفـرق بـين الكـلام Speech والكتابة writing ولايعنى هذا أن النحاة التقلدين traditional grammerians قد أهملوا اللغة المنطوقة كلية وانما كانوا ينظرون اليها فى العادة عـلى أنها صورة غير كاملة من اللغة المكتوبـة •

ولكن معظم علماء اللغة الآن على العكس من ذلك ، اذ يرون أن من البديهى أن يأتى الكلام أولا ، أما اللغة المكتوبة فتأتى فى المرتبة التالية لأنها مشتقة derved منه أو بعبـارة أخرى لان سلسلـة الأصوات range of Sounds التى تصدر عن أعضاء النطق Speech orgons هى الوسط الذى تتشكل منه اللغة •

أما اللغات المكتوبة فهى نتيجة تحـول الكـلام الى صورة مرئية Visual وكل اللغات المعروفة بدأت أولا كلغـة منطوقة ، وهنـاك آلاف من اللغات ، لم تكن مكتوبة من قبل البته ، ثم خضعت للكتـابة فى عهد قريب جدا ، بل أكثر من هذا ، نجد الأطفال يتمكنون من اللغة المنطوقة قبل تعلمهم القراءة والكتابة وهم يفعلـون ذلك تلقائيـا دون

تدريب ، فى حين أن القراءة والكتابة ماهى الا مهارات خاصة يحتـــاج الطفل فيها الى تدريب خاص يقوم على المعرفة السابقة باللغة المنطوقة وكيفية تحويلها الى لغة مكتوبة •

وبرغم أننا لن نذكر شيئا عن علم الأصوات phonetics فى هذا الكتاب ، كماأننا سنعتمد على طريقة الكتابة العادية فى كتابة الأمثلـــة التى نذكرها ونستشهد بها ، الى أننا لابـــد أن نعى دائمـــا أن اهتمامنا ينصب على اللغة المنطوقة دون المكتوبـــة (١) • وليس معنـــى أسبقية

---

(١) مما يلفت النظر أن الدراسات اللغوية العربية القديمة ، قد قامت على احترام اللغة المنطوقة وفى هذا الصدد يمثل مبـــدأ السماع الوسيلة المعتمدة عند علماء العربية فى جمع المادة اللغوية ويحدد السيوطى بناء على هذا المبدأ الفرق بين عمل النحوى وعمل اللغوى فيقول : « أعلم أن اللغوى شأنه أن ينقل ما نطلقت به العرب ولا يتعداه وأما النحوى فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوى ويقيس عليه » (المزهر ١/٥٩) ومعنى هذا أن الأصل عندهم هو المادة اللغوية المسموعة والمنقولة مشافهة وروايـــة ، ولذلك كان مـــن البديهى أن يبدأ هؤلاء العلماء الدراسة اللغوية بدراسة المستوى الصوتى ولكن ذلك لم يحدث كما حدث عند علماء اللغـــة المحدثين ذلك لان المسموع المروى غالبا ما كان يتحول الى لغة مكتوبة ولذا يقال ان الكسائى قد استنفذ خمســة عشر قنينه مـــن الحبر فى كتابة ما سمعه من الاعراب ومعنى هـــذا أن عملية الملاحظـــة أو تصنيف الظواهر النحوية واللغوية وتحريرها علميا كانت تتـــم فى مرحلة تالية لمرحلة السماع أى بعد التدوين والكتابة ، ومعنى هذا أيضا أن علماء اللغة العربية على الرغم من وعيهم بأهمية اللغـــة المنطوقة عندما أخذوا فى بحث المادة اللغوية بحثا علميـــا مجردا كانوا يعودون الى النصوص المدونة المكتوبة ومن ثم لم تكن قيمـــة السماع والمشافهة من الناحية اللغوية ذات أثر واضح فى الوضع =

الكلام على الكتابة أن الكتابة ليست جديرة بالاهتمام كما لايعنى هـذا أيضا أن اللغة المكتوبة ماهى الا أمر ثانوى ، كما يذهب الى ذلك كثير من علماء اللغة اليوم ، ذلك لان الظروف والملابسات التى تستعمل فيهـا اللغة المكتوبة تختلف عن تلك التى تستعمل فيها اللغـة المنطوقة حيث لاوجه للمقارنة بين المتكلم وبين الكاتب اذ الكتابـة لايمكن أن تصـور

= العلمى للنحو العربى أو غيره من علوم اللغة العربيـة ومن ثم لم يكن النحاة يستطيعون من خـلال التدوين للمسموع أن يبدأوا بدراسة النظام الصوتى للغة العربية كما فعـل ذلك المحدثون • يضاف الى ذلك أن الخط العربى أو اللغة المكتوبـة فى تلك الفترة كانت عرضة لكثير من اللبس بسبب النقص الذى اتسمت به من حيث الاعجام وحركات الاعراب وخاصة فيما يتصل ببنية الكلمة •

ولعل من الاسباب التى صرفت العرب عن الاهتمـام بالدراسة الصوتية من حيث صلتها بالنحو واللغة أنهم وجدوا قراء القرآن الكريم وقد اعتنوا بالجانب الصوتى بهذا النص عناية لا مزيـد عليها ، يضاف الى ذلك أن القراءات القرآنيـة كانت متواتـرة بالتلقى الشفهى ولذا كان الدرس الصوتى للعربية جزءا أصيلا من التجويد الذى أدى الى تحديد مخارج الحروف وصفاتها • وقد يكون النحاة من القراء دون غيرهم هم الذين أنشأوا هذا الوصف الصوتى لمخارج الأصوات العربية وفى صنيع أبى الاسود الدؤلى عندما وضع نقط الأعراب دليلا على ذلك ثم تسلم منهم النحـاة هذا الوصف ودونوه فى كتبهم دون أن يلتفوا الى العلاقة الحيوية التى تربط بين الوصف الصوتى والوصف النحوى ولعل ذلك يفسر وجود الوصف الصوتى ملحقا بالدراسة النحوية دون أن تكون له الصدارة وهو ما فعله سيبويه ولعلـه قد شعـر بهذه الاهميـة للوصف الصوتى بما له مـن صلة بالصرف فوضعـه فى أول باب الادغام •

« المترجم »

حركات الجسم gestures وتعبيرات الوجه وغير ذلك من الملامح والحركات التى تصحب الكلام عادة مثل .. « نغمة الصوت » حيث ينبغى على الكتابة أن تصور ذلك بطريقة أو بأخرى .

ومن ناحية أخرى فان الطريقة التقليدية المتبعة فى استخدام علامات الترقيم punctuation وكذا أستعمال الحروف المائلة italecs فى الكتابة لم تعد صالحة لكى تصور الاختلافات الدلالية لدرجة الصوت pitch أو النبر Stress والتى تتمثل فى اللغة المنطوقة ولذلك سيظل للغة المكتوبة نوع من الاستقلال دائما .

ويتضح ذلك فى لغات كثيرة منها اللغة الانجليزية حيث نجد أن الاختلاف بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة يزداد نتيجة للنزعة المحافظة لتقاليد الكتابة الانجليزية التى وضعت منذ قرون خلت ، ولكنها مازالت مستمرة حتى اليوم برغم التغيرات التى حدثت فى نطق هذه اللغة فى كثير من بقاع الدنيا .

وفى هذا الصدد ، لابد لنا من الوقوف أمام جانب آخر يتصل بهذا الموضوع ، وهو أن أعضاء النطق ليس من وظائفها انتاج الكلام أصلا ، بمعنى أن أى عضو منها ليس له دور مستقل أو منفرد فى عملية انتاج الكلام فالرئتان مثلا تستعملان فى التنفس والأسنان فى مضغ الطعام وهكذا بالنسبة لبقية الأعضاء ومعنى هذا أن أعضاء النطق لاتكون معا نظاما فسيولوجيا physiological System مستقلا بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح .

غير أننا لاينبغى أن ننسى أن القدرة على الكلام ما هى الا خصصية طبيعية من خصائص النوع الانسانى لها أهميتها مثل السير أو الأكل ، ومهما كان سبب ذلك وكذا مهما كانت الفترة التاريخية التى يعود اليها هذا السبب موغلة فى القدم وفى تاريخ التطور الانسانى

فان الواقع يقرر لنا حقيقة نعتمد عليها وهى أن النوع الانسانى كلـه يستغل نفس هذا الجهاز الفسيولوجى فى الكلام ، أو على الأقل ، فـان هذا الجهاز مهيأ وراثيا للقيام بهذا العمل وسوف يتضح لنا بجلاء صلة هذا الموضوع بأفكار تشومسكى فى الفصول الأخيرة من هذا الكتاب .

وكما كلف النحاة التقليديون بدراسة اللغة المكتوبة كلفوا أيضا ، بصورةأوبأخرى باللغةالأدبية أو اللغة الفصحى Standard literary language وكانوا يميلون الى أهمـال أى خروج على هذه اللغة وادانته ، سواء فى الكلام أو الكتابة ووصمه بأنه عامى أو غـير صحيح ومـن ثم لم يستطيعوا ادراك أن اللغة الفصحى تاريخيا ما هى الا لهجـة اقليمية regional dialect أو لهجة اجتماعية Social dialect أكتسبت مستوى معينا بحيث أصبحت لغـة الادارة والتعليـم والآداب نتيجة لأنتشارها الواسع بين عدد كبير من الناس .

حقا قد تكون تلك اللغة الفصحى غنية بثرواتها اللفظية Vocabulary أكثر من أى لهجة أخرى تعيش بجوارها ولكنهـا ليست بالضرورة أكثر اللهجات الموجودة صحـة لان الفرق بين اللغـة Language واللهجة dialect كثيرا مايقوم على أسس سياسية ، فمثلا ليست هنـاك فروق واضحة بين اللغات السويدية والدنماركية والنرويجية ومـع ذلك يشيع النظر اليها على أنها لغات متمايزة distinctive مع أن هذه الفروق لاتكاد تزيد عما بين لهجات اللغة الصينية .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن اللهجات الاجتماعية أو الاقليميـة لأى لغة كالانجليزية مثلا ليست أقل أنتظاما من اللغـة الفصحى بـل لا ينبغى وصفها بأنها صورة مشوهة منها ، ولابد لنا من الالحـاح على ذلك لأن كثيرا من الناس يعتقدون أن اللغـة الفصحى التى تعلـم فى المدارس هى وحدها الخليقة بالدرسة العلمية والمنهجيـة ولكن الحقيقة

غير ذلك لأن جميع لهجات اللغة الانجليزية مثلا تتساوى فى نظر علم اللغة من هذه الناحية (١) .

---

(١) هذا هو الفرق بين الدراسة العلمية للغة والدراسة المعيارية لأن قضية الفرق بين الفصحى والعامية أو بين الفصحى واللهجات تختفى أمام علم اللغة الحديث فكل جدير بالدراسة وليست العاميات أو اللهجات أقل انتظاما من الفصحى كما يقول المؤلف ولكن مصطلح الفصحى مازال يلقى بظلال كثيفة على اللغة العربية ودرسها بل ومازال بعض علماء اللغة والأدب فى العالم العربى يرون فى دراسة اللهجات نوعا من التنكر للفصحى بل يرى بعضهم فى ذلك شيئا يشبه الكفر أو الالحاد أو ما يقترب منهما . ولعل ذلك أثر من آثار الاستعمال الغربى للعالم العربى اذ أهتم هذا الاستعمار بدراسة اللهجات المحلية وهى دراسة يخوطها كثيرا من الشك والارتياب وبخاصة عندما أرتفعت بعض الأصوات تطالب باحلال العامية محل الفصحى فى الكتابة والتأليف واتخذت بعض الاجراءات العملية فى هذا السبيل فمزج بعض أدباء العربية فى مؤلفاتهم بين الفصحى والعامية وكتب بعضهم مؤلفات بالعامية ودعا بعضهم صراحة الى استخدام العامية ، ولكن النظر العلمى تجاوز هذه المحاولات المريبة الى موقف علمى يرى فى اللهجات صورة من صور النطق للغة العربية جديرة بالدراسة والوصف . وهنا سنجد جانبا من هذه النظرة المعيارية للفروق بين الفصحى واللهجات ترجع أصلا الى أعتقاد شاع فى الدراسات اللغوية القديمة حيث ربط القدماء بين اللغة التى تنزل بها القرآن أو أن شئنا الدقة بين المستوى اللغوى الذى نزل به القرآن وبين قبيلة قريش فقالوا ان الفصحى هى لغة قريش أو لهجة قريش وهى اللغة التى نزل بها القرآن يقول ابن فارس « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبى =

ولقد قام النحو التقليدى وتطور على أساس من اللغتين اليونانية واللاتينية وسخر فى وصف ودراسة عدد كبير من اللغات الأخرى بعد تعديلات طفيفة ولكن دون أى دراسة نقدية فهناك لغات كثيرة معروفة فى أوروبا وآسيا تختلف فى جوانب محدده من تركيبها عن اللغتين اليونانية

= الرحمة محمد ﷺ . فجعل قريشا نطاق حرمه وجيران بيته الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش فى أمورهم .. وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم وأشعارهم فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب ألا ترى أنك لاتجد فى كلامهم عنعنة تميم وعجرفية قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكسة ربيعة ولا الكسر الذى تسمعه من أسد وقيس» (الصاحبى ٣٣ — ٣٤) ومع ذلك نجد أن النبى ﷺ عندما أراد أن يشيد بفصاحته أشار الى أنه نشأ فى قبيلة «سعد بن بكر» وهى من عليا هوازن ولو أن قريشا كانت أفصح العرب كما قال القدماء لكان أولى بالنبى ﷺ أن يشيد بها ناهيك عن الظواهر اللغوية التى توجد فى لهجة قريش ولا توجد فى القرآن مثل تحقيق الهمز فى القرآن وقريش تسهل الهمزة كما هو شائع مشهور فاذا أضفنا الى ذلك أن النصوص الأدبية الجاهلية التى وصلتنا تكاد تكون خالصة لقبائل غير قريش بل اننا لم نسمع عن شاعر جاهلى قرشى فحل وانما نجد معظم الشعر منسوب الى قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية بل ان علماء العربية القدماء عندما حددوا القبائل التى تؤخذ عنها اللغة لم يقتصروا على قريش وحدها يقول السيوطى «والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين القبائل قيس وتميم وأسد فان هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمهم وعليهم أتكل فى الغريب وفى الأعراب والتصريف ثم هذيل وكنانة وبعض الطائيين ولم =

واللاتينية ولعل من أهم أهداف علم اللغة الحديث هو بناء نظرية نحوية لها صفة العموم أكثر من النظرية التقليدية بحيث تكون ملائمة لدراسة ووصف جميع اللغات الانسانية وليست قائمة على أساس اللغـات التى تتشابه فى التركيب النحوى مع اللغتين اليونانية واللاتينية •

كما أن علم اللغة لايقيم وزنا لهؤلاء الذين يؤمنون بوجـود فرق ما يسمى باللغات المتحضرة Civilized واللغات البدائية primitive ولا شك أن الثروة اللفظية لاى لغة تصور طبيعة المعتقـدات والتقاليد والحضارة السائدة فى المجتمع الذى يستعملها فنجـد فى لغات مثـل الانجليزية والفرنسية والروسية ثروة لفظية تتصل بالعلم والتكنولوجيا الحديثة ، فى حين لانجد معادلا لهذا فى بعض لغات الشعوب النامية ، ولكن فى مقابل ذلك ستجد كلمات كثيرة فى هذه اللغـات بل فى لغـات بعض القبائل المنعزلة فى غينيا الجديدة أو أمريكا الجنوبيـة لايمكـن ترجمتها بسهولة الى الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية لانها تشـير الى أشياء أو عادات غير مألوفة فى الحضارة الغربية •

ولذا لايمكن أن توصف الثروة اللفظية لاى لغة بأنها أغنى أو أشد فقرا من الثروة اللفظية للغة أخرى ، لان كل لغة لديها ما يكفيها مـن

= يؤخذ عن غيرهممن سائر قبائلهم وبالجملة لم يأخذ عنحضرىقط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم » (الاقتراح ٥٦) •
ومعنى هذا أن العلاقه بين القرآن ولهجة قريش أو بين الفصحى وقريش لست هى تلك العلاقة المسلم بها ومن هنا لابد أن نبدأ فى دراسة اللهجات العربية قديما وحديثا فى ضوء تلك الحقـائق وعلم اللغة يضع بين أيدينا المنهج والأسلوب لهذه الدراسة حديثا ومن ثم نتبين العلاقـة الحقيقة بين ما يسمى اليوم بالفصحى واللهجات الاجتماعية والاقليمية • (المترجم) •

الكلمات التى يعبر بها المجتمع المستعمل لها عن جميع الأشياء الهامة فى حياته • وبناء على ذلك لايمكن القول بأن هناك لغة ما بدائية أو أكثر تقدما عن لغة أخرى ومثل هذا القول أيضا يصدق بالدرجة نفسها على التركيب النحوى للغات •

وهكذا نجد أن الفرق بين أى لغة بدائية وأخرى متحضرة لا يزيد أبدا عن الفرق بين أى لغتين بدائيتين أو الفرق بين أى لغتين متحضرتين وما يسمى باللغات البدائية ليست أبسط أو أعقد تركيبا من أى لغات أخرى يتكلم بها أناس أكثر تحضرا ، وهذا مسألة على جانب كبير من الأهمية اذ أن كل المجتمعات الانسانية تتكلم لغات على درجات متقاربة من التعقيد وما نجده من اختلاف فى التركيب اللغوى بين اللغات المنتشرة فى العالم لايرتبط بالتطور الحضارى للشعوب المتكلمة بهذه اللغات ومن ثم لايصلح مثل هذا المعيار فى بناء نظرية متطورة فى دراسة اللغة الانسانية •

ان خصوصية اللغة وتفرد النوع الانسانى بها والايمان بعدم وجود لغات أكثر بدائية من لغات أخرى أو أن اللغة تشبه طريقة الاتصال عند الحيوان كل تلك الحقائق ذات أهمية خاصة فى أعمال تشومسكى •

ولكن ماملامح اللغات الأنسانية ؟ وما الذى يميزها عن غيرها من نظم الاتصال التى تستخدمها الكائنات الأخرى ؟ ان الاجابة المفصلة عن هذه الأسئلة سنعرض لها فيما بعد ، أما الآن فسكتفى بذكر خاصتين متمايزتين للغة الانسانية وهما :

١ ــ ثنائيــــة التركيب duality of Structure

حيث نجد أن كل لغة تم درسها وفحصها لها مستويان من التركيب النحوى ويجوز لنا أيضا أن نفترض هذا فى أى لغة سيقوم علماء اللغة

بدراستها فى المستقبل — أما المستويان فهما : المستوى الأولى primary level أو المستوى النحوى syntactic level وفيه نجد أن الجمل تتمثل وتتألف من وحدات كاملة المعنى meaning-ful units نطلق عليها اسم الكلمات words بغض النظر عما يراه بعض العلماء من أن كثيرا من الوحدات النحوية الصغرى minimal syntactic units لاتندرج تحت مصطلح الكلمة بالمعنى الشائع له (١) •

---

(١) على الرغم مما يبدو من وضوح مفهوم الكلمة فى أذهان كثير من الناس فان علم اللغة الحديث لم يسلم بهذا التصور الشائع لمصطلح الكلمة وانما نظر اليها من وجهة النظر العلمية المجردة ولذلك لم يسلم بادىء ذى بدء كما سلم القدماء بفكرة الكيان المستقل ء للكلمة ورأى أن للكلمة جوانب متعدده يمكن النظر اليها خاصة اذا علمنا أن هذا العلم يهتم أولا باللغة المنطوقة قبل اللغة المكتوبة ومن ثم رأى أن الكلمة قد تعرف وتحدد على أنها سلسلة من الأصوات أو على أنها عنصر نحوى أو وحدة من وحدات المعنى • وهنا تبرز مشكلة استقلال الكلمة وتحديدها طبقا للحالة الخاصة التى تكون عليها وعلى الرغم من التعريفات المتعددة التى حاول بعض علماء اللغة وضعها للكلمة الا أن كثيرا من هذه التعريفات لم يلق القبول لأنه غالبا مايهمل بعض الخصائص اللغوية وغير اللغوية كما أن بعض التعريفات كانت غير عامة بحيث تنطبق على كل اللغات على اختلاف عائلاتها وخصائصها حتى أن بعض علماء اللغة شك فى قيمة الاعتراف بشىء اسمه الكلمة واعتبرها خرافة من خرافات علم اللغة ومن هنا اتجه الفكر اللغوى الى التعامل مع أصغر الوحدات اللغوية دون أن يدخل فى تحديد ماهية الكلمة التى قد تتكون من عدد مختلف من هذه الوحدات ولعل نظرية الفونيم — كما سنرى فيما بعد — قد ظهرت نتيجة لهذا البحث فى ماهية الكلمة وحقيقتها لذلك نرى المؤلف يشير الى أن الكثير من الوحدات النحوية الصغرى لاتندرج تحت مصطلح الكلمة بالمعنى الشائع (انظر كتابنا الكلمة ص ١٤ ومابعدها) (المترجم)

وأما المستوى الثانى Secondary level أو المستوى الفنولوجى phonological فنجد الجمل فيه تتألف وتتمثل فى وحدات Units هى فى ذاتها بلا معنى ولكن تستخدم فى التعرف على الوحدات الأوليـــة أو ما يسمى بالكلمات وهذه الوحـــدات فى أى لغـــة عبارة عن أصـــوات Sounds أو فونيمات Phonemes اذا شئنا استخدام المصطلح العلمى الدال على ذلك ولنضرب مثلا على ذلك بالجمل الآتية :

He went to London.

فسنرى أن هذه الجملة تتألف من أربع كلمـــات ومن أجل توخى البساطة فى الشرح سنفترض أن كـل حرف Letter فى أى كلمة يمثل فونيما واحدا لاغير وبناء على ذلك سنجد أن الوحدات الاولية (الكلمات) ممثلة فى الكلمة الأولى من هذه الجملـــة تتألف من الوحدات الفنولوجية (الفونيمات) /h/ + /e/ على التعاقب أما الوحدة الاولية الثانية فتألف من /w/ + /e/ + /n/ + /t/ وهكذا فى بقية الوحدات الأولية الأخرى فى الجملة السابقة (١) ٠

---

(١) لعل القارىء سيلاحظ منذ الآن أننى أبقيت على الأمثلة التى ذكرها المؤلف دون ترجمة لأن الترجمة قد تفسد المثال المذكور ولأنهـــا عبارة عن جمل بسيطة للغاية يعرفهـــا ويفهمها الشـــادى فى اللغة الانجليزية ولكننى فى مقابل ذلك سأحرص دائما على ذكر مثـــال عربى فى التعليقات يقابل المثال الذى ذكره المؤلف ويؤدى الفكرة التى قصد بها من التمثيل والاستشهاد وبناء على ذلك فان المؤلف هنا ضرب المثل بجملة بسيطة على الوحدات الأولية التى تتركب منها الجملة وأطلق على هذه الوحدات اسم الفونيم Phoneme والفونيم هو عبارة عن الوحدة التحليلية التى أتفق معظم علمـــاء اللغة على التسليم بوجودها المتميز فى أى سلسلة من الأحـــداث الكلامية ورغم اختلافهم حول تحديده سواء من الناحية المادية أو العقلية المجردة الا أن أقرب التعريفات الى ما نحن بصدده الآن =

وينبغي أن نلاحظ هنا أنني لم أذكر شيئا جديدا عن مبدأ ثنائية التركيب بالنسبة للمثال السابق لأن هذا المبدأ كان معروفا في الدراسات النحوية التقليدية ولكنني رغم ذلك أحب أن ألفت النظر الى شيء واحد وهو أنني قلت ان الوحدات الاولية لاتشبه الوحدات الثانوية من حيث الدلالة علي المعنى ولكن ذلك لايعني أن تحديد خصائص الكلمات لايكفي فيه القول بأن هذه الكلمات عبارة عن وحدات ذات معنى لأننا يمكن — كما سنرى — أن نقوم بعملية التحليل اللغوي على المستوى النحوي دون

= هو أن الفونيم عبارة عن أصغر وحدة أولية ليس لها معنى ولكن اشتراكها مع وحدات أخرى مثلها تكون مايسمى بالكلمة ويميزونه في الكتابة ب /ـ/ مثال ذلك الفعل (ضرب) في اللغة العربية يتكون من ست فونميات ، هي : /ض/ + /ـَ/ + /ر/ + /ـَ/ + /ب/ + /ـَ/ الخ

وهنا سنجد أن الفونيم قد يكون حرفا وقد يكون حركة مادام تبادله مع غيره يؤدى الى تغير معنى الكلمة ولذلك رأى بعض علماء اللغة أن للفونيم وظيفة كبرى هي تحديد الكلمات واختلافها مثال ذلك الافعال صام وقام ونام وعام ... الخ كلمات مختلفة لاختلاف فونيم واحد فيها هو الفونيم الاول في كل كلمة وبناء على ذلك نستطيع أن نفهم المثال الذي ساقه المؤلف على هدى من المثال الثاني من اللغة العربية فجملة مثل : ضرب زيد عمرا تتكون من ثلاث كلمات كل كلمة منها تتكون من عدد من الفونيمات وذلك على النحو التالي :

ضرب ← /ض/ + /ـَ/ + /ر/ + /ـَ/ + /ب/ + /ـَ/
زيد ← /ز/ + /ـَ/ + /ي/ + /د/ + /ـٌ/
عمرا ← /ع/ + /ـَ/ + /م/ + /ر/ + /ـَ/ + /ـَ/

وسنلاحظ في هذا التحليل أننا لم نكتب السكون وكذا اعتبرنا أن الألف عبارة عن فتحتين وهذا ما يقصده المؤلف بالوحدات الأولية أي الفونيمات التي تتركب منها الكلمات (المترجم) •

الاشارة الى أن الوحدات التى يتألف منها هذا المستوى ، سواء لهامعنى أم لا «فهناك بعض الكلمات ليست بذات معنى مثل كلمة ‹› فى جملة مثل الجملة الآتية :

I want to go home (2)

---

(٢) يشير المؤلف هنا الى بعض الوحدات اللغوية التى قد تتركب من أكثر من فونيم ولكن تبقى بلا معنى فيقول أن كلمة To فى المثال الذى ذكره تمثل هذه الوحدات وهى تشبه حروف الجر فى اللغة العربية الذى عرفها علماء العربية بعد تعريف الاسم والفعل ،يقول ابن مالك •
سواهما الحرف كهل وفى ولم ... فعل مضارع يلى لم كيشم
وسواهما يقصد الاسم والفعل ويشرح ابن عقيل ذلك فيقول ان الحرف يمتاز عن الاسم والفعل بخلوه من علامات الأسماء وعلامات الأفعال أى أن التعريف بالسلب هنا كما يرى المناطقة وعرفه — أى الحرف — بعضهم بأنه الكلمة التى تدل على معنى فى غيرها مثال ذلك : «ذهب زيد الى الجامعة» ، فكل كلمة من كلمات هذه الجملة طبقا لتعريف النحاة لها معنى فى نفسها الا كلمة (الى) لا يظهر معناها الا فى داخل الجملة أو مع مايتعلق به •
ولعل النحاة قد جانبهم الصواب عندما اتخذوا من المعيار الدلالى وسيلة لتحديد أجزاء الكلام فهو معيار غير دقيق لأننا لو تأملنا (الى) فى المثال السابق لوجدنا لها معنى مستقلا وهى عبارة عن العلاقة التى تربط بين الفعل « ذهب » وكلمة الجامعة ولو أن هذه العلاقة موجودة بينهما دون (الى) لجاز أن نقول (ذهب زيد الجامعة) دون الحاجة الى وجود (الى) لكى نفهم نفس المعنى الذى تؤديه الجملة فى وجود الحرف يضاف الى ذلك اختلاف معانى الجمل باختلاف حروف الجر فيها ومعنى ذلك أن للحرف دلالة ذاتية ومستقلة هى الدلالة الوظيفية للحرف وهى ما أشار اليه بعض القدماء تحت مصطلح حروف المعانى •
ولعل النحاة قد شعروا بقصور المعيار الدلالى فى تقسيم أجزاء =

ولهذا يجب أن نحاذر من وصف ثنائية التركيب — التى أشرنا اليها من قبل — على أنها نوع من الارتباط بين الصـــوت Sound والمعنى meaning فاذا سلمنا بذلك أى بأن كل لغة خاضعة لمبدأ ثنائية التركيب فمعنى هذا أن قواعد أى لغة مكونة من ثلاثة أجزاء متصلة ومتداخلة وهى :

١ — النحو Syntax وتختص بتحديد معنى الجملة ودلالة الكلمات ونظمها فى الجملة .

فهو الذى يعرفنا أن جملة مثل : He went to London جملة صحيحة نحويا grammatical، بينما جملة مثل went to he London غير صحيحة نحويا Ungrammatical

٢ — الدلالة Semantics وتختص بتحديد معنى الجملة ودلالـــة الكلمات .

٣ — الفنولوجيا Phonology ويختص بالطريقة التـــى يمكن أن تتألف بها الأصوات فى أى لغة . مثال ذلك كلمه went هى كلمة فى

= الكلام واستخدموا فى تعريفاتهم لها العلاقات بالاضافة الى المعيار الدلالى فقالوا فى تعريف الاسم وفق هذه العلامات :

بالجر والتنوين والندا أل ... ومسند للاسم تميز حصل

وقالوا فى تعريف الفعل :

بتا فعلت وأتت ويا افعلى ... ونون أقبلن فعل ينجلى

وهى علامات أكثر دقة فى التعريف والتحديد من المعيار الدلالى . لذلك نجد أن علم اللغة الان يتجاوز مثل هذه التعريفات ويهتـــم أولا بتحليل البنية اللغوية الى عناصرها الأولية المكونة لهـــا دون تحكيم المعنى فى هذا التحليل وهو ما يشير اليه المؤلف هنا .

(المترجم)

اللغة الانجليزية أما كلمة Twne فلا (١) •

---

(١) مصطلح grammatical أى الصحيح نحويا ومصطلح Ungrammatical أى غير صحيح نحويا من المصطلحات الحديثة نسبيا فى علم اللغة، وقد شاع استخدامها مع انتشار النظريـــة التحويلية ، أما الأول فيدل على أن التركيب صحيح ومقبول من المتكلمين باللغة ومــع ذلك فقد نجد بعض التراكيب صحيحة نحويا ولكنها غــير صحيحة دلاليا مثل قولنا « احتراق الثلـــج » ولذلك لعــدم تلاؤم الفعل احترق مع كلمة الثلج (انظر كتابنا الكلمة ص ١٣٢ ومابعدها) •
أما مصطلح ungrammatical فيشير الى الخروج عن القواعــد والقوانين الخاصة بتركيب المفردات والجمــل رأما على مستوى المفردات فقد استعمل الخليل بن أحمد مصطلح « المهمل » للدلالة على المفردات التى لم يستعملها العرب فى كلامهم وبالتالى فهــى لاتقع فى اطار التراكيب الصحيحة اذا سلمنا بأن الكلمــة تتركب فى كل لغة من عدد من الفونيمات بحيث يؤدى هذا التركيب الــى معنى • وبناء على ذلك نستطيع القــول أن التراكيب غير الصحيحة توصف بها عدة مستويات هى :

١ — المستوى الفنولوجى
٢ — المستوى النحوى
٣ — المستوى الدلالى

أمــا المستوى الفنولوجى فهو الـــذى قصده الخليل بن أحمــد عندما استعمل مصطلح « المهمل » للدلالة على التركيب الفونيمى الذى لايصح فى العربية من بعض الجذور اللغوية ففى كل أصــل ثلاثى وطبقا للاحتمالات النظرية فان هذا الأصل تتألف منه ست مواد ففى مادة ع هـ د لانجد يستعمل منها سوى ع هـ د ، ع د هـ د هـ ع ومعنى هذا أن التركيب هـ ع د ، هـ د ع ، د ع هـ تركيب غير صحيح فى العربية اذ لاتوجد كلمات مثل هعد ، هدع ، دعه (انظر كتاب العين ص ١١٧) •
وأما على المستويين النحوى والدلالى فقد أشار سيبويه فى نص =

ولابد لى فى هذا المقام أن أحذر القارىء من وجود قدر كبير من الفوضى الاصطلاحية وعدم ثبات المصطلح واستمراريته فى علم اللغة، ففى الفقرة السابقة مثلا استعملت مصطلح قواعد grammar للدلالـة على كافة مستويات اللغة ووصفها وصفا علميا منهجيا ، بحيث أصبح هذا المصطلح يدل على الفنولوجـى Phonology والدلالـة Semantics والتركيب Syntax معا ، وهى دلالة المصطلح كما يستعملها تشومسكى

جامع الى التراكيب غير الصحيحة نحويا ودلاليا يقول « هـذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة ، فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم قبيح وما هـو محال كذب :

فأما المستقيم فقولك أتيتك أمس وسأتيك غدا

وأما المحال فان تنقض أول كـلامك بآخره فنقول آتيتك غـدا وسآتيك أمس .

وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر

وأما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ فى غير موضعه نحو قولك : فقد زيداً رأيت ، وكى زيدا يأتيك . وأشباه ذلك .

وأما المحال الكذب فان تقول : « سوف أشرب ماء البحـر أمس » (انظر الكتاب ١/٢٥ ومابعدها ط «هارون») وهنا سنجد أن سيبويه يتخذ من التركيب الصحيح وهو ما أطلق عليه « مصطلح المستقيم الحسن » معيارا لمعرفة غير الصحيح نحويا ودلاليا ، فالمستقيـم هو مايتوافق وقواعد التركيب فى العربية مثل آتيك أمس وسأتيك غـدا .

وأما مصطلح المستقيم الكذب فهو الذ ىيراعى التركيب النحوى الصحيح ولكنه لايستقيم دلاليا مثل حملت الجبل وشربت مـاء البحر ومثل ذلك المستقيم القبيح دلاليا مثل قد زيـدا رأيت وكى زيدا يأتيك وأما التراكيب غير الصحيحـة نحوياً فقد ذكر منهـا سيبويه الكثير مثل : كانت زيدا الحمى تأخـذ (١/٧٠) مازيـدا عبد الله ضاربا (١/٧١) سوف زيـدا أضرب (١/١٩٨) وغير ذلك . (المترجم)

فى أعماله العلمية وهى الدلالة التى سألتزم بها فى هذا الكتاب ، فيما عدا المواضع التى سوف ألفت نظر القارىء فيها الى أننى استعمل مصطلح قواعد بدلالة أضيق منذلك لان كثيرا من علماء اللغة يستعملون مصطلح القواعد النحوية فيما أعتبرناه نحن من التركيب ومن ثم يضمونه فى مقابل المورفولوجي Morphology ولاشك أن هناك بعض المسائل الجوهرية التى تدخل فى قضية اختيار المصطلح ولسنا فى حاجة الى الخوض فيها الآن وانما هى فى ظنى مسألة سطحية لاتؤثر فى أهداف علم اللغة واتجاهاته وأما الخاصية الثانية من خصائص اللغة الانسانية التى تتصل بمبدأ ثنائية التركيب فهى :

٢ ــ الابداع أو القدرة الابداعية

الابداع أو القدرة الابداعية Creativity أى قدرة اللغة الانسانية غير المحدودة ونعنى بها الطاقة أو القدرة التى تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على انتاج وفهم عدد كبير بل غير محدود من الجمل التى لم يسمعوها قط ولم ينطق بها أحد من قبل •

وهنا ينبغى أن نعرف أن تحكم ابن اللغة فى هذه القدرة أو أو الطاقة الخلاقة للغة فى الظروف العادية انما هو تحكم غير واع وبلا اعمال فكر فهو لايلقى بالا الى عملية تطبيق القواعد النحوية سواء عندما يكون أو يبنى جملا جديدة لم يسمعها قط من قبل ، أو جملا قد سمع بها أو بمثلها من قبل ، وسواء أكانت هذه أم تلك، فان أبناء لغته يقبلون منه ماينطق به على أنه يتألف من جمل صحيحة ومفهومه عندهم ، ولكن لابد لنا أن نأخذ فى الحسبان بعض الأخطاء التى يقع فيها بعض المتكلمين بأى لغة ــ كما سترى ذلك فيما بعد ــ غير أن ذلك لايؤثر فى المبدأ الذى أشرنا اليه اذ هو صحيح بصورة عامة •

غير أن هذه القدرة على التحكم فى اللغة هى قدرة ينفرد بها الانسان دون غيره من الكائنات الحية ، فهى فى الحقيقة خاصية يتميز

بها الجنس البشرى ، لأن نظم الاتصال التى تستعملها الكائنات الحية الأخرى من غير بنى الانسان ليست لها هذه القدرة غير المحدودة التى تملكها اللغة الانسانية ، اذ أن معظم نظم الاتصال لدى هـذه الكائنات ذات قدرات محدودة أو مغلقة بمعنى أنها لاتستطيع أن تنقل الا عددا محدودا ضئيلا من الرسائل الغريزية ذات الدلالة الثابته كما لايستطيع الحيوان أيضا أن ينوع أو يكون جملا جديدة ، وهو يشبه فى ذلك تلك الرسائل البرقية التى يرسلها الانسان عن طريق شفره دولية لها دلالات ثابته ومحددة سلفا • والحقيقة أننا قد نجـد صورا معينة من نظـم الاتصال عند الحيوان تحمل فى طياتها امكانية انشاء جمل جديدة عـن طريق تنويع الاشارة بشكل منتظم مثـال ذلك الشفرة الاشاريـة التى يستعملها النحل من حيث تحديد الاتجاه والمسافة الى الرحيق •ولكن ذلك لاينفى أن العلاقة المتبادلة بين الاشارة والمعنى انما هى علاقة بسيطة • فقد أكتشف العـالم الالمانى ك • فون فريش K. Von Frisch فى دراسة شهيرة له عن « لغة النحل » ، أن النحـل يستطيع عن طريـق التنويع فى شدة حركة الجسم أن يحـدد المسافة بين مصـدر الرحيق والخلية ، وهذا المعيار فى شدة الحركة يخضـع لتنويع غـير محدود ومستمر ، وهذا اللون من التنويع نجده فى اللغة الانسانية أيضا فقـد يستطيع المرء مثلا أن يغير من شدة الصوت التى ينطق بها كلمة Very فى جمله مثل : He was very rich (1) ولكن ليست تلك هى

---

(١) ومثل ذلك فى العربية أيضا فان المتكلم يستطيع أن ينوع الصوت الذى ينطق به من حيث سرعة الاداء أو الضغط على بعض المقاطع والنطق وفق نغمة أو تنغيم معين على مستوى الكلمة أو الجملـة مثال ذلك عندما ينطق شخص عبارة أهلا وسهلا فهـى فى التعبير عن الاشتياق تستغرق زمنا أطول منها فى الترحاب العادى وهى فى السخرية تختلف نغما وتنغيما وهـذا التنوع فى صـورة النطق خاصة تنفرد بها اللغات الانسانية حيث تستغل هذا التنوع فى وظائف دلالية (المترجم)

الخاصية التى نحن بصددها عندما نتحدث عن القدرة الابداعية للغــة الانسانية، وانما نقصد بذلك القدرة على بناء جمل جديدة وتكوينها من وحدات غير مترابطة أصلا، وليست تلك القدرة البسيطة على التنوع فى معيار واحد فقط من المعايير الاشارية بما له من صله بالاختــلاف المستمر فى معنى الرسالة. وسيتضح لنا فيما بعد أن تشومسكى يرى فى هذه القدرة الابداعية للغة الانسانية احدى سماتها الأساسية بل هى أهم خصيصة من خصائص اللغة عنده ، لانها تحمل فى طياتها — بصفة خاصة — مشكلة تمثل تحديا للنظرية النفسية فى استعمال اللغة أو اكتسابها
acquisition language

لقد استطعنا حتــى الآن أن نــرى عــدة أصول عامــة عــلى درجة كبيرة من الأهمية سنعتبرها منذ الآن من المسلمات حتى ولو لــم نذكرهــا صراحة فى الفصول القادمة من الكتاب ، ولعله من المفيد أن نلخصهــا مرة أخرى .

ان علم اللغة الحديث يرى أنه ألصق بالعلمية وأكثر شمولا مــن القواعد النحوية التقليدية ، كما يرى أن المادة الطبيعة للتعبير باللغة هى الصوت الذى تحدثه أعضاء النطق وأن اللغة المكتوبة مشتقة من الكلام وأن القواعد النحوية لاى لغة تتكون من ثلاث أجزاء مترابطــة هى : النحو والدلالة والفونولوجيا وهذه الأجزاء الثلاثة مضافــا اليها أشياء أخرى هى التى تعتمد عليها قــدرة أبناء اللغة فى الصياغة والفهم لعدد لا نهائى من الجمل الجديدة . وما ذكرناه فى هذا الفصل يعد أمرا مقررا بالنظر الى الخلافات النظرية القائمة بين كــل مدرسة لغوية وأخــرى فى أيامنا هذه ، وفيما يلى سنتاول بالدرس والمناقشة مــدرسة بلومفيلد اللغوية كما تتمثل فى البلومفيلدين Bloomfieldians أو البلومفيلدين الجديد Neo Bloomfieldians (١) وهــى المدرســة التى تلقــى فيهــا

(١) يقصد بالبلومفيليدين ، بلومفيلد وتلاميذه الذين تتلمذوا عليه ، =

تشومسكي دروسه الأولى في علم اللغة .

= وأما البلومفيليدون الجدد فيتمثلون في بعض أتباعه من العلماء الذين واصلوا دراسة علم اللغة على هدى من نظريته ويعتبر تشومسكي ولهذا من هؤلاء العلماء الشبان الذين انبهروا في مستهل حياتهم بالنظرية السلوكية في اللغة ولكنه أي تشومسكي ثار عليهم فيما بعد وأوسعهم نقدا كما سنرى في الفصل القادم من هذا الكتاب. (المترجم)

الفصــل الثالث

مدرســـة بلومفيلــــد

تركت حركة تصنيف ودراسة مئات اللغـات التى لم تسجـل أو تدرس من قبل والتى كانت منتشرة فى شمال أمريكا ، أثرا قــويا على علم اللغة فى الولايات المتحدة الامريكية خلال هذا القرن •

ومنذ أن ظهر كتاب « دليل اللغات الهندية الأمريكية » Hand - book of American Indian Languages فى عام ١٩١١م نجد كل عالم لغة أمريكى — وحتى وقت قريب — يقوم دائما بعمل بحث جديد حول لغة أو أكثر من اللغات الهندية الأمريكية على أساس أن هذا العمل هو جزء من تدريبه العلمى ، وبناء على تلك الحقيقة نستطيع أن نفهم جوانب كثـيرة من خصائص علم اللغة الأمريكى أو على الأقل بعض جوانبــه ، لان الخبرة المكتسبة من ميدان العمل فى اللغات المحلية indigenous languages فى أمريكا الشمالية قد أضافت — أولا وقبل كل شىء — الى النظرية اللغوية الأمريكية الصبغة العملية التى تتميز بها ، كما زودتها بشعــور قوى بأن هذه اللغات تحتاج الى دراسة عاجلة نظرا لأن هذه اللغات يتكلم بها عدد ضئيل من الناس وسرعان ما تنقرض وتموت قبل تسجيلها ومن ثم تضيع الى الأبد •

فليس من المستغرب اذن أن نجد علماء اللغــة الأمريكى نتيجــة لمثل هذه الظروف والملابسات يولون اهتماما كبيرا الــى مايسمى بتطور تكنولوجيا البحث الميدانى ،التى تتمثل فى تسجيل اللغات وتحليلها سواء تلك التى لايستطيع عالم اللغة نفســه أن يتحدث بهــا أو تلك التى لم تخضع للكتابة والتسجيل من قبل •

وما من شك فى أن هناك عوامل أخرى وثيقة الصلة بهذا التقــدم

التكنولوجى مثل الرغبة فى تحقيق الموضوعية objectivity والصرامة العلمية ولكن الحقيقة أن النظرية اللغوية لاتعنى بالنسبة لكثير من العلماء الأمريكيين أكثر من وسيلة تكنولوجية لدراسة ووصف لغات ليست مسجلة من قبل ، وهذه النظرة هى المسئولة — الى حد ما — عما قدمه تشومسكى فيما بعد على أساس أنه أمر يختص باكتشاف المنهج واجراءات البحث .

وكان فرانز بواس (١٨٥٨ م — ١٩٤٢ م) Franz Boas هو الذى كتب مقدمة كتاب « دليل اللغات الهندية الأمريكية » الصادر عام ١٩١١ .

حيث ذكر موجزا للمنهج الذى اتبعه فى دراسة ووصف تركيب هذه اللغات . وقد توصل الى نتيجة تتلخص فى أن درجة الاختلاف والتمايز التى يجدها الباحث بين اللغات الانسانية هى أكبر وأوسع مدى مما قد يظن ، وبخاصة اذا ماحاول وضع قوانين عامه generalizations تستند الى دراسة القواعد النحوية للغات مألوفة مثل اللغات الأوربية . كما وجد أن الدراسات الوصفية descriptions السابقة للغات المحلية فى أمريكا الشمالية ، وكذلك اللغات الدخيلة exatic languages التى تحتويها هذه اللغات المحلية قد شوهت لفشل علماء اللغة فى ادراك وتقدير مدى الاختلاف والتنوع بين هذه اللغات ومحاولتهم فرض المقولات النحوية التقليدية على لغات لاتتلاءم معها البتة . كما أشار أيضا الى أن هذه المقولات التقليدية ليست ممثلة بالضرورة فى جميع اللغات .

ولكى نوضح ذلك نأخذ شاهدا من مثالين ذكرهما بواس Boas فى التفرقة بين المفرد Singular والجمع plural حيث نجد أن هذا الفرق ليس اجباريا obigatory فى لغة الكواكيوتل Kwakuill وبناء على ذلك فليس ثمة فرق واضح فى هذه اللغة بين جملة مثل :

There is a house over there.

وجملة أخرى مثل : There are Some houses over there.

ومثل ذلك أيضا نجده فى الفرق بين المضارع Present والماضى Past فى لغة الاسكيمو Eskimo حيث لايوجد فرق واضح بين جملة مثل : The man is Coming

وجملةأخرى فى صيغة الماضى مثل : The man was Coming

وكذلك ضرب بواس Boas أمثلة كثيرة عن الحـالات المتعارضة فى الفروق النحوية واللغوية التى ينبغى الالتزام بها فى عـدد من اللغـات الهندية الأمريكية التى لاتجد لها مكانا فى النظرية النحوية التقليدية ٠

فهناك مثلا بعض اللغـات السوانية Scouan languages تصنف الأسماء nauns بواسطة الاداة article تفرق بدقة بـين أسماء الكائنات الحية animate فى حالة الحركة ، وبينها وهى ساكنـة ، أو أسماء الكائنات الحية الطويلة كمـا تفرق أيضا بين أسـماء الأشـياء الجـامدة المالية inanimat high وبين أسـماء الأشـياء الجامـدة المجموعة معـا ٠

وقد ذكر بواس Boas كل هذه الأمثلة وغيرها ، لكى يبرهن على رأيه فى أن كل لغة لها تركيبها النحوى الفريد وأن مهمة عـالم اللغـة تنحصر فى الكشف عن القواعد النحوية الخاصة الملائمة لكـل لغه على حدة ٠

وهذه النظرة يمكن أن تعـزى الى البنيوية strueturlism فى الدراسة اللغوية وذلك طبقا لمعنى من المعـانى المتعددة لهـذا المصطلح الشائع ولكن لابد أن نعلم أيضا أن البنيوية كمنهج للدراسة اللغوية لم تكن معروفة لا عند بواس Boas ولا من جـاء بعده مـن العلمـاء الأمريكيين ٠

وقــد صرح وليـــم فون همبولــدت (١٧٦٧ م ـــ ١٨٣٥ م) W. Von Humboldt في ألمانيا بآراء مشابهة لتلك الآراء التي نادى بها فرانز بواس F.Boas كما نادى بها أيضا بعض علماء أوربا المعاصرين له ، وكانوا جميعا يعتقدون ذلك وخاصة بالنسبة للغات غير المعروفة ، والحقيقة أن المذهب البنيوي كان الصيحـــة التي جمعت بين مدارس مختلفة في علم اللغة في القرن العشرين (١) ٠

---

(١) البنيوية Struct - uralism كما يقــول المؤلف هي الصيحة التي جمعت بين مدارس مختلفة في علم اللغة في القرن العشرين وبهـــذا المعنى يمكن القول بأن المدارس اللغوية الحديثة منذ دي سوسير وحتى تشومسكي تنتمي الى المذهب البنيوي بصـــورة أو بأخرى لأنها جميعا تؤمن بأن اللغة عبارة عن نظام يتكون من عدة نظـــم فهي من حيث كونها مجموعة من العلامات أو الرموز الا أن هذه العلامات وتلك الرموز تتكون أولا من أصوات تحدثها أعضاء النطق الانساني وتدركها الأذن ٠ وهـــذه الأصوات تتركب بطريقـــة اصطلاحية في وحدات ذات دلالات نسميها الكلمات والجمل وكـــل ذلك يشكل في النهاية بطريقة مخصوصة مجموعة النظم في اللغـــة وهي النظام الصوتي والنظام الفنولوجي والنظـــام المورفولوجي والنظام النحوي والنظام الدلالي وجميعها ذات وجـــود مستقل ولكنها تصب في النهاية في نظـــام واحد متكامل ومتناسق هـــو ما نسميه النظام اللغوي ٠ ويعتبر دي سوسير هـــو واضع الأصول الأولى للنظرية البنيوية بهذا المعنى العام بما أرساه مـــن مبادىء في التحليل اللغوي ودراسة اللغة وخاصة التفرقة بين الدراســـة الوصفية والدراسة التاريخية حيث وجه اهتمامه واهتمام علمـــاء اللغة من بعده الى الدراسة الوصفية ٠ أما المذهب البنيوي بالمعنى الضيق المحدود فهو ينصرف الى أعمال مدرسة براج التي تزعمها العالم اللغوي تروبتسكواي في الفترة من ١٩٢٣ م ـــ ١٩٢٨ م وكان اهتمام هذه المدرسة وزعيمها منصبا على الفنولوجيا بمالها من صلة بمستويات التحليل الأخرى للغة ولذلك قالوا ان تحليل أي عنصر =

ولكن آراء العلماء أجمعت فى العالم كله ، على أن أعظم عالمين فى أمريكا همـا : ادوراد سابـير (١٨٨٤ م — ١٩٣٩ م) E.Sapir وليونارد بلومفيلد (١٨٨٧ م — ١٩٤٩ م) L.Bloomfield وأنهما كانا أبعد أثرا بعد بواس Boas فى علم اللغة فى الولايـات المتحدة منذ تأسيس الجمعية اللغوية الأمريكية فى عام ١٩٢٤ م وحتى بداية الحرب العالمية الثانية ،وكان كل منهما يختلف عن الآخر كلية ،سواء فىالمزاج أو فىالقدرة على الاقناع الفلسفى أو فى طبيعة الأثر الذى تركه .

أما سابير Sapir فقد شب فى أحضان الفيلولوجيـا الجرمانيـة Germanic philology غير أنـه وقـع تحت تأثـير بواس Boas وهو لم يزل بعد طالبا ، كما تدرب على دراسة اللغات الهندية الأمريكية مثل بواس Boas ومثل كثير من العلماء الأمريكيين حتى وقتنا هذا . وكان سابير أنثربولوجيا وعالم لغة فىآن واحد،ونشر أبحاثا كثيرة فى كلا الحقلين غير أن اهتماماته وقدراته تجاوزت علم اللغة والانثربولوجيا الى ميادين أخرى مثل الأدب والموسيقى والفن ومع أنه نشر عددا هائـلا

= لغوى تحليلا علميا لايمكن أن يتم فىعزلة عن بقية العناصراللغوية الأخرى ولذلك لم تنظر هذه المدرسة الى الفونيم على أساس أنه مجرد وحدة صوتية وانما على أساس أنه وحده معقده ذات صلة بالوحدات اللغوية الأخرى بل ان الفونيم نفسه عبارة عن مجموعة ملامح منفصلة متميزة فى ذاتها ولكنها بحكم اتصالهـا العضوى تكون فى النهاية الفونيم فالجهر والهمس والانفجار وغير ذلك من الصفات الصوتية بل موضع النطق أيضا كل ذلك من الملامح التى تميز فونيما عن فونيم آخر داخل اللغة الواحدة .

وقد أثر المذهب البنيوى فى فـروع علمية أخرى مثـل علم الاجتماع والفلسفة والنقد الأدبى وغير ذلك حتىأصبحت البنيوية مذاهب تتفق فى الأصول العامة ولكنها تختلف عند التطبيق تبعا لاختلاف العلم .. (المترجم)

من الأبحاث والمقالات التى تدور حول دراسة اللغات الا أنـه لم ينشر سوى كتاب واحد لاغير ، وكان هذا الكتاب مختصرا الى حد ما وهـو الكتـاب الـذى أطلـق عليـه اسـم « اللغـة » Language وقـد ظهر عـام ١٩٢١ م ، وقـد توجـه بـه إلى المثقف العـام ، وكان الكتاب مختلفا كلية ، ــ سواء فى محتواه أو أسلوبه ــ عن كتـاب بلومفيلد الذى أطلق عليه أيضا اسم « اللغة » غير أن كتاب بلومفيلـد ظهر بعد كتاب سابير باثنى عشر عاما .

وقد بذل بلومفيلد جهدا أكثر مـن غيره ــ كما سنرى ــ فى أن يجعل من علم اللغة دراسة مستقلة autonomous وعلمية Scientific حسب فهمه لمعنى مصطلح العلمية . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف ، كان على استعداد لوضع حدود صارمة حـول الموضوع الى الحد الذى جعله يستبعد بعضا من الجوانب اللغوية التى كان يعتقد أنها لاتصلـح للدراسة وفق المعايير العلمية الدقيقة . فى حين كان سابير انسانيا فى نظرته الى اللغة وهو ما يتوقع من مثله نظرا لتنوع ثقافته ولذا اهتـم كثيرا بابراز الجانب الحضارى والثقافى للغة ، على أساس أن العقل سابق على الارادة والشعور كما أبرز ما سـماه « بالسمة الادراكية » للغة » وأن اللغة ماهى الا ظـاهرة انسانيـة خالصـة Purely human وغير غريزية non - instinctive

وفى خلال فترة وجيزة أصبح كتاب « اللغة » لسابير من أسـهل الكتب قراءة ومن أوسعها إنتشارا اذا قورن بكتاب بلومفيلد ، والحق أن الكتاب قد صيغ فى قالب محكم ومتجانس كما احتـوى على مقارنـات موحية ، غير أن عدم اهتمام « سابير » بجوانب كثيرة من اللغة ورفضه لها أضفى على الكتاب مسحة من الغموض لانجدها فى كتاب بلومفيلد ، ومع ذلك فقد استحوذ كتاب سابير على اهتمام علماء اللغة ومازال حتى أيامنا هذه وان لم ينته ذلك الى انشاء مدرسة لغوية تنسب الى سابير

نقص في النسخة

من ص ٦٧ إلى ص ٧٩

5636

وبناء على ذلك فان النظرية اللغوية ليس أمامهـا الا دور المسوغ justification للقواعـد النحوية فى اللغات المختلفة ، وقـد مضى يدبر الأمر للوصول الى معيار يمكن الحكم به على أن قواعد نحوية معينةهى أفضل القواعد لتحليل المادة اللغوية ، ولكنه أنتهى الى أن هذا الهدف — أى وضع نظام محدود ثابت للتحليل اللغوى — هدفطموح جدا وأن أقصى ما يمكن أن تطمح اليه أى نظرية لغوية هو أن تقـدم لنا معيارا أو أجراء تقويميا evaluation Procedure يمكن عـن طريقـة أن يختار من بين الاجراءات أفضلها فى التحليل اللغـوى ومعنى هذا أننـا لا نستطيع الحكم بأن وصفا معنيا لمادة لغوية هـو الوصف الصحيـح بشكل مطلق ،وانما نستطيع القول بأن هذا الوصف أفضل أو أكثر صحة من أى وصف آخر لنفس المادة اللغوية لا أكثر ولا أقل .

وقد تسببت التفرقـة التى وضعها تشومسـكى بين مـا أسماه الاجـراءات المحددة decision procedures وبين ما أطلـق عليه الاجراءات التقويمية تسببت فى كثـير من الخلط والاضطـراب اللذين لا مبرر لهما ،لأن أى عالم من علماء الطبيعة لايستطيعأن يدعى مثلا أن النظرية النسبية تقدم لنا أفضل تفسير للمادة التى تتصل بها ، ولكنهـا تعتبر من أفضل النظريات القائمة على تصورات نيوتن فى علم الطبيعة والتى احتلت مكانها نظرية اينشتين ،ومرة أخرى ، لماذا يجب على علماء اللغة — كما يقول تشومسكى — أن ينظروا الى آفاق أبعد مما تنظر اليه العلوم الأخرى .

ولقد ذهـب بعض الناس الى أن تحديـــد تشومسكى لأهـداف النظريات اللغوية على أساس المقارنة بين أكثر من نظام نحوى لاختيار الأصلح منه ، ذهبوا الى أن مثل هذا التحديد يتجاهل حقيقة هامة وهى أن كثيرا من اللغات لاتكاد تملك نظاما نحويا كاملا أو قريبا من الكمال ، وهذه حقيقة لامراء فيها ولكن ذلك لايعنى أن الكلام عند المقارنـة بين

عدة نظم نحوية لاختيار الأفضل منها أمر غير مباح لأن بناء نظـام من القواعد يتصل بكثير من القرارات التي يجب على عالم اللغـة البت فيها لكي يعالج المادة اللغوية بطريقة أو بأخرى، بل اذا افترضنا أن هذه القواعد لاتصف الا بعض أجزاء ضئيلة من المادة اللغوية فلابد حينئذ من تحديد بدائل أخرى للمقارنة والاختيار أو كما يقول تشومسكي وأن المهمة الملقاة على عاتق النظرية اللغوية هي أن تحدد هـذه البدائل وأن تضع الأصول العامة للاختيار من بينها •

واذا كان تشومسكي قد اقترح على النظرية اللغوية أن تتخلى عن فكرة الاجراءات الكشفية discovery procedres التي نادى بها البلومفيلديون ووضع لنفسه أهدافا محدده للنظرية اللغوية أكثر تواضعا من تلك التي ناى بها البلومفلديون من قبل الا أن هناك من يشعرون بأن مقترحات تشومسكي في هذا الصدد أكثر طموحا من تلك التي قدمهـا ابلومفيلديون •

وقد حاول تشومسكي قبيل ظهور كتابه « التراكيب النحوية » أن يضع بعض اجراءات التحليل اللغوى وضعـا رياضيا دقيقـا وذلك في مقال صغير مشهور له بعنوان « نظم التحليل النحوى » Systems of Syntactic analysis. وقد اعتمد في هذا المقـال على ماكتبه هارس في كتابه «مناهج في علم اللغة البنيوى» Methods in Structural Linguistics ولكن التجربة التي خرج بها من كتابه هذا المقـال أقنعته بعد دراسة وفحص لبعض المقترحات التي طرحت لتطوير النظرية اللغوية بأن الأعمال العلمية التي تتصدى لمثل هذا الموضوع والتي ينبغي عليها أن تضع بوضوح اجراءات استكشاف النظام النحـوى الامثل ، لا تصل في النهاية الا الى وضع اجراءات تقويميـة evaluation procedures للقواعد النحوية •

ولعل من أعظم الأعمال الأصيلة التي سيظل تشومسكي يذكر بها

دائما فى ميدان علم اللغة هى الدقة الرياضية والاحكام اللذين صاغ بهما عملية الاختيار بين النظم المختلفة لوصف القواعد النحوية • وربما نجد التفاصيل الكاملة حول هذا الموضوع فى الفصول القادمة من هذا الكتاب، أما الآن فسنكتفى بتناول مسألة أو مسألتين من المسائل العامة فى هـذا الموضوع •

لاشك أن الذى يتصفح كتاب تشومسكى « التراكيب النحويـة » سيرى منذ البداية أن تشومسكى يتحدث عن القواعد النحويـة عـلى أنها جهاز device من نوع مـا لانتاج الجمل فى اللغة التى نقـوم بدراستها وتحليلها ، وقد أدى استعمال تشومسكى لكلمات مثل جهـاز وينتج produce فى مثل هذا السياق ، أن ضل كثير من القراء عندمـا تصوروا أن الرجل يرى قواعد اللغة كأنها آلة الكترونية أو آلة ميكانيكية تدير المتكلم عندما ينطق بجمله من الجمل فى لغة مـا • وهنا لابد من التنويه أن تشومسكى استعمل مثل هذين المصطلحين لأنه كان ينشد الدقة الرياضية التى حاول أن يضفيها على تصوره لقواعد اللغة ، كما أنـه أستعمل هذين المصطلحين بصورة تجريديـة abstract تامـه دون الاشارة الى أيه خصائص طبيعة لاى نمـوذج model آلى حقيقى يمكن أن يتجسد فيه مصطلح مثل كلمة « جهاز » •

ولعله من سوء الحظ أيضا أن تشومسكى قد استعمل كلمة أخرى هى كلمة « ينتج » بجانب كلمة « جهاز » حيث توحى الكلمـة الأولى حتما بأن التركيب النحوى للغة ما ، انما يدرس ويوصف بنـاء عـلى تصور المتكلم speaker دون السامع listener أوبعبارة أخرى أن القواعد النحوية تصف الطريقة التى ينتج بها الكلام ولاتصف الطريقة التى يستقبل بها • ولذا فهناك أحساس ما — كما سنرى فيما بعد — أن القواعد النحوية التى أقترحها وقدمها تشومسكى تقوم فعـلا بانتاج الجمل عن طريق تطبيق سلسلة متعاقبة من القواعد • ولكن تشومسكى يحذرنا دائما من أن نتصور أن أنتاج الجمل تم من خلال نفس القواعد

التى ينتج بها المتكلم الجمل فى أى لغة ، لأن قواعد اللغـة انما هى قواعد محايدة neutral بـين الانتـاج والاستقبـال reception وأنها قد تفسر — الى حد ما — كلا من العمليتين ، ولكنها بلا شك تنحاز الى احداهما دون الأخرى •

ومع ذلك فان تشومسكى لايتكلم — عادة — عن القواعد النحوية على أساس أنها هى التى تنتج الجمل وانما يستعمل دائما مصطلح يولد generate وهذا المصطلح هو الذى استعمل فى بداية هذا الفصل ، ولكن ما الدلالة الدقيقة لهذا المصطلح ؟

لقد رأينا من قبل أن النحو التوليدى هو الذى يظهر projects أكبر مجموعة معينة من الجمل اللامتناهية infinite وهذه المجموعة من الجمل تمثل اللغة التى نريد دراستها ووصفها ، وأن من خصائص القواعد النحوية أن تعكس reflects الجانب الابداعى للغة الانسانية •

ولكن مصطلح التوليد عند تشومسكى له دلالة أخرى غير تلك التى أشرنا اليها قد تتساوى معهـا ان لم تتفوق عليهـا فى الأهميـة أمـا الدلالة الثانية فنجد أن مصطلح التوليد مشروح بدقة بحيث يضم بين طياته الدلالة على التحديد الصارم للقواعد النحويـة والشروط التى تعمل فيها ، ولعل من الافضل أن نشرح هذه الدلالة لمصطلـح التوليد بواسطة مثال بسيط من الرياضيات والحقيقة أن أستعمـال تشومسكى لمصطلح التوليد مأخوذ فعلا من الاستعمال الرياضى • والآن ، فلننظر الى المعادلة الجبرية الآتية :

٢س + ٣ ص — ز

حيث نجد أن المتغيرات variables س ، ص ، ز يمكن تحـديد قيمتها من خلال هذه المعادلة وذلك طبقا للعمليات الرياضية العادية بحيث

تولد مجموعة من النتائج ذات قيمة غير محدودة ، فمثلا اذا أفترضنا أن:

س = ٣ ، ص = ٢ ، ز = ٥

فاذا ما عوضنا بهذه القيم فى المعادلة السابقة تكون المعادلة كما يلى :

٢×٣ + ٣×٢ — ٥

٦ + ٦ — ×

١٢ — ٥

∴ النتيجة = ٧

ولكن اذا أفترضنا أن :

س = ١ ، ص = ٣ ، ز = ٢١

وبالتعويض بهذه القيم فى المعادلة السابقة ستكون صورتها كما يلى :

٢ × ١ + ٣ × ٣ — ٢١

٢ + ٩ — ٢١

١١ — ٢١

∴ النتيجة = — ١٠

وهكذا نتغير النتيجة فى كل مرة تختلف فيها قيم هذه المتغيرات وبناء على ذلك نستطيع القول بأن النتيجة (٧) ، (— ١٠) ... الخ هى جزء من مجموعة القيم التى يمكن أن تولدها هذه المعادلة ،فاذا جاء شخص آخر وطبق القواعد الرياضية تطبيقا صحيحا وحصل على نتائج مختلفة فاننا حينئذ نقول أنه لابد قد أرتكب خطأ ما ، ولكننا لانقول أن القواعد الرياضية غامضة أو غير محددة وبذلك نترك مجالا للشك فى

الطريقة التي ينبغي بها تطبيق مثل هذه القواعد ومفهوم تشومسكي القواعد النحوية يشبه هذا تماما ، من حيث أنها لابد أن تكون محددة تحديدا صارما مثل القواعد الرياضية أي أن تكون منطقية Formalized (١) • ذلكم هو المصطلح الفني الدقيق الذي يعبر عن ذلك •

---

(١) أن ترجمة مصطلح Formal بـ « منطق » هنا وفي كثير من المواضع في هذا الكتاب أقرب الى الدقة والصحة من ترجمته بالشكل أو الشكلي وان كنت قد ترجمته في مواضع نادرة بذلك خضوعا للسياق الذي استعمل فيه ولكن في الأغلب الأعم فان هذا المصطلح يقصد به الجانب المنطقي الرياضي لان تصور تشومسكي — كما سنرى — للقواعد النحوية أو اذا شئنا الدقة الأصول القواعد النحوية هو تصور محدد دقيق يقترب من تصور علماء المنطق والرياضات من حيث الدقة والوضوح والتحديد ، ولذلك نجده يفرد للجمل الغامضة أو كمايقول القدماء للجمل التي بها لبس مكانا بارزا فينظريته من حيث أنها جمل ذات وضع خاص يضاف الى ذلك أنه استوحى الأصول العقلية العلمية التي نادى بها ديكارت كما سنرى ولذلك كله آثرت أن أترجم هذا المصطلح في أغلب المواضع بالمنطقية الا في مواضع نادرة خضوعا للسياق ، ولعل المعادلات السابقة التي أشار اليها المؤلف تقدم لنا الدليل الواضح على صحة ترجمة المصطلح بالمنطقي والمنطقية دون الشكل والشكلية كما فعل بعض المترجمين ذلك أن هذه المعادلات تقوم على فكرة الثوابت والمتغيرات وهي فكرة مستقاه من المنطق الرمزي symbolil Logic وقد أشرنا الى ذلك في تعليق سابق غير أننا نرى هنا التطبيق العملي لاستغلال مقولات المنطق الرمزي في علم اللغة فالمعادلة التي يشير اليها المؤلف هنا وترجمتها :

= ٢ س + ٣ ص — ز

فاذا مضينا فى تعريف القواعد النحوية بما لها مـن صلة بالقدرة اللغوية عند ابن اللغة كما فعل تشومسكي فسنجد أننا لابد أن نأخذ فى

= هى معادلة تحتوى على متغيرات هى س ، ص ، ز أمـا الثوابت فهى عمليات الجمع والطـرح والضرب ، أما المتغيرات فتمثـل العناصر غير الثابتة أى التى تؤدى الى أختلاف قيمة هذه المعادلة فى كل حالة نعوض عنها بقيمة مختلفة وأمـا الثوابت فهـى التى تحتفظ بالعلاقات الثابتة بين هذه المتغيرات رغـم اختلاف النتائج وبناء على ذلك فى اللغة فان الاسناد فى جملة مثل :

١ — الشباب طموح

هى علاقة ثابتة تجعل هذه الجملة تتصل بالعديد من الجمل الأخرى مثل :

٢ — الورد جميل

٣ — السماء صافيـة

٤ — زيد قائم

٥ — قام زيد

وفى نوع آخر من الجمل المركبة مثل :

١ — جاء زيد وذهب عمر

فان الثوابت هنا هى الاسناد وواو العطف مما يؤدى الى تشابه هذه الجمل مع جمل أخرى مثل :

٢ — القمر منير والسماء صافية

٣ — الورد جميل والنسيم عليل ... الخ .

ومعنى هذا أن العلاقات النحوية وأدوات العطف والجز والشرط الاستفهام .. الخ هى ثوابت وهو ما يفسر لنـا فكرة التحويـل والبنية العميقة والبنية السطحية حيث تمثل البنية العميقة — كما سنرى — الثابت وتمثل البنيـة السطحية المتغير لكـن القواعد التحويلية هى التى تحول الثابت الى متغير يمكن رده عن طريق القواعد التحويلية الى الثابت مرة أخرى وكلها عمليات منطقية فى أساسها وهو جانب آخر من جوانب استغلال المنطـق الرمزى ونتائجه فى الدرس اللغوى المعاصر . (المترجم)

الحسبان ظهور جمل صحيحة نحويا ، وكذا اخفاق السامعين فى تحليـل الجمل الصحيحة نحويا تحليلا كاملا وهو ما يشبه تماما النتائج المختلفة التى قد نحصل عليها عند تقويمنا لعملية رياضية ، حيث يرجع هـذا الاختـلاف فى النتائـج الى أخطـاء حدثت فى الأداء preformance أى الى أخطاء وقعت أثناء تطبق القواعد •

وبناء على مانادى به تشومسكى ، فان القواعد النحوية لاى لغـة ما ، ينبغـى أن تولـد جميع الجمـل والجمل فقط فى هـذه اللغـة all and only sentences وإذا تحير القارىء من اضافـة كلمـة « فقط » and only فانما هذا مجرد مثال عادى للدقة والاحكام اللتين يتطلبهما التحديد المنطقى ، ولا بأس عليه فأن يتصور أن وضع القواعد النحوية على هذا النحو معناه أن هذه القواعد تولد مثـلا كل تأليـف مركب من الكلمات فى اللغة الانجليزية • وهـذه الصورة تعد صـورة بسيطة وواضحة • المهم أن نتأكد دائما أن هـذه القواعد تولد جميـع الجمل فى أى لغة ولكن ليس كل تأليف مركب من كلمات يعتبر من الجمل•

وهنا تظهر فائدة اضافة كلمة « فقط » حيث تدل على أن المقصود هو توليد الجمل وحدها دون صور التراكيب الأخرى التى لاتدخل فى اطار الجمل •

ولكن ألا ترى معى أن توليد جميع الجمل والجمل فقط فى اللغـة الانجليزيـة أو أى لغة أخرى مطلب طموح بل مستحيل ، الحقيقة أن هذا التصور أنما يقدم نموذجا مثاليا لعمل القواعد النحوية قـد يكون من المستحيل تحقيقه ، الا أنه يمثل هدفا ينبغى عـلى كل نحوى مـن نحاه أى لغة أن يعمل دائما من أجل الوصول اليه ، حتى اذا ما توصلنا الى أن نحوا من الأنحاء أفضل ، بينما الأنحاء الاخرى متساوية فمعنى هذا أن مثل هذا النحو قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من المثال المنشود

غير أن هناك حقيقة لابد من الكشف عنها رغم ما قد يبدو فى ذلك من تعارض فى الظاهر ، وهى أن المرء ليس ملزما بتصـــور تشومسكى المثالى عند توليد جميع الجمل والجمل فقط ، فى اللغة لأن وضع حدود فاصلة بين سلسلة متتابعة من الكلمات وبين سلسلة أخرى على أساس أن احداهما صحيحة نحويا والأخرى غير صحيحة نحويا أمر من الصعب البت فيه بشكل قاطع ولكن من السهل أن نقرر دائما أن سلسلة معينـــة من الكلمات من الممكن أن تولدها أولا قواعد اللغة •

وقد ذكر تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » أنه من المألوف فى فلسفة العلم اذا ما وضعت نظرية ما لكى تفسر الحالات الواضحة ، فان هذه النظرية نفسها يمكن أن تستعمل فى تفسير الحالات غير الواضحة ويبدو أن تشومسكى مؤمن بهذه الحقيقة حتى بالنسبة لعلم اللغة ولذا فان النحو التوليدى عنده نظرية علمية •

ولكى يتضح لنا المقصود من ذلك ، نقدم للقارىء المثـــال البسيط التالى وهو مثال لم يستعمله تشومسكى • هـــب أن هنـــاك عددا من المتكلمين باللغة الانجليزية يرفضون قبول جملة مثل الجملة الآتية :

the house will have been being built

فى حين قد نجد بعضا من المتكلمين يقبل هذه الجملة على أنها جملة عادية تمامـــا •

ولما كانت أحكام أبناء اللغة على صحة الجمـــل أو قبولها تتنـــوع وتختلف بطريقة منتظمة تبعا لاختلاف اللهجات التى يتحدثون بها فـــان حالة جمل عارضة مثل الجملة السابقة تبدو غامضـــة وغير محددة اذا ما عارضناها بجمل أخرى محدد ومقبولة مثل الجمل الآتية :

The house will have been built.

The house is being built.

They will have been building the house.

أو حتى بجملة غير مقبولة قطعا مثل :

The house can will be built.

ولما كنا أيضا لانستطيع أن نتنبأ اذا ما كانت جملة مثل :

The house will have been being built.

جملة صحيحة نحويا ، أم لا ، فاننا نستطيع وضع القواعد النحوية بحيث تحتوى include على كل الجمل المقبولة بصفة قاطعة وتستبعد exclude في الوقت نفسه أيضا ، كل الجمل المقطوع بعدم قبولها ثم ننظر بعد ذلك ، هل تقبل هذه القواعد أو تستبعد جملا مثل :

The house will have been being built.

الحقيقة أن القواعد التى قدمها تشومسكى فى كتاب « التراكيب النحوية » تسمح بتوليد مثل هذا النوع من الجمل فى اللغة الانجليزية وبالتالى تعتبر جملا صحيحة نحويا (١) .

---

(١) لاشك أن تنوع أحكام أبناء اللغة الواحدة صدد عدد من الجمل أو صدد بعض الاستعمالات ينبع أصلا من اختلاف اللهجات الاجتماعية أو الاقليمية التى يستخدمها أبناء المجتمع اللغوى الواحد وقد أشار علماء العربية القدماء الى ألوان شتى من هذه الاستعمالات على المستوى الصوتى والصرفى والنحوى والدلالى ويشير المؤلف هنا الى اختلاف التركيب على المستوى النحوى داخل لغة معينة ولعل ماروى عن لغة « أكلونى البراغيث » من حيث المطابقة بين الفعل والفاعل فى التثنية والجمع يدل على ذلك كما تدل عليه أكثر القصة التى رواها أبو على القالى « ت ٣٥٦ هـ » فى كتابه الأمالى ونقلها عنه السيوطى (ت ٩١١ هـ) فى المزهر (١/٢٧٧) والرواية تقول : أن عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) ذهب الى أبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) وقال له : يا أبا =

وختاما لهذا الفصل أقول أنني حاولت أن أوجه النظر الى أهم

= عمرو ماشيء بلغنني عنك تجيزه؟فقال أبو عمرو : وما هو ؟ فقال عيسى بلغنى أنك تجيز « ليس الطيب الا المسك » بالرفع ، فقال أبو عمرو نمت وأدلج الناس ، ليس فى الأرض حجازى الا وهو ينصب ولا فى الأرض تميمى الا وهو يرفع ولكى يدلل أبو عمرو بن العلاء على صحة قوله هذا أحتكم لأحد أبناء اللهجة التميمية وآخر من أبناء اللهجة الحجازية وقال لبعض جلسائه : اذهبا الى أبى المهدى فلقناه الرفع فانه لايرفع واذهبا الى أبى المنتجع فلقناه النصب فانه لاينصب • وفعلا تم ذلك فلم يقدر التميمى الا على الرفع ولم يقدر الحجازى الا على النصب ويبدو أن التميمى لم يقدر على مخالفة عاداته اللغوية ولم يقدر على النطق الا بالرفع رغم تلقينه النصب ، أما الحجازى فقد أدرك الفرق بين الرفع والنصب وعرف أن الرفع ليس من لهجة قومه ولذلك قال :

ليس هذا لحنى ولحن قومى • ومثل ذلك ما ترويه كتب اللغة والنحو عن استعمالات ما الحجازية وما التميمية فالخبر فى الحجازية منصوب وبه نطق القرآن فى قوله تعالى « ماهذا بشرا » أما فى التميمية فهو مرفوع أى « ماهذا بشر » ومثل ذلك أيضا فى عمل النواسخ الحرفية فى قوله تعالى « ان هذان لساحران » وهو ما يفسر لنا الجدل النحوى الذى دار حول بيت الفرزدق المشهور :

كم عمة لك ياجرير وخالة ∴ فدعاء قد حلبت على عشارى

حيث جوزوا نصب كلمة عمة ورفعها وجرها على تقديرات وتأويلات بعيدة والذى لاشك فيه أن الفرزدق نطق بالنصب لأنه تميمى فهذا لحن قومه ولهجتهم وهو فى ذلك أصدق من تأويلات النحاة وقواعدهم ، ومعنى ذلك أن القواعد النحوية التى وضعها النحاة كان ينبغى أن تتسع لمثل هذه الاختلافات على أنها استعمالات صحيحة وليست شاذة • ولعل هذا ما دفع نحاة الكوفة الى توسيع نطاق القياس على كل ما نطقت به العرب (المترجم)

جانب من آراء تشومسكى الأولى حول أهداف علم اللغة ومنهجه وقلت أنه برغم أهتمامه الشديد بأهمية الجانب الابداعى من اللغـــة ورفضه لفكرة الاجراءات الكشفية كما عبر عن ذلك فى كتابه «التراكيب النحوية» برغم ذلك كله ، فانه كان أشبه بالبلومفيلديين أكثر من أى اتجـاه آخر ولعل أهم جانب من أعمال تشومسكى الاولى وأكثرها أصالــة يظهر فى وضعه عدة نماذج مختلفة من النحو التوليدى وسوف نفرد الفصول الثلاثة القادمة لهذا الجزء من عمل تشومسكى ثم نتناول بعد ذلك مـا أضافه من آراء جديدة فى الجوانب النفسية والفلسفية من اللغة .

الفصـــل الخامس

النحو التوليدى : صورة مبســـطة

أحب أن أقول بادىء ذى بدء أننا سوف نتناول بالدراسة والبحث فى هذا الفصل ، الجزء الهام والأكثر فنية من أعمال تشومسكى وستجرى المناقشة بصورة ميسرة بعيدا عـن التعقيدات الفنية لاننـا نفترض ــ مقدما ــ عدم وجود أى معرفة مسبقة عند القارىء عن الموضوع بل عدم وجود قدرة خاصة فى العلوم الرياضية . ولذا سنبدأ أولا بعرض بعض المصطلحات والمفاهيم التى تضع بين يدى القارىء صورة عامة عن النحو التوليدى لكى يستطيع فى النهاية أن يقدر آفاق الموضوع وأبعاده ومعاينه . ولابد لى أيضا أن أقول أن معالجـة تشومسكى الخاصـة لموضوع النحو التوليدى سواء فى كتابه « التراكيب النحوية » أو فى معظم ماكتب من مقالات يقوم على دراسات علمية على درجة كبيرة من العمق لايستهان بها ، وبخاصة تلك المقـالات التى سبقت ظهور كتاب «التراكيب النحوية» والتى ظهرت عام ١٩٥٥ م على شكل رسالة مكتوبة بالآلة الكتابة بعنوان « التركيب المنطقى للنظرية اللغوية » The logical structure of linguistic theoy ولم يستطع الحصول عليهـا آنذاك الا المكتبات الجامعية وعدد ضئيل من العلماء ممـن لهم اهتمام خاص بالموضوع ولكن هذه الرسالة طبعت بعد ذلك ، كما سنتعرض فى هذا الفصل النموذج مبسط من النحو التوليدي وهو أول نموذج من ثلاث نماذج تعرض لها تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحويـة » وكذا فى غيره من مؤلفاته .

وهذا النموذج يتصل بالتحليل النحوى للغة الانجليزية وغيرها من اللغات ، غير أنه تناوله بطريقة سريعة تفتقر الى قـوة البرهان الذى يحتاجها هذا التحليل وسنبدأ كمـا قلت بعرض عـدد من المصطلحات والمفاهيم التى سنحتاج اليها فى هـذا الفصل وفى الفصلـين السادس

والسابع أيضا حينما نتعرض لنماذج أخرى أكثر تعقيدا وفي خلال هذه الفصول الثلاثة سنفترض وجود نوع من المعرفة الحدسية intuitive لبعض الجمل والتراكيب في اللغة الانجليزية والتي نرى أنهـا تنتمي الى الجمل الصحيحة أو النحوية وكذا بالنسبة لبعض التراكيب التي نرى أنها غير صحيحة أو غير نحوية .

ولكن كيف نصل الى هذه المعرفة لكي نفرق بين هذين النوعين من الجمل والتراكيب ؟ كيف سنختبر هذه المعرفة ؟ تلك أسئلة — بلا شك — على جانب كبير من الأهمية ولكنها بعيدة عن الوصف النحوي الذي هو أهم ما يشغلنا الآن .

ولعل البداية المناسبة هي أن نبدأ أولا بتحديد وتعريف اللغة التي يتم وصفها ودراستها بواسطة قواعد نحوية معينة ، فنقول انها عبـارة عن جميع الجمل التي تولدها هذه اللغة وهذه الجمل اما أن تكون جمل محدوده finite أو غير محدودة infinite العدد . وفيما أعلم فان عدد الجمل في اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات الطبيعية غير محدود أو على الاقل من الصعب حصره لأن هنـاك جملا وعبارات في اللغة الانجليزية قد تطول وتمتد الى غير نهاية ومع ذلك فهي جمـل عاديـة normal ومقبولة من المتكلمين بهذه اللغة والمثال الواضح عـلى ذلك الجملة الآتية :

This is the man that married the girl that...... (1)

---

(١) هذا لون من الجمل المركبة التي أطلق عليها ابن هشام (ت٧٦١هـ) مصطلح الجمل الكبرى في مقابل مصطلح الجمل الصغرى (مغني اللبيب ٢/٣٨١)حيث نجد أن الجملة الكبرى قد تكون جملة اسمية أو جملة فعلية ، أما الاسمية فهي التي خبرهـا جملة أخرى مثل « زيد قام أبوه » و «زيد أبوه قائم» أما الفعلية فهي مثـل =

وهناك جمل أخرى كثيرة قد تمتد الى أى مدى نريده ولكـن مـن

= «ظننت زيدا يقوم أبوه» ثم يقول قد تكون الجملة صغرى وكبرى باعتبارين نحو « زيد أبوه غلامه منطلق » مجموع هـذا الكلام جملة كبرى لاغير . «وغلامه منطلق» صغرى باعتبار جملة الكلام ومعنى هذا أن الجملة الكبرى عنده هى التى تتركب من أكثر من جملة سواء أكانت مركبة من جملتـين اسميتين أو جملتـين فعليتين ومعنى هذا أيضا أن المجل الصغـرى هى التى تتركب من فعل وفاعل فقط أو مبتدأ وخبر مفـرد لاغير ولذلك يقسم الجملة الكبرى الى ذات وجه والى ذات وجهين فأما ذات الوجهين فهى اسمية الصدر فعلية العجز نحو «زيد قام أبوه» أو العكس أى فعلية الصدر اسمية العجز مثل «ظننت زيدا أبوه قائم» وأما ذات الوجه الواحد فهى الاسمية مطلقا مثل «زيد أبوه قائم» أو الفعلية مطلقا مثل «ظننت زيدا يقوم أبوه»وكل ذلك يدل على أن الجمل فى العربية مثلها فى اللغات الأخرى ممكن أن تمتد وتطول وتتعقد وهو مانجده فى العربية متمثلا فى الجمـل التى لا محل لها من الاعراب أو الجمل التى لها محـل من الاعراب مثـل جمل الصلـة والنعت والحـال وجملة الاستئنـاف والجملـة الاعتراضية والتفسيرية وغير ذلك .

ولعل ذلك ماجعل ابن هشام يأتى بأنواع هذه الجمل بعد شرحه لأقسام الجمل من بحيث أقسامها لجمل صغرى وكبرى (مغنى اللبيب ١/٣٨٢ ومابعدها) كأنما هو يرى أن هذه الجمل هـى التى تقوم بمهمة التطويـل ولكن الأمـر فى النهايـة يخضـع الى حدود تقف عندها الجمل مهما أمتدت وطالت ومعنى هـذا أن طول الجملة قد يكون محدودا ولكن عدد الجمل غير محدود ولنا تعليق آخر حول تقسيم ابن هشام هذا للجمل عندما يتحدث المؤلف عن الجمل الاصلية والجمل الفرعية وكذا عند حديثه عن الجمل التابعة .

انظر التعليقات الأخرى فى مواضعها من الكتاب .

(المترجم)

الواضح أن هناك حدودا عملية معينة تتدخل للحد من الطول الذى قد تمتد اليه أي جملة سواء فى اللغة الانجليزية أو فى غيرها من اللغــات ولكن النتيجة أنه لايوجد حد نهائى يمكن وضعه لطول الجمل فى اللغة الانجليزية • ومعنى هذا أننا نقبل من الناحية النظرية أن عدد الجمل الصحيحه نحويا عدد غير محدود فى أي لغة ، غــير أننا نعرف أن عدد الكلمات فى اللغة الانجليزية عدد محدود أو على الأقل سنفترض ذلك ، وكذا ثمة فرق واضح فى الكلمات التى يعرفها كلمتكلم بلغة ما ومثلذلك أيضا الاختلاف بين الكلمات النشطــة active والكلمات الخاملــة Passive والثروة اللفظية لكل فرد أى بين الكلمات التى يستعملهـا فعلا وتلك التى لايستعملها ولكنه يستطيع التعرف عليها وفهمهــا اذا ما استعملها شخص آخر (١) وما من شك فى أن عــدد الكلمات النشطة أو الخاملة التى يستعملها متكلم ما باللغــة الانجليزية عــدد غير ثابت ولو فترة وجيزة من الزمن لكننا سنغض الطرف عن هذه الحقائق كلها عندما نأخذ فى مناقشة قواعد اللغة الانجليزية بــل توخيـنــا للتبسيط سنفترض أن مفردات هذه اللغة غير متنوعة وأن عدد الكلمات فيهــا ثابت محدود ، وكذلك عدد العمليات اللغوية التى تدخل فى توليد الجمل وليس ثمة سبب يدعونا الى الظن بأن مثل هذا الفرض مستحيل وحيث أنه غير مستحيل فان هذا يعنى أن الجمل فى اللغة الانجليزية يمكــن توليدها عن طريق مجموعة محددة من القواعد •

والآن اذا كان النحو يتألف من عدد محدود من القواعد التى تعمل من خلال عدد من المفردات ، وكانت هذه القواعد قادرة علي توليد عدد

---

(١) حول تقسيم الثروة اللفظية الىكلمات نشطة والى كلمات خاملة سواء على مستوى الاستعمال الفردى أو عــلى مستوى اللغــة انظر كتابنا الكلمة ص ١٢٩ وما بعدها (المترجم)

غير محدود من الجمل ، فان هــذا يعنى بالضرورة أن عدداً من هذه القواعد لابد أن يصلح للتطبيق أكثر من مرة وتسمى مثل هذه القواعد أو التراكيب التى تولد باسم التراكيب أو القواعد المتكررة recursive وليس هناك مايمنع من قبول الفكرة القائلة بأن اللغة الانجليزية لابد أن تتضمن عددا معينا من هذه القواعد المكررة •

ومن البديهى أننا عندما نضيف فقرة مثل :

that wrote the book.

الى جملة مثل : this is the man that married the girl

بغرض تطويلها فان هذه الاضافة تحمل نفس الطابع الذى نجده فى فقرة مثل : that married the girl. (1)

---

(١) يشير المؤلف الى تكرار بعض القواعد فى بناء الجملــة وبخاصة عندما نريد تطويل جملة مثل الجملة التى أشار اليها وقد نجــد مثل ذلك فى اللغة العربية حيث نقول مثلا :
« هذا الرجل الذى تزوج من الفتاة التى تعمل فى عيادة الطبيب الذى جاء عندنا بالأمس » •
حيث نلاحظ أن جملة الصلة الأولى وهى (تزوج) تشبه جملــة الصلة الثانية (تعمل) كما تشبه أيضا جملة الصلة الثالثة (جاء) من حيث أن كلا منها جملة فعلية تتكون من فعل وفاعل ومعنى هــذا أن القاعدة قد تكررت ثلاث مرات ومثل ذلك أيضا نجده عندما تكون جملة الصلة جملة اسمية حيث تتكون من مبتدأ وخبر وهو مايقصده المؤلف من تكرار القاعدة أكثر من مرة وخاصة عندمــا نريد اطالة الجملة على هذا النحو البسيط المباشر ومع ذلك فهناك أكثر من طريقة لاطالة الجملة غير استخدام جملة الصلة على =

التى أضيفت من قبل الى الجملة الأصلية ، ويتضح ذلك اذا تذكرنا ما سبق أن قررناه فى الفصل الثانى من أن الجمل تتمثل فى مستويين two levels همـا :

١ — المستوى التركيبـى syntactic level وهو عبـارة عن تعاقب مجموعة من الكلمات .

٢ — المستوى الفنولوجى phonological level وهـو عبارة عن تتابع مجموعة من الفونيمات .

ويمكن أن ننظر الى المستوى النحوى للجملة على أساس أنه شىء مستقل كليا أو جزئيا عن النظام الذى تظهر فيه الكلمات متعاقبة ترتبط احداهما بالأخرى .

= النحو السابق ولكننا غالبا مانلاحظ أننا مهما أطلنا الجملة سواء كانت اسمية أو فعلية فاننا فى النهاية نطبق قواعد الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية أكثر من مرة داخل الجملة الأصلية أو التابعـة للجمل الأخرى التى نطيل بها هـذه الجمل الأصلية أى بعبـارة أخرى هناك قواعد ثابتة لتكوين جمل غير ثابتة ، والمؤلف هنـا يريد أن يشـير الى الطاقـة غير المحدودة للقواعـد النحويـة المحدودة ، وهو ما أطلق عليه تشومسكى الجانب الابداعـى فى اللغة ، فاللغة تولـد بواسطـة عدد محـدود من الفونيمـات والمورفيمات والقواعد النحوية عددا غير محدود ولا نهائى مـن الجمل والكلمات والعبارات ومن ثم فان فكرة القواعد المتكررة أو القاعدة المتكررة تفسر جانبا من هذه القدرة الخلاقة فى اللغـة الانسانية وهى قدرة سنرى فيما بعد أنها تميز اللغـة الانسانية من لغة الحيوان (المترجم)

وقد درس بعض النحاة التقليدين عددا من اللغات وفق هذا المفهوم ووصفوا هذه اللغات بأنها ذات نظام حر فى ترتيب الكلمات Free word order (١) • على أى حال واتباعا لرأى تشومسكى فاننا سنتخذ من ذلك تعريفا يقول : ان كل سلسلة مكونة من مجموعة من الكلمات المتعاقبة هى عبارة عن جملة مختلفة عن أى سلسلة أخرى شريطة أن تكون صحيحة البناء Well Formed

وطبقا لهذا التعريف فاننا سنجد أن جملة مثل :

The dog bit the man.

---

(١) لاشك أن اللغات المعربة ومنها العربية واللاتينية تتمتع بهذا النظام الحر فى ترتيب الكلمات ووجود الاعراب فى هذه اللغات هو الدليل على ذلك ، والحق أن الاعراب فى العربية ليس زينة يسهل التخلى عنها كما قد يتصور البعض فهو وسيلة تعبيرية تحمل عبء أداء المعنى وتوصيله وهو ما تستبدل به اللغات غير المعربة النظام الثابت للجملة حيث يقوم هذا النظام مقام الاعراب فتتقدم الفاعل وتستعمل الفعل المساعد ثم تأتى بعد ذلك بمكملات الجملة ، ولايمكن أن يتقدم فيها المفعول مثلا على الفاعل الا فى لغة الشعر ، أما العربية واللغات ذات النظام الحر أو اللغات المعربة فنظام تركيب الجملة فيها يتمتع بقدر من المرونة والحرية لأن الاعراب هو الذى يدل السامع على الفاعل والمفعول ••• الخ •
ويكفى دليلا على ذلك قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقوله تعالى « ان الله برىء من المشركين ورسوله » وهى الآية التى كانت سببا فى وضع النحو العربى كما يقول الرواة ولو كان نظام الجملة الثابت هو الذى يحمل الدلالة على المعنى لتغيرت معانى الآيات تغيرا لايقبله مسلم (المترجم)

وجملة أخرى مثل :

The man bit the dog.

ليستا مختلفتين فقط وانما سنجد أن جملتين مثل :

I had an idea in my way home.

on my way home I had an idea.

بينهما نفس الاختلاف أيضا ٠

أما التركيب الفنولوجي فــلا دخل لــه هنا من الوجهــة النحوية الخالصة ، اذ أننا نستطيع اعادة ترتيب هذه الكلمات بطرق مختلفة ٠

وبناء على ذلك نستطيع أيضا أن نضع كلمــات لغة ما أى ثروتهــا اللفظية فى قوائم بطريقة عشوائية arbitrary ثم نعطى لكل كلمة منها رقما طبقا لموضعها من هذه القوائم ، ثم تستعمل هذه الأرقام بعد ذلك فى الاشارة الى هذه الكلمات عندما نقوم بدراســة ووصف التركيــب النحوى للجمل ٠

ولكن الكلمات تظهر — عادة — فى شكل سلسلة متعاقبة تتكون من عدد من الفونيمــات phonemes أو ان شئت فقــل عدد من الحروف letter حتى على المستوى النحوى (١) وسنتبع هذه الطريقة سواء

---

(١) قد يكون ذلك صحيحا بالنسبة للغات الأوربية وغيرها من اللغات التى لاتحتاج الى الضبط بالحركات فوق الحروف وأسفلها أما بالنسبة للغة العربية فان الحركات الطويلــة والقصيرة وكــذا حركات الاعراب تقوم بوظائف فنولوجية فمثلا نحن لا نستطيع أن نفرق بين اسم الفاعل من غير الثلاثى واسم المفعول منه الا بحركة واحدة هى كسر أو فتح ما قبل الآخر ٠ وكثيرا مايستغنى فى الطباعة العادية عن قواعــد الضبط مما يــؤدى الى اللبس أحيانا لو لم نحتكم الى سياق الكلام ٠ (المترجم)

فى ذكر الكلمات أو الوحدات النحوية syntactic units أى أننا سنذكرهـا طبقـا لصورتهـا الكتابيـة orthographic form ولكن على القارىء أن ينتبه الى أن هجـاء spelling الكلمات أو نطقها pronunciation مستقل عن كونها وحدات نحوية (١) •

ولكن من المعروف أيضا أن أى كلمتـين مختلفتين قـد تكتبان أو تنطقان بطريقة واحدة وفى الوقت نفسه هناك عدة طرق مختلفة لهجـاء أو نطق نفس هاتين الكلمتين •

ننتقل بعد ذلك لكى نميز بين مصطلحين • هما : مصطلح العناصر

---

(١) وفى هذا أيضا تختلف اللغات المعربة مثل العربية عن اللغات غير المعربة مثل الانجليزية وغيرها من اللغات الأوربية حيث نجد أن الكلمة فى اللغة العربية يتغير هجاؤها ونطقها بتغير وظيفتها النحوية أى هناك علاقة وثيقة بين نطق الكلمـة وكتابتها وبـين موقعها النحوى•اذ الكلمات فى اللغة العربية لها مواقع اعرابية تؤدى الى اختلاف النطق والكتابة أيضا واذا سلمنا بالتقسيم الثلاثى للكلم فى العربية فان الكلمة اما أن تكون اسما أو فعلا أو حرفا فـاذا كانت اسما فلابد أن يكون لها موقع اعرابى سـواء كـان مبنية أم معربة وفى حالة الاعراب غالبا ما تتغير طريقة نطق الحـرف الاخير وكتابته أحيانا كأن تقول مثلا « ضرب زيد عمرا » أمـا اذا كانت الكلمة فعلا فاما أن تكون معربة أو مبنية كأن تقول : « يضرب زيد عمرا » أو « لن يضرب زيد عمرا » أو « لم يضرب زيد عمرا » أو « ضرب زيد عمرا » أما اذا كانت حرفا فهى تلزم حالة واحدة ولاتتغير أى تكون مبنية • ومعنى هذا أن الكلمة قد تختلف صورتها نطقا وكتابة فىبعض اللغات تبعا لوظيفتها النحوية أى أن هناك ارتباطا بين الوظيفة النحوية للكلمة وبين طريقةكتابتها ونطقها وهو عكس ما أشار اليه المؤلف هنا • (المترجم)

الاضافية (المساعدة) auxilary elements ومصطلح العناصر الدائمة terminal elements

حيث نعتبر أن العناصر الدائمة هى التى تظهر فى الجملة فعلا مثل الكلمات على المستوى النحوى والفونيمات على المستوى الفنولوجى ، أما بقية العناصر أو الرموز الأخرى التى تقوم بدورها فى تكوين القواعد النحوية فهى التى تشكل العناصر الاضافية (المساعدة) مع ملاحظة أن العناصر والرموز التى تشير الى أقسام الكلام parts of speech يعتبرها النحو التوليدى — الذى نتعامل معه هنا — داخلة ضمن العناصر الاضافية .

يضاف الى ذلك كله أننا سوف نستعمل المصطلحات التقليدية المألوفة فى الاشارة الى أقسام الكلام — كما فعل تشومسكى — وذلك على النحو التالى :

V = Verb.
N = Noun.

وهكذا . أما بقية العناصر الاضافية الأخرى فسنعرض لها فيما بعد .

بقيت نقطة أخيرة وهامة قبل أن نمضى فى التعرف على هذا النموذج المبسط من النحو التوليدى وهى ، أن النحو التوليدى ينظر بدقة شديدة الى كل كلمة تنتمى الى طبقة class معينة من الكلام كأن تكون اسما أو فعلا بمعنى أنه لابد من تحديد الكلمة من الناحية النحوية تحديدا دقيقا ومعنى هذا أيضا أن القواعد النحوية — مثل تلك التى وضعها تشومسكى — تتطلب تحديدا دقيقا لكل كلمة فى الثروة اللفظية ، أى لابد أن تخضع كل كلمة لفئة نحوية Syntactic class أو طبقات نحوية تنتمى اليها ، وليس يكاف فى هذا الصدد أن نضع تعريفا يقول : « ان الاسم و كل ما يشير الى شخص أو مكان أو شىء » . ثم ننفض

أيدينا تاركين الأمر لأى شخص يريد تطبيق القواعد النحوية أن يقرر اذا ما كانت كلمة ما تندرج تحت هذا التعريف أم لا •

والآن ما أبسط النماذج النحوية التى طرحها تشومسكى ؟ للاجابة عن هذا السؤال نقول ان أبسط النماذج النحوية هى القواعد القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل بواسطة عدد محدود من القواعد المتكررة التى تعمل من خلال عدد محدود من المفردات ، وهذا النموذج البسيط من النحو التوليدى يسمى نموذج القواعد النحوية المحدودة • Finite state grammar وهو يقوم على مبدأ يقول بأن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات series of choices تبدأ من اليسار الى اليمين ، أى عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول فان كل اختيار يأتى عقب ذلك يرتبط بالعناصر التى سبق اختيارها مباشرة ، وبناء على ذلك يجرى التركيب النحوى syntactic structure للجملة • حيث نجد أن جملة مثل :

This man has brought some bread.

يتم توليدها على النحو التالى :

لقد اخترنا كلمة «This» التى تقع فى صدر الجملة ، وتم اختيارها من بين مجموعة من الكلمات أو من بين قائمة من الكلمات فى اللغة الانجليزية ، هذه الكلمات تصلح للوقوع فى صدر أى جملة فى هذه اللغة•

ثم تأتى بعد ذلك كلمة «man» وقد تم اختيارها على أساس أنها من الكلمات التى يجوز أن تقع بعد كلمة «This» وكذا كلمة «has» بناء على أنها من الكلمات التى يجوز أيضا أن تأتى بعد كلمة «That» أو كلمة «man» وهكذا •

ولكن ما الذى يحدث لو أننا أخترنا كلمة «that» بدلا من كلمة «This» لكى تحتل صدر الجملة ؟ لاشىء .. ، لأننا سنجد أن الاختيارات المترتبة على ذلك لم تتأثر بذلك الاختيار الأول لكلمة «that» لأن الجملة ستصبح على النحو التالى :

That man has brought some bread.

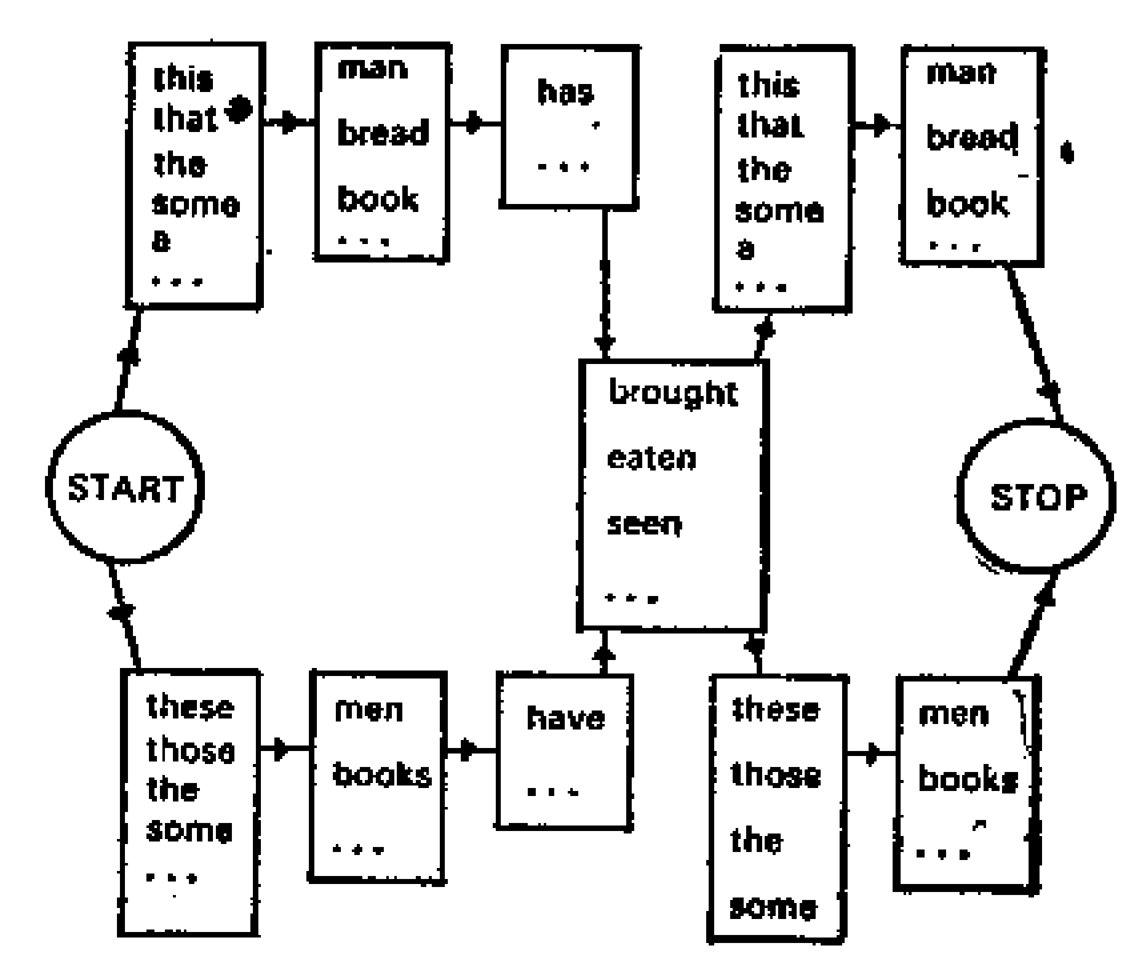
وهى جملة مقبولة تماما مثل الجملة الأولى .

بينما اذا اخترنا كلمة مثل «those» أو «these» لكى تحتل الصدارة فى الجملة فسنجد أن الاختيارات التالية تختلف بحيث لابد لنا من اختيار كلمة مثلا «men» لكى تحتل المركز الثانى فى الجملة ثم كلمة مثل «have» لكى تحتل المركز الثالث ثم تبقى احتمالات الاختيار للمركز الرابع وما يتلوه كما هى فى الجملة الأولى .

أما اذا اخترنا منذ البداية «the» لكى نستهل بها الجملة ، فسنجد أنه يمكن أن نستعمل اما كلمة «men» مع كلمة «has» أو مع «have»

واليك الرسم البيانى التالى لكى يوضح ماذكرناه آنفا وهو مايطلق عليه اسم « الرسم البيانى للحالة » state digram وقد تعمدت أن

أختار لهذا الرسم مثالا أكثر تعقيدا مما اختـــار تشومسكى فى كتابـــه « التراكيب النحوية » (ص ١٩) (١) ٠



شكل رقم (١)

---

(١) هذه «صورة» مبسطة لعملية بناء الجملة وتوليدها وهى تعتمدعلى مبدأ الاختيار ولكن هذا الاختيار قد يؤدى الى اضافة عناصر اجبارية نتيجة لهذا الاختيار الأول أى أن أى اختيار لأى عنصر لغوى يؤدى الى اختيار آخر هو فى الحقيقة مرتبط بالاختيار =

ولكى نفسر هذا الرسم البيانى لابـد أن نتصور أولا أن النحـو

= الأول وإذا كانت الجملة فى اللغة الانجليزيـة تبدأ من اليسـار الى اليمين كما هو معروف فان الاختيار فى العربيـة يبـدأ من اليمين الى اليسار وهو ما يشبه الى حد كبير تلك الجمـل التى يطلب تغييرها من المفرد الى المثنى أو الجمع أو من المذكر الى المؤنث مثال ذلك « هذا الرجل يكرم ضيفه » فاذا أردنا أن نغير هذه الجملة من حالة الافراد الى المثنى وجب اجراء عدة تغييرات واختيارات اجبارية حيث نقول فى مثل هـذه الجملة « هـذان الرجلان يكرمان ضيفهما » لكى تحدث المطابقة فى التذكير والتثنية بين المبتدأ والخبر ومثل ذلك فى المثنى المؤنث . أمـا اذا قلنـا « هؤلاء » بدلا من هذان أو هاتان فسنجـد أننا أمام عنـاصر اجباريه وعناصر اختيارية فهؤلاء تصلح أن يأتى بعدها جمـع مذكر أو جمع مؤنث وأما فى حالة اختيار هذا أو هذان فـلا يرد هذا الاحتمال لأن هذا اسم اشارة للمفـرد المذكر وهذان اسـم اشارة للمثنى المذكر . ومعنى هذا أن اختيار (هؤلاء) لكى نبدأ بها الجملة تؤدى الى احتمالين لاثالث لهما اما جمع مذكر واما جمع مؤنث . فنقول فى حالة التذكـير « هؤلاء الرجـال » وفى حالة التأنيث « هؤلاء النسوة » ، والاختيـار الثانى هـو الذى يحدد الاختيار الثالث فاذا قلنا « هؤلاء الرجال » فلابد أن نقول «يكرمون»واذا قلنا «هؤلاء النسوة» فلابد أن نقول «يكرمن» أما بالنسبة للكلمة الرابعة وهى كلمة « ضيف » فنحن أمـام عدة اختيارات فاما أن تبقى الكلمة على حالة الافراد فنقول مع المفرد « هذا الرجل يكرم ضيفه » ومع المثنى المذكـر نقول « هـذان الرجلان يكرمان ضيفهما أو ضيفيهما » وفى حـالة الجمع المذكر نقول (هؤلاء الرجال يكرمون ضيفهم أو ضيوفهم) وفى حالة جمع المؤنث نقول (هؤلاء النسوة يكرمن ضيفهن أو ضيوفهن) .
ومعنى هذا أن النحو هنا عبارة عن جهاز أو آلة يمكن أن تولـد عددا من الجمل بناء على اختيار الكلمة الأولى التى تصلح للبدء =

عباره عن آلة machine أو جهاز device ولكن بالمعنى المجرد الذي شرحناه في الفصل السابق ، كما لابد أن نتصور — ثانيا — أن هـذه الآلة أو ذاك الجهـاز يتحرك من خـلال عـدد محدود Finite unmber

---

= بها ومن ثم تتوالى سلسلة الاختيارات بعد ذلك بناء على هـذا الاختيار الأول وبطبيعة الحال فاننا نستطيع أن نوسع في هذه الجملة باضافة عناصر أخرى لتوليد جمـل أخرى كـأن تقول : (هذا الرجل الغنى يكرم ضيفه الفقير) وهكذا الى أن نصل الى جملة مثل : (هذا الرجل الغنى الواسع الثراء يكرم ضيفه الفقير الضعيف) وهو مانجده في اللغة الانجليزيـة أيضا ففـى المثال التالى :

1 — The man Comes.
2 — The men Come.

نجد أن البدء بكلمة «the» تؤدي الى اختيار كلمة «man» و «men» ولكن اذا وقع الاختيار على احداهما فان ما يليها يصبح اختيارا اجباريا لان اختيار «man» لابد أن يتبعه اختيار «Come» في حين أن اختيار «men» يؤدى الى اختيـار Come ويمكن أن نوسـع دائرة الجملة باضافة كلمات أخرى كأن نقول the old man comes The old men come ولكن تشومسكى لم يعتد بهذه الطريقة لسببين :

١ — أحدهما أن مايتولد عن هذه الطريقة من الجمل محـدود بينما اللغة تقدم جملا لانهاية لها •

٢ — الثانى أن هذه الطريقة قد تولد جمـلا غير مقبولـة أو صحيحة نحويا • ولذلك أطلق عليها اسم القواعد النحوية المحدودة finite state grammar وهو ما يوضحه الشكل رقـم (١) حيث تكون البداية بالكلمة التي يحتمل أن يبدأ بها ثم تلـى ذلك احتمالات أخرى يوضحها اتجاه السهم وبناء على ذلك فان هذا الشكل ينقسم الى قسمين منـذ البداية الأعـلى للمفرد والأسفل للجمع ثم تتوالى بقية الاختيارات بين اجبارية واختيارية تبعـا للبداية وما يليها • (المترجم)

من الحالات الداخلية internal staes التى تبدأ من الحالة الأولى initial state أى منذ البدايــة Start حتى الحـــالة النهائيـــة Final state أى النهاية stop وذلك أثناء عمــل هذه الآلـــة فى توليد الجمل •

فاذا ما بعث الجهاز بكلمة من مجموعة الكلمات التى تصلـح لكى نبدأ بها فان النحو حينئذ يتحول آليا الى حالة جديدة كما هو واضح من اتجاه السهم فى الرسم البيانى (شكل رقم ١) وبناء على ذلك فان أى مجموعة متتابعة من الكلمات تولد بهــذه الطريقة تعد حينئــذ صحيحة نحويا طبقا للقواعد النحوية الموضحة فى الرسم البيانى السابق •

ومعنى هذا أن القواعد النحوية الموضحة فى الشكل رقم (١) لن تولد — طبعا — الا عددا محدودا من الجمل • ولكن هذه الجمل يمكن أن تمتد — اذا ما سمحنا — لهذا الجهاز أن يتحول عائدا loop back الى المرحلة أو المراحل السابقة عند نقط اختيار معينة •

فمثلا نستطيع أن نضيف بضع أنشوطات .loops بين الكلمات :

[this, that, the some, a ....]

وبين الكلمات : [man, bread, book ......]

وكذلك بين : [these, those, the some ......]

وبين : [men, books ....]

بحيث تسمح لنا هذه الأنشوطات باختيــار عنصر أو أكثر مــن المجموعة التالية :

[awful, fat, big ....]

وبذلك تبدأ عملية توليد الجمل بالبدايات الآتية :

That awful man.

أو بـ : That big Fat

أو بـ : Some big fat awful

•••••• الخ •

وهكذا تستطيع القواعد النحوية أن تمتد بحيث تسمح بتوليد جمل مركبة Compound مثل :

That man has brought us some bread and his beautiful girl has eaten the cheese.

غير أن هذه الجمل جميعا مازالت تدور في دائرة الجمــل البسيطة التركيب ولكن الأمر سيزداد صعوبة وتعقيدا اذا تصورنا أنه يمكن بناء مايسمى بالقواعد النحوية المحدودة القادرة على توليد أكبــر عدد من الجمل كعينة نموذجية ممثلة للغة الانجليزية • حيث نلاحظ مثلا أنه كان ينبغي أن نضع that مع كـل مـن this, وكذلك مـع these, those ••• الخ وكذلك كان ينبغي أن نضع :

awful, fat, big, etc ....

في مواضع مختلفة لأن جملتين مثل :

this awful man.
these awful men.

جملتان صحيحتان • أما في جملتين مثل :

these awful man.
this awful men.

فهما جملتان غير مقبولتين • وهكذا نجــد أن مشكلات مــن هذا القبيل تبدأ في الظهور وتتضاعف سريعا اذا ما شرعنا في القيام بوضـــع « القواعد النحوية المحدودة » للغة الانجليزية وهذا النموذج لايحتوى الا على ميزات قليلة فضلا عن بساطة تركيبه • وبرغم أن تشومسكى أثبت في كتابه « التراكيب النحويـــة » (ص ٤ — ٢١) أن القواعــد النحوية المحدودة غير كافية لوصف ودراسة اللغات الطبيعية الا أنـــه لم يقبل رفضنا لها على أساس أن هذا الرفض قائم على بساطة النموذج

المقدم ولو أنه ـ كما قال ـ استند الى الاعتبارات العملية المعقدوالى حدس الناس عن الطريقة التي ينبغى أن توصف بها ظاهرة نحوية معينة لكان ذلك مقبولا ، كما قال أيضا أن هناك عمليات منتظمة فى اللغة الانجليزية تتصل بتركيب الجمل لايمكن تفسيرها مهما كان شأن التحليل الذى تقوم به فى اطار القواعد المحدودة ولكنه اعترف بعدم كفاءة هذا النموذج فى التحليل اللغوى أستنادا الى أن هناك اعتبارات كثيرة تربط بين الكلمات التابعة التى يعتمد بعضها على بعض وبين الكلمات غير التابعة وخاصة حينما تفصل بينهما عبارة أو فقرة تحتوى هى نفسها على هذين النوعين من الكلمات مثال ذلك :

Anyone who says that is lying.

حيث نجد أن هنا لنوعا من التبعية بين كلمة anyone والكلمتين is lying ولكن تم الفصل بينهما بشبه الجملة :

(Who Says that)

حيث نجد مرة أخرى علاقة التبعية تظهر فى شبه الجملة بين Says, who ويمكن أن تكون أمثلة على غرار ذلك ولكنها أكثر تعقيدا مثال ذلك :

Anyone who says that people who deny that ......
are wrong is foolish.

فى هذه الجملة نجد علاقة التبعية بين كلمة anyone وعبارة is foolish. وبين كلمة people وعبارة are wrong فاذا نظرنا الى شبه الجملة فسنجد أيضا العلاقة بين الكلمتين are, that وبرغم أنها شبه جملة الا أننا نستطيع أن نقحم فيها أيضا كلمات ترتبط فيما بينها بعلاقة التبعية وكلمات أخرى ترتبط بهذه العلاقة أى من الكلمات غير التابعة أو المستقلة . وهكذا نجد بين أيدينا جملة تعكس عدة خصائص أو بمعنى آخر اذا كان لدينا جملة مكونة من :

a+b+c ....X+y+Z

حيث توجد علاقة توافق أو علاقة تبعية بين أبعد

مكوناتها مثل (Z,a) وكذا بين المكونات التالية (y,b) وهكذا • فأى لغة تحتوى على عدد من هذه الجمل التى تعكس عدة خصائص مختلفة مثل هذه الجملة هى فى الحقيقة أكبر من أن يحتويها النموذج التوليدى الخاص بالقواعد النحوية المحدودة • ولقد قلت من قبل أن توليد الجمل عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليســار الى اليمين ليس النموذج المنشود ، فضلا عن بساطة تكوينها ويرجع السبب فى ذلك أن تشومسكى لم يلق بالا الى فكرة القواعد المحدودة وان كــان يرى أن اللغة تمتد الى ميادين كثيرة على درجة كبيرة من التعقيد بالاضافة الى علم النفس وعلم اللغة وخاصة بعد التطور الضخــم الذى حــدث فى طرق الاتصال ونظرية المعلومات بعد الحرب العالمية الثانية ولذا لــم يحاول تشومسكى أن يثبت أو حتى يدعى أن نظرية المعلومات ليست ذات صلة بالبحث فى اللغة ومعنى هــذا أن تطبيق نمــوذج القواعد المحدودة بناء على تتبع الكلمات فى الجملة كلمــة كلمة والتوليد مــن اليسار الى اليمين كل هذا لن يستطيع فى نهاية الامر أن يتعامل مع بعض التراكيب فى اللغة الانجليزية •

الفصـــــــل السادس

(قواعد تركيب أركـــان الجملة) (١)

وهو النموذج الثـــانى من نماذج النحـــو التوليدى التى قدمهـــا تشومسكى ، ولكن قبل أن نمضى فى الحديث عنه أحب أن أشير الى أن الفصل السابق قد تضمن فرضا يقول ان التركيب النحوى للجملة يمكن

---

(١) عنوان هذا الفصل باللغة الانجليزية هو «phrase Structure grammar» وترجمة كلمة phrase بكلمة « عبارة » أو « جملة » كما هو شائع لايؤدى الى الفهم الذى قصده تشومسكى من استخدام هـــذا المصطلح لأن النموذج الذى يقدمه تحت هذا العنوان ــ كمـــا سنرى من خلال هذا الفصل انما يعالج أركـــان الجملة ســــواء كانت فعلية أو اسمية ونفصل فيها بين الركن الاســـمى والركن الفعلى الذى قد يكون أحيانا اسما مفردا أو فعلا ولذلك فضلت أن أترجم عنوان الفصل « قواعد تركيب أركان الجملة » لأنـــه أدل على النظرية وعلى السياق الذى يستعمل فيه مصطلح phrase هنا وبناء على ذلك ترجمت noun phrase بالمركب الاسمى وليس بالعبارة الاسمية وكذا ترجمـــت verb phrase بالمركـــب الفعلى وليس بالعبارة الفعلية كما ذهب بعض من ترجـــم هذين المصطلحين ، للاعتبار الذى ذكرته آنفا وهـــو أن المركب الاسمى قد يكون اسما مفردا أو مركبا من اسم وأداة تعريف أو جمـــع مذكر سالم .. الخ وكذا المركب الفعلى قد يكون فعلا يحتوى على ضمير مستتر هو الفاعل أى أن الفاعل الـــذى هـــو مركب اسمى قد يكون ظاهرا أو مستترا فى العربية ، كما قد يكون الفعل مسندا الى تاء الفاعل مثلا أو ألف الاثنين أو ياء المخاطبة ..الخ، فالعربية فى ذلك تختلف عن اللغة الانجليزية ومعنى هذا اذا نظرنا الى الفعل «ضرب» على أنه جملة ، أى مكونة من فعل وفاعل فانه وفق هذا النموذج يصبح أحدهما فعلى ، هو الفعل ضرب والآخر اسمى هو الضمير المستتر ، أما فى الجمل ذات الفاعل الظـــاهر فلا مشكلة فى التحليـــل . (المترجم)

معرفتة بناء على تحديد الكلمات التى تتكون منها الجملة وكذا بناء على الترتيب الذى تظهر فيه هذه الكلمات ، كما عرفنا أيضا أن نمـوذج القواعد النحوية المحدودة الذى اتخذ من هذا الفرض أساسـا له غير كاف لتوليد أنواع معينة من الجمل فى اللغة الانجليزية ولكن النموذج الثانى من النماذج الثلاثة التى وضعها تشومسكى لدراسة اللغة ووصفها وهو مايسمى «بقواعد تركيب أركان الجملة» parase structure grammar كان فى رأية أشد تلاؤما من النموذج الأول لأنه يولد أى عدد من الجمل ولكن العكس غير صحيح وهناك مجموعة من الجمل لايمكن توليدها عن طريق نموذج القواعد النحوية المحدودة ولكن يمكن توليدها عن طريق النموذج الثانى الذى نحن بصدده الآن أى « نموذج قواعـد تركيب أركان الجملة » وقد أعرب تشومسكى عن هذا الرأى فى بعض أعماله العلمية التى ظهرت بعد كتاب « التراكيب النحوية » •

ولنحاول الآن أن نتبين العلاقة بين النموذج الأول أى القواعـد النحوية المحدودة وبين النموذج الثانى ، أى قواعد تركيب أركان الجملة فنقول ان النموذج الثانى من حيث الجوهر أشد قوة من النموذج الأول لأنه ـ أعنى النموذج الثانى ـ يستطيع القيام بكل ما يقوم به النموذج الأول •

خذ مثلا الجملة الانجليزية الآتية والتى استعرناهـا من الأمثلـة التى استشهد بها تشومسكى نفسه وهى :

The man hit the ball

فسنجد أنها تتكون من خمس كلمات وضعت وفق ترتيب دقيـق ، وسوف نستعمل مصطلح « المكونات الجوهرية» Ultimate constituents للدلالة على الكلمات التى تتكون منها الجملة والتى لاتقبل التحليل على المستوى التركيبى syntactic level أمـا الترتيب الذى تتخـذه هذه الوحدات الجوهرية ويربط بينها فسنطلق عليه اسـم التركيب الطولى Linear structur للجملة •

ولكن علم اللغة الآن يرى أن الجمل — بصورة عامة — لها نـوع آخر من التركيب النحوى بالاضافة الى تركيبها الطولى مستقلا عنها •

وفى هذا الصدد قد نجد بعض النحاة من ذوى العقلية التقليدية يرى أن جملة بسيطة كالجملة التى ذكرناها فى المثال السابق تشبه كل الجمل البسيطة الأخرى فهى مكونة من المسند اليه Subject والمسند Predicate وان المسند اليه فيها عبارة عن مركب أسمى Noun phrase ويرمز اليه بالحرفين (NP) وهو يتكـون من أداة التعريف ويرمـز لها بالحرف (T) ومن الاسم noun ويرمز له بالحرف (N) وأما المسند فى هذه الجملة فهو عبارة عن مركب فعلى Verb phrase ويرمز له بالحرفين (V.P) وهو يتكون من الفعل (Verb) ويرمز لـه بالحرف (V) والمفعول object وهو هنا يشبه المسند اليه من حيث أنه يتكون من مركب اسمى مكونا من أداة التعريف والاسم (١) •

---

(١) فى الفصل السابق رأينا أن تشومسكى لم يعول كثيرا على نموذج القواعد النحوية المحدودة على أساس أن هنـاك جملا لايمكـن توليدها بناء على تلك القواعد أو طبقا لهذا النموذج ومن ثـم استبدل به هذا النموذج الذى يعتمد على تحليل أركان الجملـة ولابد أن نعرف أولا أن الجملة مصطلح معقد قد ننظر اليه من زوايا مختلفة فمثلا جملة مثل : « ضرب اللاعب الكرة » يمكـن أن ننظر اليها على أنها سلسلة متتابعة من الكلمات أو المورفيمات أو الفونيمات وهى كذلك فى الحقيقة ولكنها تختلف من حيث تتابعها فى العربية عنها فى اللغة الانجليزية ولكى يصدق هـذا النموذج على اللغات جميعا حاول تشومسكى أن يحلل الجملة الى المكونات المجردة التى قد تتفق فيها اللغات المختلفة فما من شك فى أن الجمل فى كل اللغات على اختلافها تحتوى على أسماء وأفعال أو عـلى الأقل فى صورتها المجردة ولذلك رأى أن يستغل فكرة التحليل الى المكونات المباشرة التى نادت بها مدرسة بلومفيلد فى هذا النموذج لأننا لو حللنا هذه الجملة السابقة الى : =

ولاشك أن مثل هذا التحليل نفسه كان سيقدم به البلومفيلديون
تحت مصطلح تحليل المكونات المباشرة : immediate constituents analysis

---

= ضرب + فعل ماضي + ال + لاعب (اسم فاعل) + ال + كرة
لما استفدنا شيئا له صفة العموم والشمول بحيث تطبق على كل
اللغات ولكن اذا حللنا هذه الجملة الى :
ضرب اللاعب = مركب فعلى
اللاعب = مركب اسمى
الكرة = مركب اسمى
ثم أخذنا كل مركب من أركان هذه الجملة وحللناه الى مكوناته
نكون قد خرجنا من حيز اللغات المعينة ، الى حيز التجريد لأن هذا
التحليل ينطبق على نفس الجملة فى اللغة الانجليزية مثـال ذلك
الجملة التى مثل بها تشومسكى وهى : The man hit the ball
فهى مكونة مما يأتى :

= مركب اسمى	the man
= مركب فعلى	hit the ball
= مركب أسمى	the ball

ولذلك يرى تشومسكى أن انشاء علاقة بين هذه الأركان عن طريق
التحليل الشجرى تصلح لتمييز العلاقات المباشرة بين أركـان
الجملة .
غير أننا لابد أن نلاحظ أن هذا التحليل الى أركان الجملة مرتبط
أساسا بالمبنى دون المعنى أى أنه قد يقف عاجزا — كما سنرى
فيما بعد عن تحليل بعض الجمل التى تحتمل أكثر من معنى أو ما
يسمى بالجمل الغامضة ولذلك يرى تشومسكى بأن هذا النموذج
يحتوى على بعض نقاط الضعف لأنه لايستطيع وصف جميع الجمل
فى اللغة . (المترجم) .

أى الوحدات المباشرة التى تتكون منها الجملة وهى عبارة عـن المركب الاسمى noun phrase أى the man والذى يقـوم بوظيفـة المسند اليه Subject ثم المركب الفعلى verb phrase أى hit the ball الذى يقوم بوظيفة المسند اليه predicate أما المكونات المباشرة لكل من هذين المركبين فهو المركب الاسمى ويتكون من الاداة the ثم الاسم man وأما المركب الفعلى فيتكون hit the ball فهو يتكون من الفعل hit والمركب الاسمى the ball الذى يقـوم بوظيفة المفعول به object فى هـذه الجملة وهـو يتكون مـن الأداة the والاسم ball هذا هو التحليل للمكونات المباشرة لمثل هذه الجملة .

ولكن فكرة المكونات التركيبيه Constituents structure.

أو تركيب أركان الجملة اذا أردنا استعمـال مصطلـح تشومسكى ، تتشابة عند المقارنة مع عمل الأقواس bracketing فى الرياضيـات أو المنطق الرمزى .

فمثلا فى المعادلة الآتيـة :

ع (س + ص)

نجد أن عملية الجمـع لابد أن تتم أولا قبـل عمليـة الضرب التى تقوم بها بعد ذلك .

أما اذا كانت المعادلة على الصورة الآتية :

ع × س + ص

فان عدم وجود الأقواس يعنى أن عملية الضرب تسبق عمليـة الجمع كما لو كانت هذه المعادلة على الصورة الآتية :

ع + (س × ص)

وبناء على ذلك فان العمليات التى سيتم بها الجمع والضرب فى مثل هذه المعادلات ستؤدى الى أختلاف النتائج التى نحصل عليها .

مثال ذلك : اذا كانت ع = ٢ ، س = ٣ ، ص = ٥

فان المعادلة الأولى : ع × (س + ص)

= ٢ × (٣ + ٥)

= ٢ × (٨)

= ١٦

بينما المعادلة الثانية : ع × س + ص

٢ × ٣ + ٥

= ٦ + ٥

= ١١

والحق أن هناك كثيرا من الجمل سواء فى اللغة الانجليزية أو غيرها من اللغات التى لاتقل غموضا عن معادلة مثل : (ص×ع+ س) ان لم تفوقها فى الغموض أحيانا ، لولا أن علماء الرياضيات قد اتفقوا من قبل على أن عملية الضرب لابد أن تسبق عملية الجمع فى مثل هذه المعادلات .

ولعل المثال الكلاسيكى على مثل هذا الغموض فى اللغة نجده فى جملة مثل : old men and women

أى A N and N

فاذا استعملنا الأقواس فستصبح كما يلى : (old men) and women.

أى تشبه فى ذلك المعادلة (ص ع) + س

أو old (men and Women)

مثل المعادلة ع (ص + س) وبناء على ذلك فان الصفة تصبح صفة لكلمة men أما فى المعادلة الثانية فستصبح الصفة لكل كلمتى :

(Women , men)

ومعنى هذا أن وضع الجملة على صورة معادلة لغوية مثل :

old (men and women)

يعنى أنها أصبحت مماثلة تماما للمعادلة اللغوية :

(old men) and (old women)

نظرا للغموض الدلالى الذى يكتنفها ،فاذا عبرنا عن ذلك بالمعادلات الرياضية فمعنى هذا أن :

ع (ص + س) = (ع ص) + (ع س) [1] .

---

(١) الجملة الغامضة ambiguis هى جملة يحتمل معناها أكثر من معنى أو بعبارة أخرى يحتمل تركيبها النحوى أكثر من معنى وموضع المعنى من حيث علاقته بالمبنى موضوع جديد بالدراسة وخاصة أن علماء أصول الفقه والنحاة واللغويين قد تناولوه بشىء من التفصيل ، قد يحتاج الى درس مفرد نرجو أن نفرغ له قريبا . ولعل معالجة النحاة لموضوع اللبس يقترب الى حد كبير لما أشار اليه المؤلف هنا وقد عقد ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) فى كتابه « مغنى اللبيب » بابا طويلا تحت عنوان (ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها) (من ص ٥٢٧ الى ص ٥٦٥) . ألم فيه بظاهرة الغموض فى المبنى والمعنى معا وفيما أسماه (باب المنصوبات المتشابهة) (ص ٥٦١) يفصل القول فى بعض التراكيب التى تحتمل المصدرية والمفعولية وما يحتمل المصدرية والظرفية والحالية وما يحتمل المصدرية والحال وفيما يحتمل المصدرية والظرفية والحالية أن نقول مثلا (سرت طويلا) وهو تركيب يحتمل عنده المعانى الآتية :

١ — سرت سيرا طويلا

٢ — سرت زمنا طويلا

٣ — سير سرته طويلا

ومن قوله تعالى « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد » أى ازلافا =

ولن نمضى أكثر من ذلك فى استعمال القياس الرياضى ، فقد اتضح لنا الآن أن عبارتين غامضتين لهما نفس التركيب الطولى الـــذى يختلف عن التركيب النحوى وهذا الاختلاف وثيق الصلة بالمستوى الدلالى .

وقد أطلق تشومسكى على ظاهرة الغموض هذه مصطلح الترادف التركيبى Constructional homonymit ولكننا سنطلق عليها مصطلح الغموض التركيبى Structural ambiguity غير أن أهمية هذه الظاهرة ترجع — من الناحية النظرية — الى أن الغموض فى عبارة مثل : old men and women لايمكن كشفه بالاعتماد عـــلى أختلاف تركيـــب المكونات المبـــاشرة أو الاختلاف فى التركيب الطولى لها .

ومع أن أسلاف تشومسكى من البلومفيلديين تناولوا نظرية تحليل المكونات المباشرة باسهاب الا أن تشومسكى قد أضاف الى ذلك اضافـــة هامة تتمثل فى النماذج التى قدمها للتركيب النحوى بحيث يعد أول من كشف عن الكيفية التى يمكن أن يظهر بها التركيب النحـــوى الى حيز الوجود بواسطة نظام من القواعد التقليدية . كما بين أيضا أن نموذج قواعد تركيب الجملة أشد قوة وأكثر تلاؤما فى وصف ودراسة اللغات

= غير بعيد أو زمنا غير بعيد أو أزلفته الجنة أى الازلاف فى حالة كونه غير بعيد أى على الحالية ، مثل هذه الجمل يعدها تشومسكى من الجمل الغامضة التى تحتمل أكثر من معنى وبالتالى تحتمل أكثر من تركيب لذا أطلق على مثل هذه الجمل وما يتفرع منها مصطلح الترادف التركيبى أو ما يسمى أحيانا بالغموض التركيبى وهـــو غموض لايمكن الكشف عنه بواسطة تحليل الجملة الى المكونات المباشرة لها وانما لابد من تطبيق القواعـــد التحويلية وهـــى النموذج الثالث من النماذج التى قدمها كما سنرى فيمـــا بعد . (المترجم)

الانسانية عن نموذج القواعد النحوية المحددة الذى يقف عنــد حدود معينة • ويمكننا أن توضح الصورة التى وضع عليها تشومسكى قواعد تركيب الجملة فى القواعد الآتية التى أضفنا اليها بعض التعديل الطفيف ولكنها تتطابق تمام المطابقة مع القواعد التى ذكرها فى كتابــة التراكيب النحوية ، وهذه القواعد هى :

١ ــ الجملة ← المركب الاسمى + المركب الفعلى
1 — S → NP + VP

٢ ــ المركب الاسمى ← أداة تعريف + أسم 2 -- NP → T + N

٣ ــ المركب الفعلى ← الفعل + المركب الاسمى
3 — VP → Verb + NP

٤ ــ أداة التعريف ← ا ل 4 — T → the

٥ ــ الاسم (رجل ، كره ••••) 5 — N → hit, took ......]

٦ ــ الفعل (ضرب ، أخذ •••) 6 — V →[hit, took ....]

وهذه المجموعة من القواعد لا تولد الا جزءا ضئيلا من الجمل فى اللغة الانجليزية وهى عبارة عن القواعد البسيطة فى تركيب الجملــة • وتتكون كل قاعدة منها مما يأتى :

س ← ص

حيث ترمز س (X) الى عنصر مفرد Singl element **بينما ترمز** ص (Y) الى سلسلة مركبة String Consisting من عدة عناصر ، وقد تكون من عنصر واحد أحيانا ، ويشير السهم الى أن العنصر الخارج عنه السهم يمكن أن يتحول الى العنصر المتجه اليه أى أنه يمكن ان تحل س (X) محل ص (Y).

أما القاعدتان الخامسة والسادسة فتستعمل الأقواس فيهما لكي تحصر مجموعة من العناصر لنا أن نختار واحداً من بينها لاأكثر ، وقد اكتفينا بوضع عنصرين فقط في كل قاعدة منهما غير أن التنقيط معناه مزيد من العناصر أي ... الخ .

وأما طريقة تطبيق هذه القواعد فهي على النحو الآتى :

١ ـ نبدأ أولا بالجملة باعتبارها عنصرا element ونطبق القاعدة رقم (١) وهذه القاعدة تؤدى الى السلسلة string وهو مصطلح فنى يدل على تعاقب عدد من الرموز مكونه من : ـ

مركب اسمى + مركب فعلى NP + VP.

٢ ـ تقوم بفحص هذه السلسلة لنرى هل يمكن اعادة كتابة أى عنصر فيها بتطبيق القاعدتين رقم (١) ، رقم (٦) .

٣ ـ سنجد أننا يمكن أن نطبق احدى القاعدتين اما القاعدة رقم (٢) واما القاعدة رقم (٣) ولن يؤثر اختيار أحداهما دون الأخرى .

٤ ـ عند تطبيق القاعدة رقم (٣) سنحصل على سلسلة العناصر الآتية :

مركب اسمى + فعل + مركب اسمى . NP + Verb + NP.

٥ ـ نستطيع فى هذه المرحلة أن نطبق القاعدة رقم (٢) مرتين ثم نتبعها بتطبيق القاعدة رقم (٤) ثم القاعدة رقم (٦) مرة واحدة وذلك على أى ترتيب شئت شريطة أن تسبق القاعدة رقم (٢) القاعدتين رقم (٤) ، (٥) كما يجب أن تسبق القاعدة رقم (٣) القاعدة رقم (٦) وكذلك أيضا يجب أن تسبق القاعدة رقم (٣) واحداً من تطبيقات القاعدة رقم (٢)

٦ — فى هذه المرحلة سنجد أن سلسلة العناصر النهائية terminal string التى ولدت بهذه القواعد على فرض أننا أخذنا العناصر:
man, hit, ball.

هى : the + man + hit + the + ball

واقتضى ذلك تطبيق تسع خطوات — كما رأينا — لكى نولد هذه السلسلة من الكلمات •

وهنا سنجد أن هذه الخطوات التسع قد ولدت تسع سلاسل strings تمثل اشتقاق جملة : The man hit the ball.

وذلك بواسطة هذا النموذج الخاص بقواعد تركيب الجملة • ويستطيع القارىء أن يتأكد من فهمه لتطبيق هذه القواعد بواسطة مثال يضعه لنفسه ويطبق عليه هذه القواعد [1]•ولكن كيف يحدد هذا النظام

---

(١) ينطلق تشومسكى فى هذه القواعد التى وضعها لأركان الجملة من فكرة أساسية وهى كيفية اشتقاق الجملة وذلك عن طريق اعادة كتابة أركان الجملة وهو يرمز الى عملية اعادة الكتابة بالسهم ← أى أن ما قبل السهم يعاد كتابته بما بعد السهم وذلك لبيان العلاقة القائمة بين مكونات الجملة حيث يحصل على ما يسمى بأركان الجملة مثال ذلك جملة مثل : « الولد أكل الطعام » تطبق عليها القواعد على النحو التالى :
١ — القاعدة الأولى : الجملة ← المركب الاسمى + المركب الفعلى
الولد أكل الطعام ← الولد « مركب اسمى » + أكل الطعام « مركب فعلى » •
٢ — القاعدة الثانية : المركب الاسمى ← أداة التعريف + اسم
الولد ← ال + ولد ال + ولد =

المختص بالجمل القواعد الملائمة لتركيب أركان الجملة : أن الاجابة عن هذا السؤال تتصل بمصطلح اعادة الكتابة rewriting الذى ذكرناه

= ٣ — القاعدة الثالثة : المركب الفعلى ← الفعل + مركب اسمى

أكل الطعـــام ← أكل + الطعـــام

٤ — القاعدة الرابعة : أداة التعريف ← ال

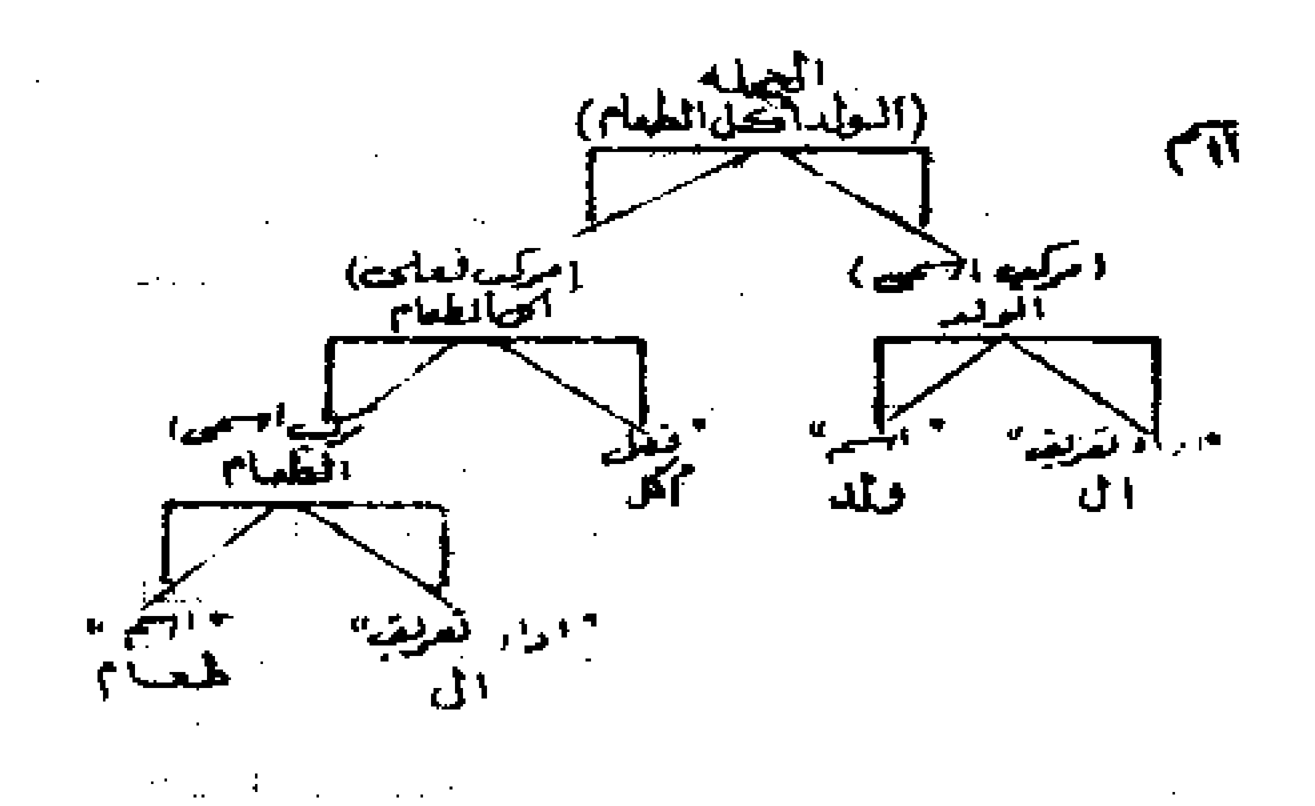
٥ — القاعدة الخامسة : الاسم (ولد ، طعام ، ...)

٦ — القاعدة السادسة : الفعل (أكل ، ذهب ، ...)

∴ السلسة النهائية لهذه الجملة هى :

ال + ولد + أكل + ال + طعام

ويمكن التعبير عـن ذلك بواسطة التحليـل الشجرى أورام أركان الجملة وذلك على النحو التالى :



آنفا عند تطبيق القواعد السابقة ، ومعنى هذا ، أننا عند تطبيــق أى قاعدة ، نضع الأقواس فى هذه اللحظة حول سلسلة العناصر الناتجــة عن تطبيق هذه القاعدة كما نثبت سلسلــة العناصر داخــل الأقواس باعتبارها العناصر الناتجة عن اعادة الكتابة عند تطبيق القاعدة •

مثــال ذلك سلسلة العناصر المكونة من :

مركب اسمى + مركب فعلى NP + VP

وهى مشتقة بتطبيق القاعدة رقم (١) لابد أن نضعها بين الأقواس باعتبارها جملة وذلك على النحو التالى :

(مركب أسمى + مركب فعلى) (NP + VP)

ومثال ذلك أيضا السلسلة المكونة من :

مركب فعلى + فعل + مركب اسمى NP + Verb + NP

نثبتها بين الأقواس باعتبارها جملة وذلك على النحو التالى :

وهذا الرسم يوضح المكونات التى تشتق منها هذه الجملة ولذلك شاع استعماله فى التحليل الى المكونات الأصلية للجملة غير أننـــا لابد أن نلاحظ أن هذه الجمل التى مثلنا بها انما هى جمل بسيطة لتوضيح الفكرة وأما تطبيق هذه القواعد على اللغة العربية تطبيقا كاملا فيحتاج الى دراسة مستقلة لأنواع الجمل فى العربية مما قد يدعو الى ادخال بعض التعديلات على هذه القواعد •

(المترجم)

(مركب اسمى + مركب فعلى (فعل + مركب اسمى))
(NP+ VP (Verb +NP)) وهكذا .

ولكن هناك وسيلة أخرى بديلة ومعادلة لتمثيل تلك العناصر التى وضعناها بين الأقواس والتى ولدت بواسطة قواعد تركيب أركان الجملة وهى رسم الشجرة tree diagram وبتطبيق هذه الوسيلة البديلة على الجملة التى اتخذناها مثلا من قبل تصبح على النحو التالى :

SENTENCE
NP VP
T N Verb NP
T N
The men hit The ball
Fis s

الشكل رقم (٢)

ونظرا لوضوح هذا الرسم أكثر من تتابع الرموز والأقواس عند تطبيق القواعد السابقة فقد أصبح أكثر تداولا بين الباحثين وهو ما سنلتزم به فى هذا الكتاب الا فى حالات نادرة •

وتسمى عملية وضع الأقواس حول العناصر الدائمة التى ولدتها هذه القواعد فى صورتها النهائية تسمى راسم أركان الجملة Phrase marker ومن الواضح أن الطريقة التى سجلت بها أركان الجملة كما تظهر فى كما تظهر فى الشكل رقم (٢) تقدم لنا بصورة مباشرة أى بمجرد النظر المعلومات الآتية :

١ ــ سلسلة العناصر الدائمة وهى The + man + hit + the + ball

٢ ــ هذه العناصر تكون جملة تتألف من مكونين Consti tuents وهما : NP (The man) and VP (hit the ball)

٣ ــ المركب الاسمى NP الذى يظهر على يسار المركب الفعلى، يتألف أيضا من مكونين هما :
أداة التعريف (the) والمركب الاسمى The ball NP

٤ ــ المركب الاسمى NP الذى يظهر على يمين الفعل Verb يتألف أيضا من مكونين هما : أداة التعريف (the) والاسم N (ball)

وهكذا نجد أن الشكل رقم (٢) يمثل كل ما ذكرناه من قبل عن تحليل المكونات المباشرة immediate Constituent analysis للجملة التى ضربنا بها المثل ، فيما عدا ثلاثة أشياء لم يرد لها ذكر فى

الشكل وهى the man باعتباره مسندا اليه Subject
hit the ball باعتبارها مسندا The ball, predicate المفعول به Object
ولكن مثل هذه الأشياء وبخاصة التفرقة بين المسند اليه والمفعول به يمكن تحديدها أيضا كما أشار تشومسكى فى التراكيب النحوية (ص ٣٠) ثم أضاف مزيدا من التحديد بعد ذلك فى كتابه « جوانب من النظرية النحوية» Aspects of theory of syntax

(ص ٧١) وذلك من حيث ارتباطها براسم أركان الجملة Phras marker حيث نجد أن المسند اليه هو المركب الاسمى NP التى تسبقه وتشرف عليه الجملة ، وأما المفعول به فهو المركب الاسمى NP الذى يسبقه ويشرف عليه مباشرة المركب الفعلى VP ، وأنا لا أعنى هنا أى دلالة منطقية وانما كما هو واضح من رسم الشجرة فى الشكل رقم (٢) • وسنحتاج الى هذه الفكرة عندما نناقش قواعد النحو التحويلى فى الفصل القادم •

وهناك طرق كثيرة ومختلفة لكى يتسع ويمتد النموذج البسيط لقواعد تركيب أركان الجملة الذى بدأنا به هذا الفصل بحيث نجعله قادرا على توليد جمل أكثر فأكثر من جمل اللغة الانجليزية • ولكن هل القواعد النحوية فى هذه الصورة العامة قادرة وكافية لدراسة ووصف جميع الجمل التى نرى أنها صحيحة نحويا ؟ ان تشومسكى لم يستطع أن يبرهن على وجود جمل فى اللغة الانجليزية لايمكن توليدها عن طريق نموذج القواعد النحوية لتركيب الجملة برغم أننا قد بينا أن هناك تراكيبا معينة موجودة فعلا فى اللغات الأخرى — ان لم يكن فى اللغة الانجليزية نفسها — لاتقع تحت سلطان هذا النموذج •

وقد زعم تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » وفى بعض أعماله الأخرى ، أن هناك جملا فى اللغة الانجليزية يمكن وصفها بطريقة خرقاء Clumsily وفق هذا النموذج يقصد بطريقة شديدة التعقيد .

ومعنى هذا أن تشومسكى يسمح أن نتصور وجود نموذجين من القواعد يعادل كل منهما الآخر من حيث قدرته على توليد نفس الجملة ولكن هناك من الأسباب ما يجعلنا نفضل أحدهما على الآخر ، وسوف نطلق على الأضعف منهما مصطلح المعادل الضعيف weak equivalance وقد ذكر تشومسكى فى كتابة « التراكيب النحوية » أن أهم الأسباب التى تدعو لتفضيل نموذج قواعد النحو التحويلى على نموذج القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة ، أن النموذج الأول أبسط من الثانى ومن الصعوبة أن نشرح هنا معنى مصطلح البساطة Simplicity الذى استخدمه تشومسكى فى هذا المقام اذ كيف نقرر أن نموذجا من القواعد النحوية يحتاج الى عدد قليل من القواعد بعضها شديد التعقيد لكى يولد عددا معينا من الجمل أقل أو أكثر بساطة فى مجموعها من المعادل الضعيف weak equivalant له الذى يحتاج أيضا الى عدد أكثر من القواعد ليس من بينها قاعدة واحدة معقدة لكى يولد نفس مجموعة الجملة التى يولدها النموذج الأول ؟

والحقيقة أنه ليست هناك طريقة واضحة لكى نوازن بين نوع من البساطة وآخر ، ومع ذلك فلم يعتمد تشومسكى كثيرا فى كتاباته التى نشرها أخيرا على مسألة البساطة هذه، ولكنه رجح ترجيحا له مغزاة بأن قواعد النحو التوليدى قادرة على أن تعكس بشكل أفضل حدس intuition أبناء اللغة وهو وثيق الصلة بالجانب الدلالى أكثر من نموذج

القواعد النحوية لتركيب الجملة (١) •

ولعلنا نستطيع الآن أن نتبين مدى قصور القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة فى رأى تشومسكى بالنظر الى توليد بعض الجمل التى بينها علاقة متبادلة مثل الجمل المبنية للمعلوم active والجمل المبنية passive فى اللغة الانجليزية مثال ذلك : The man hit the ball.

وهى جملة مبنية للمعلوم — ثم جملة أخرى مثل :

The ball was hit by the man.

وهى جملة مبنية للمجهول • وقد عرضنا من قبل كيف تولد الجمل المبنية للمعلوم عندما كنا نتحدث عن نموذج القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة ويمكننا أن نضيف بسهولة عدة قواعد أخرى لتوليد الجمل المبنية للمجهول ، غير أننا رغم ذلك كله لانستطيع أن نتصور كيف يشعر أبناء اللغة بأن جملتين مثل الجملتين السابقتين تتصل أحداهما بالأخرى

---

(١) أخبرنى تشومسكى بأنه لم يكن منتبها للتغير الذى طرأ على رأيه عبر السنوات الماضية فيما يتصل بدور معيارى البساطة Simplicity والحدس intuition ويرى أن هناك نوعا من اللبس قد حدث يرجع السبب فيه الى أن كتابة « التراكيب النحوية » كان قد أعيدت صياغته للتخفيف من غلواء آرائه عندما كان غير صالح للنشر ولذلك فالكتاب يظهر جوانب الضعف أكثر من اظهاره لجوانب القوة فى النحو التوليدى وأنا على يقين من أن علماء اللغة الذين اطلعوا على الكتاب عندما نشر لأول مرة عام ١٩٥٧ قد فهموا من آراء تشومسكى العامة حول النظرية اللغوية مافهمته وكما عرضتها فى الفصل الرابع من هذا الكتاب، ولايملك المرء الا أن يتعجب من الأثر الذى أحدثه الكتاب فى ميدان علم اللغة برغم أنه قد عدله كما يقول فما بالك اذن لوخرج الكتاب كما وضعه فى البداية (المؤلف) •

أو تنتمى اليها بصورة ما ، وأن كلا منهما تشترك مع الأخرى فى جانب كبير من المعنى ، على أى حـال سنرى فى الفصل القادم أن النحـو التوليدى قادر على الكشف عن هذه العلاقة المتبادلة بين هذين النوعين من الجمل وكذا غيرها من الجمل التى نشعر أن بينها علاقات دلاليـة Semanic relatianships

ولكن لابد أن نلاحظ أن جميع القواعد النحويـة لتركيب أركـان الجملة التى عرضنا لها فى هذا الفصل كانت — الى حد مـا — حرة السياق Context free بمعنى أنها كانت كلها عبـارة عن معادلات لغوية مثل : (س ← ص) (X ← Y)

حيث ترمز س (X) الى العنصر المفرد Single element

أما ص (Y) فترمز الى سلسلة مكونة من عنصر أو أكثر وليس ثمة اشارة الى السياق Context الذى يجب أن نعيد كتابة ما ترمز اليه ص (Y) على هدى منه . وحتى نتبين حقيقة الأمر فلننظر الى القاعدة المكونة من المعادلة اللغوية الآتية :

(س ← ص/ق — ف)   (X ← Y/W - V)

ونستطيع فك رموزها على النحو التالى :

س (X) ينبغى اعادة كتابتها بحيث تصبح مثل ص (Y) فى السياق ق (V) على اليمين وف (V) على اليسار وهناك عدة طرق مختلفة لكى نصل الى المعلومات الخاصة بالسياق وطرق استعمالها فقد نستطيع أن نعتمد على قاعدة الشعور السياقى Context Sensitive rule التى رمزنا لها فى المعادلة اللغوية السابقـة بالرمز ق (W) لكـى نتبين علاقة التوافـق التى تربط بين المسند اليـه والفعل سواء فى اللغـة الانجليزية أو غيرها من اللغات الأخرى مثال ذلك الجملتان :

The boy runs
The boys run

وفى الفصل التالى من هذا الكتاب سوف نستفيد من قاعدة الشعور السياقى هذه ، أما الآن نكتفى بالاشارة الى أن القواعد الحرة السياق Context free grammar من الناحية الشكلية ليست الا طبقة داخلية Subclass من قواعد الشعور السياقى وهذه الطبقة نستطيع تعريفها بدقة من خلال المعادلة اللغوية •

(X ⟶ Y/W - V) (V) (س ⟵ ص/ق — ف)

حيث نجد أن الاختلافات السياقية التى رمزنا لها بالرمزين ق (W) و (ف) (V) قد تركت فارغة دون تحديد ، وهنا نستطيع القول بأن أى عدد من الجمل يمكن توليده عن طريق القواعد الحرة السياق يمكـــن أيضا توليده بواسطة قواعد الشعور السياقى Context - Sensitive grammar ، أما العكس فلا يصح وهذه الحقيقة التى ذكرناهـــا توآ تعنى بالضرورة أن قواعد الشعور السياقى أكثر قوة من قواعد السياق الحر ، كما أن قواعد تركيب أركان الجملة أكثر قوة من القواعد السياق المحدودة ، وكل ذلك يقدم لنا مثالا واضحا لما تنطـــوى عليه أعمـــال تشومسكى من تعقيد وأهمية فى آن واحد ، والتى لابد لنا من التعرض لها فى كتاب مثـــل هـــذا ، ذلك لأن دراســـة الخصـــائص المنطقيـــة Formal properties والقدرة التوليدية النماذج النحوية المختلفة هى فرع من العلوم الرياضية أو من علم المنطق بما لهما من صلة بدراسة اللغات الانسانية وضعها ولعل الخطوة الثورية التى خطاها تشومسكى بالنسبة لعلم اللغة ، هى أنه أخضع العلوم الرياضية والمنطقية ووظفها فى دراسة اللغات الانسانية دون اللغات المصطنعة artificial languages التى وضعها وابتكرها المناطقة وعلماء الحاسب الآلى ولم يقفه تشومسكى عند حدود السيطرة على علوم قام بوضعها علماء من خارج حقل علم اللغة وتطبيقها على هذا الميدان بل قدم اضافات أصلية ومستقلة للدراسات المنهجية والمنطقية من الوجهه الرياضية الخالصة •

لقد أصبحت الدراسة الرياضية للقواعد النحوية لتركيب الجملة وغيرها من النماذج النحوية التى قدمها تشومسكى وبخاصة دراسة القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة الحرة السياق :

Contex free pharase Structure grammars

أصبحت الآن على درجة كبيرة من التقدم والرقى كما أضيفت خطوات أخرى لاتقل عن ذلك فى دراسة الفرق بين النماذج المختلفة للقواعد النحوية مثل نموذج التحليل للمكونات المباشرة والنموذج الذى يتخذ من الأقواس منهجا له وغير ذلك من النماذج الأخرى •

غير أن الدراسة الرياضية والمنطقية للنحو التحويلى التى نادى بها تشومسكى لم تحظ الا بعناية ضئيلة مع أن هذا النموذج النحوى — كما سنرى فى الفصل القادم — يعد نظاما معقدا أكثر من نظام القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة برغم أن تشومسكى يدعى فى كتابه « التراكيب النحوية » أن نموذج القواعد التحويلية يقدم نظاما أكثر بساطة فى دراسة وتحليل نوع معين من الجمل •

الفصـــــل السابـع

« النحـــو التحويـــلى »

لن نخوض فى ذكر كثير من تفاصيل النحو التحويلى عند مناقشتنا له فى هذا الفصل ومع ذلك فمن المستحيل فهم آراء تشومسكى العامة فى فلسفة اللغة والعقل ، دون أن نلم ببعض الخصائص العامـــة لأصول الوصف النحوى ومبادئه التى أرسى تشومسكى قواعدهـــا منذ خمسة عشر عاما تقريبا ، والتى أخذت تتطور شيئا فشيئا حتى أيامنا هذه .

ولعل نقطة البداية التى ينبغى أن ننطلق منها هى قضية المصطلحات العلمية حيث نجد أن النحو المختص بتركيب أركـــان الجملة — كمـــا عرضنا له من قبل — لايتضمن القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة فحسب وانما سنجد أن النحو التحويلى كما تصوره تشومسكى أصلا ، يتكون من القواعد التحويلية بالاضافة الى مجموعة من القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة وبناء على ذلك فان القواعد التحويلية تعتمد فى المقام الاول على تطبيق قواعد تركيب أركان الجملة أولا لا من أجـــل تحويل سلسلة العناصر String of elements الى سلسلـــة أخرى فحسب وانما من أجل تغير راسم أركان الجملة phrase marker أيضا ، بل سنرى أن القواعد التحويلية ذات بناء منطقى أشـــد عسرا وتعقيدا من القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة .

ويحسن بنا قبل أن نشرع فى ذكر نماذج من القواعد التحويلية أن نبدأ أولا بذكر مجموعة من القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة التى ذكرها تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » (ص ١١١) ولكـــن مع اضافة بعض التغيرات الطفيفة اليها وذلك على النحو التالى :

1 — Sentence → NP + VP ١ — الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي

2 — VP → Verb + NP ٢ — المركب الفعلي ← الفعل + مركب اسمي

3 — NP { NP (Sing.) / NP (pl.) ٣ — المركب الاسمي { مركب اسمي (مفرد) / مركب اسمي (جمع)

4 — NP Sing → T + N ٤ — مركب اسمي مفرد ← أداة تعريف + اسم

5 — NP pl. → T+N+S ٥ — مركب اسمي (جمع) ← أداة تعريف + اسم + علامة الجمع

6 — T → The ٦ — أداة تعريف ← ال

7 — N (man, ball, door, dog, book) ٧ — الاسم ← (رجل ، كرة ، باب ، كتاب ..)

8 — Verb → Aux + V ٨ — الفعل ← فعل مساعد + الفعل

9 — Verb → (hit, take, bite, eat ٩ — الفعل (ضرب ، أخذ ، عض ، أكل ، فتح ..)

10 — Aux → Tense (+M) (+ have + en) (+ be + ing) — ١٠

11 — Tense → Present past ١١ — زمن الفعل ← مضارع ماضي

12 — M [will, Can, may, Shall, must] ١٢ — صيغ الفعل

وهنا نلاحظ أن هذه المجموعة من القواعد تفسح المجال لقدر أكبر من الاختيار أكثر من قواعد تركيب أركان الجملة التي ذكرناها في الفصل السابق — كما سنلاحظ أيضا أن كل من المركب الاسمي سواء كـان

مفردا أو جمعا هو الذي أدى الى وجود القاعدة رقم (٣) كما سنجد فى هذه القواعد أيضا عددا كبيرا من صيغ الفعل moods المختلفة ممثلة عن طريق الأفعال المساعدة وما يترتب على وجودهـا من تغيرات وذلك بدلا من الزمن الماضى البسيط الذى قدمنا مثالا له فى الفصل السابق متمثلا فى الجملة التى تقول : The man hit The ball

أما القاعدة رقم (١٠) التى تبين أن كل سلسلة من العناصر تتولد بواسطتها لابد أن تحتوى على عنصر الزمن Tense كما قد تحتوى أيضا على بعض العناصر الموجودة بين الأقواس مثل مورفيم الجمع أو غيره من المورفيمات ، غير أننا نستطيع فى الحقيقة أن نعتبر عناصر مثل The . be , have بل جميع العناصر التى أمام القواعد رقم (٧) ، (٩) ، (١٢) تدخل أيضا فى نطاق المورفيمات (١) واذا سلمنا بأن العناصر

---

(١) اذا قارنا بين هذه القواعد لتركيب أركان الجملة وبين القواعـد التى سبق ذكرها فى الفصل السابق سنجد أن هذه القواعد التى نحن بصدددها تحتوى على عدد من الاضافات التفصيليـة التى خلت منها القواعد السابقة فمثلا القاعدة رقم (١) بقيت كما هى دون أى تغيير أو اضافة وهى عبارة عن : الجملة ← المركب الاسمى + (المركب الفعلى) .
أما القاعدة رقم (٢) فقد خصصت للمركـب الفعلى وكـانت فى القواعد الأولى خاصة بالمركب الاسمى ونظرا لأن تطبيق احدى هاتين القاعدتين قبل الأخرى لايؤثر فقد تقدمت قاعـدة المركب الفعلى هنا وبقيت كما هى .
أما قاعدة المركب الاسمى رقم (٣) فقد أضيفت اليها عنـاصر جديدة لم تكن فى القواعد السابقة وهى العناصر الدالة عـلى المفرد والجمع وكذلك أضيفت قواعد جديدة تماما كما فى القاعدة رقم (٨) حيث نجد الفعل المساعد أصبح جزءا من القاعدة وكـذا فى القاعدة رقم (١١) حيث أضيف زمن الفعل وصفته فى القاعدة =

المتضمنة فى القاعدتين رقم (٧) ، (٩) انما هى عناصر ممتدة من الصعب حصرها فسنجد أن هذا النظام الخاص بقواعد تركيب أركان الجملة أصبح قادرا على توليد عدد كبير ولكنه محدود مما يسمى بالسلاسل العميقة Underlying Strings . وهنا لابد أن نعرف أن هذه السلسلة العميقة — كما سيتضح عند تطبيق القواعد السابقة — ليست

= رقم (١٢) .
ولكى نطبق هذه القواعد على اللغة العربية قد نحتاج الى اضافة بعض التحديلات ففى الجملة التى ضربنا بها المثل من قبل وهى : « الولد أكل الطعام » استجابت للقواعد الأولى أما القواعد التى نحن بصددها الآن ففيها من العناصر ماقد يختلف مثل الفعل المساعد أو وجود حرف جر أو نفى أو استفهام أو نصب أو عطف ... الخ . وهنا لابد أن نلاحظ كما أشرت من قبل أننا نطبق هذه القواعد على الجمل الاسمية البسيطة التى تتشابه مع الجمل فى اللغة الانجليزية أو غيرها من اللغات أما تطبيق هذه القواعد على أنواع الجمل المختلفة فى اللغة العربية فقد يحتاج كما قلنا من قبل الى تعديلات كثيرة غير أننا نستطيع فى هذا الصدد أن ندخل بعض التعديلات على هذه القواعد لكى تتوافق مع الجمل الاسمية والفعلية البسيطة فى اللغة العربية خاصة تلك التى تحتوى على حروف جر أو أزمنة مختلفة للفعل وبناء ذلك تصبح السلسلة العميقة لتحليل جملة عربية بسيطة مثل « الولد يلعب الكرة » هى
ال + ولد + ي + لعب + ب + ال + كرة
أى أداة تعريف + اسم + فعل مضارع + حرف جر + أداة تعريف + اسم .
وهى عبارة عن مجموعة المورفيمات المكونة لهذه الجملة سواء كانت مورفيمات حرة أى تستعمل فى اللغة مستقلة أو مورفيمات مقيدة تستعمل مع مورفيمات حرة أى تتكون من :
مركب اسمى (للولد) + مركب فعلى (يلعب) + مركب اسمى (الكرة) (المترجم)

جملة لأننا لم نطبق القواعد التحويلية بعد مثال ذلك قد تكون احـدى السلاسل العميقة التى يمكن توليدها بواسطة هذه القواعد على النحو التالى :

The + man + Present + may + have + en + open + The + door.

ولكن بعد تطبيق القواعد التحويلية التىذكرها تشومسكى فى كتابه «التراكيب النحوية » سنجد أمامنا الجملة المبنية للمعلوم active الآتية

The man may have opend the door

وكذا الجملة المبنية للمجهول التى تماثلها وهى :

The door may have been opend by the man.

ويجدر بالقارىء أن يتحقق بنفسه من أن هذه السلسلة العميقة قد ولدت فعلا هاتين الجملتين عن طريق تطبيق القواعد التحويلية كمـا يجدر به أيضا أن يبنى راسم أركان الجملة ٠

ولقد اشتق تشومسكى الجمل المبنية للمجهول من السلاسل العميقة فى كتابه « التراكيب النحوية » بواسطة قاعدة اختيارية optional rule يمكن أن نضعها على النحو التالى :

(B) NP+Aux+V+NP2 → NP2+Aux+be+en+V+by+NP

١٣ — مركب اسمى (١) + فعل مساعد + فعل + مركب اسمى(٢) مركب اسمى (٢) + فعل مساعد + فعل الكينونة + مورفيـم en + فعل + مورفيم by + مركب اسمى (١) ٠

---

(١) تختلف طريقة بناء الجملة للمجهول فى اللغة العربية عن ذلك فهى — كما نعلم — تتم عن طريق حذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل بضم أوله وكسر ماقبل آخره فى الماضى وضم أوله وفتح ماقبل آخره =

وتختلف هذه القاعدة الإختيارية عن نموذج قواعد تركيب أركان الجملة لا في عنصر واحد فحسب ، وانما في سلسلة مكونة عن أربعة عناصر تظهر على يمين السهم ، كما أن العملية التى تقوم بها هذه القاعدة أشد تعقيدا أو بخاصة في التبادل Permutation بين المركب الاسمى رقم (١) والمركب الاسمى رقم (٢) وكذا في اقحام insertion بعض العناصر اللغوية مثل فعل الكينونة be والمورفيمات en و by في مراحل معينة، على أى حال فالفرق هام — كما سنرى — بين نموذج

= المضارع وهنا سنجد أن السلسلة العميقة المكونة لجمل مبنية للمعلوم مثل « لعب الولد بالكرة » .

لعب + ال + ولد + بـ + ال + كرة

وهنا لابد أن ندخل مورفيم الصيغة بالنسبة للفعل كجزء أساسى في هذه السلسلة بحيث تصبح على النحو التالى :

الفعل + صيغة فعل + ال + ولد + بـ + ال + كرة

ومعنى هذا أن تصبح القاعدة التحويلية رقم (١٣) على النحو التالى :

مركب فعلى + صيغة الفعل + مركب اسمى + مركب اسمى

مركب فعلي + صيغة الفعل المبنى للمجهول + مركب اسمى

وذلك لكى نصل الى جملة مبنية للمجهول من الجملة المبنية للمعلوم (لعب الولد بالكرة) التى تصبح بعد تطبيق القاعدة التحويلية (لعب بالكرة) أى تصبح السلسلة العميقة المكونة لهذه الجملة هى مركب فعلى + صيغة الماضى المبنى للمجهول + حرف + مركب اسمى وهنا سنجد أننا قد اضفنا بعض العناصر وحذفنا البعض الآخر .

مثل حذف الفاعل وتغير صيغة الفعل وهى عملية تحويلية تختلف عن القاعدة التحويلية رقم (١٣) التى تطبق على اللغة الإنجليزية ومعنى هذا أننا نحتاج الى أجراء بعض التعديلات في القواعد التحويلية لكي تلائم اللغة العربية ولكن هل معنى هذا انتفاء =

قواعد تركيب أركان الجملة التى ذكرناها من قبل من رقم (١) — (١٢) ثم القاعدة التحويلية رقم (١٣) ويتوقف هذا الفرق على الطريقة التى نفسر بها الرموز التى تضمها هذه القواعد • ففى قواعد تركيب أركان الجملة نجد مثلا أن الرمز الواحد يشير الى عنصر واحد وعنصر واحد فقط ، أما فى القاعدة التحويلية فان الرمز الواحد قد يشير الى عـدة عناصر أو سلسلة مكونة من عدة عناصر شريطة أن تكون هذه السلسلـة مشتقة من هذا الرمز فى راسم أركان الجملة المرتبط بها •

وبناء على ذلك يمكننا القول بأن القواعد التحويلية تقوم بعملهـا معتمدة أولا على راسم أركان الجملة أكثر من اعتمادها على سلاسـل العناصر •

وفيما يلى سنحاول أن نوضح ما المقصود بهذا الكلام وذلك بمثال تجريدى خالص

هب أن لدينا سلسلة من العناصر على النحو التالى :

a + d + e + b + F + c + g + h

= صفة الشمول والعموم عن هذه القواعد ، الواقع أن الأصول العامة تبقى صحيحة من حيث ارتباط الجملة المبنية للمجهول بالجملـة المبنية للمعلوم أو بعبارة أخرى أن الجملة المبنية للمجهول مشتقة من نفس السلسلة التى اشتقت منها الجملة المبنية للمعلوم وهو ماحاول المؤلف البرهنة عليه بالمثال التجريـدى الذى يشرحه فى الصفحات التالية •
ومما هو جدير بالذكر أن علماء العربية القدماء قد أدركوا العلاقة بين الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية للمجهول مـع اختلاف فى الأصول وطريقة التحليل • (المترجم)

وهذه السلسلة تولدت بواسطة مجموعة من قواعد تركيب أركــان الجملة التى يوضحها راسم أركان الجملة الآتى :

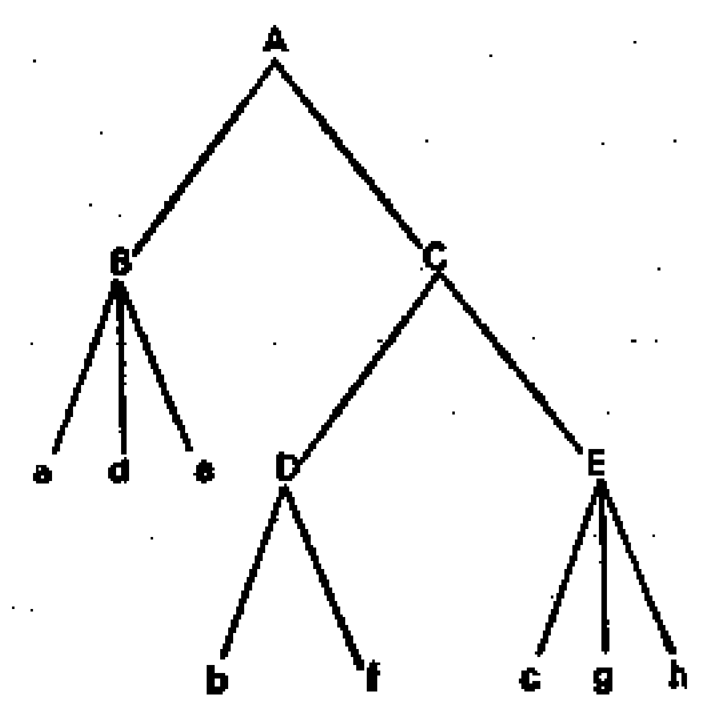


Fig. 3

(شكل رقم ٣)

ومن السهل أن يعيد القارىء بناء هذا الرسم البيانى بنفسه ، غير أننا سنجد أن هذه السلسلة تتحول بواسطة القاعدة التحويلية الآتية

$$B + D + E \longrightarrow E + B$$

$$c + g + h + a + d + e$$

الى السلسلة الآتية :

التى يوضحها راسم أركان الجملة :

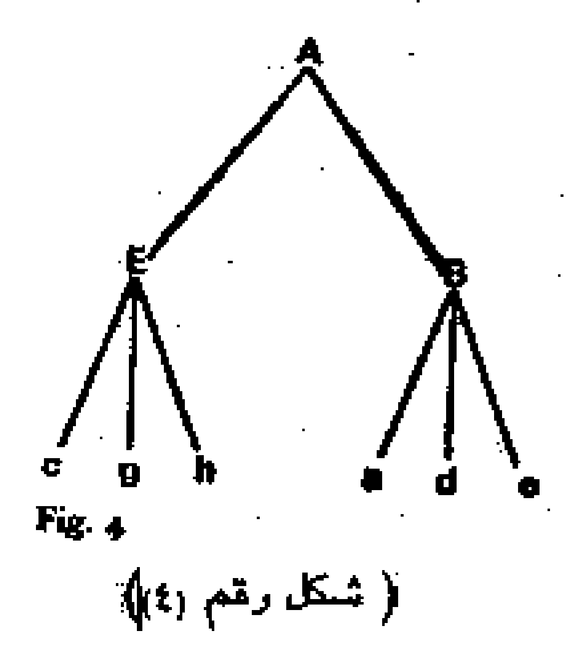


Fig. 4

(شكل رقم (٤))

ومعنى هذا أن سلسلة الرموز النهائية Terminal Symbols اذا كانت جزءا من راسم أركان الجملة فان القاعدة التحويلية تستطيع أن تحول راسم أركان الجملة الى راسم آخر ، وتلك هى الخاصية المميزة للقواعد التحويلية فالقاعدة التى ذكرناها من قبل لها القدرة على الغاء كل شىء يمثله الرمز D بل قادرة على الغاء الرمز D نفسه وكذا قادرة على ابدال DSB مع الاحتفاظ بتركيبها الداخلى سليما دون أن يمس ، أما بالنسبة لراسم أركان الجملة الموضح فى الشكل رقم (٣) وكذا الموضح فى الشكل رقم (٤) فيمكن القول بأن الأول عميق والثانى مشتق وذلك اذا أخذنا فى اعتبارنا مسألة التحويل التى نتحدث عنها ، وحيث أننا قد سلمنا بأن راسم أركان الجملة المشتق له شكل مميز كما هو واضح فى الشكل رقم (٤) فان ذلك يؤدى الى مسألة هامة من الناحية النظرية سأعود اليها بعد قليل أما الآن فلننظر الى هذه السلسلة العميقة .

(The + man + present + may + have + en + open + door)

وكذلك فلننظر الى راسم أركان الجملة الخاص بهذه السلسلة والتى سأترك مهمة رسمه الى القارىء بنفسه وهنا سنلاحظ أن :

NP المركب الاسمى يمثله The +man وأن العناصر : present + may + have + en يمثلها العنصر Aux (الفعل المساعد) وأما V (الفعل) تمثل فى open كما تمثل NP المركب الاسمى (The + door)

ومعنى هذا القاعدة التحويلية رقم (١٣) التى سبقت الاشارة اليها قابلة للتطبيق وأنها اذا طبقت فسوف تتحول هذه السلسلة العميقة الى القاعدة رقم (١٣ أ) (13 a) ومن ثم يصبح لدينا راسم أركان الجملة الملائم للجملة المشتقة كما يلى :

(13 a) the + door + present + may + have + en + be + en
+ open + by + the + man

لكن ما معنى راسم أركان الجملة الملائم للجملة المشتقة ؟ الواقع أن هذا السؤال على جانب كبير من الصعوبة لاننا اذا سلمنا بأن NP ستصبح المسند اليه فى الجملة المبنية للمجهول وأن be + en ستصبح جزءا من الفعل المساعد Aux وكذلك أيضا have + en أو may وكذا أصبحت by مرتبطة بـ NPI لكى تكون جملة ، اذا سلمنا بكل هذا فستبقى — رغم ذلك — بعض جوانب فى راسم أركان هـذه الجملة المشتقة غير واضحة وبناء على ذلك يصبح لدينا فى الحقيقة احتمالان لراسم أركان هذه الجملة كما هو واضح فى الشكلين رقم (٥) ورقم (٦)

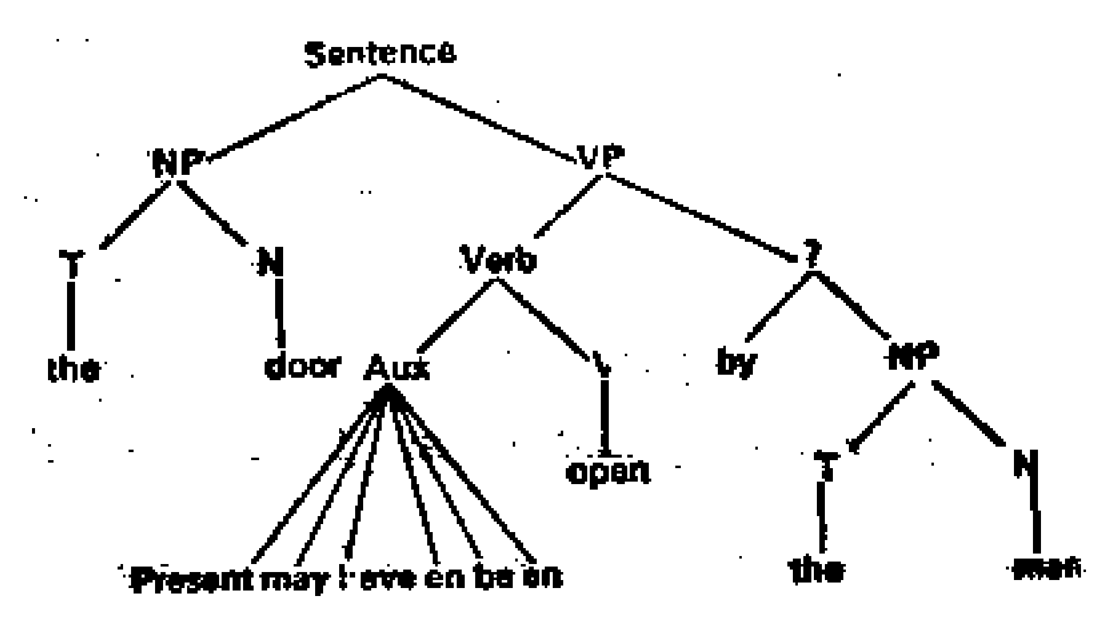


Fig. 5

الشكل رقم (٥)

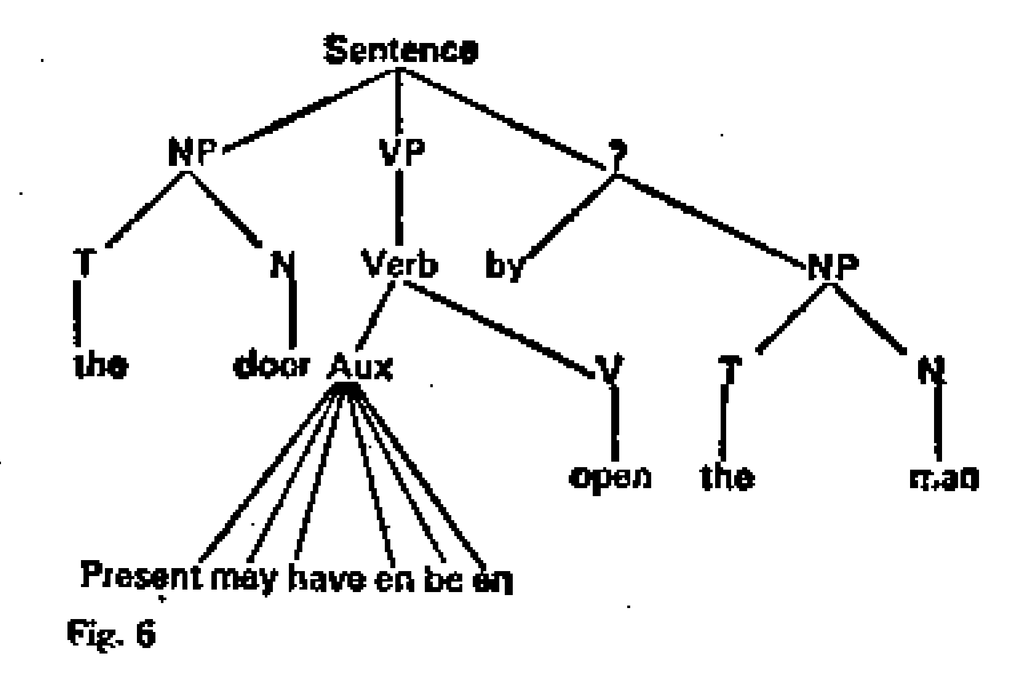


Fig. 6

(شكل رقم ٦)

حيث نلاحظ أنهما مختلفان فيما يلى :

١ — الأول (شكل رقم (٥)) يعتبر أن by + NP1 هى جزء من المركب الفعلى أما الثانى (شكل رقم (٦)) فيرى أن هذين العنصرين جزء من المكونات المباشرة للجملة أو حالة تشبه ذلك كما هى فى NP2 (المركب الاسمى الثانى) و VP (المركب الفعلى) .

٢ — وضعت علامة الاستفهام (؟) حيث ينبغى وضع المركب المقوس عليه : by + NP1

وهنا سنجد أننا قد وصلنا الى مشكلة نظرية لها أهميتها وهى أن السلسلة الناتجة عن تطبيق احدى القواعد التحويلية قد تقوم بدور السلسلة العميقة عند تطبيق القاعدة التحويلية التالية ولذا من الضرورى ربطها براسم أركان الجملة المشتقة الملائم لها . وقد حاول تشومسكي وبعض تلاميذه أن يضعوا حلا لتلك المشكلة وذلك عن طريق وضع عدد من الحلول مثل : حذف بعض العناصر واحلال أخرى أو تبديلها وذلك طبقا لتأثيرها على راسم أركان الجملة الذى يبين تحليلها وقد اتبعت بعض هذه الحلول حينما قلت أن تأثير قاعدة مثل :

B+D+E → E+B.

هو ما يمثل فى راسم الجملة العميقه الموضح بالشكـل رقم (٣) وهو الذى أدى الى راسم أركان للجملة المشتقة الموضـح فى الشكل رقم (٤) •

غير أن هذا كله ما هو الا صورة مبسطة الى حد كبير تبين النتائج المترتبة على تطبيق بعض العمليات التحويلية وأثرها على صورة راسم أركان الجملة ، بل لقد كانت الجمل التى قمنا بدراستها عبارة عن نماذج وأمثلة مجردة غير متأثرة بالجوانب التجريبية والعمليـة ، ولابـد أن القارىء قد أدرك أن مثل هذا العمل المجرد يختلف كلية عن العمل فى تكوين القواعد التحويلية الخاصة باللغة الانجليزية أو بعض اللغـات الانسانية الأخرى •

ننتقل بعد ذلك لدراسة قاعـدتين تحويليتين تختلفـان قليلا عن قاعدتين ذكرهما تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » من حيث الشكل ولكن لهما نفس الأثر •

أما الاولى فهى قاعدة أجبارية obligatary وتسمى رقم التحويل وهى على النحو التالى :

(14) Present { S/NP Sing / O/else where }

وهى قاعدة الشعور السياقى context sensitive rule التى تقول : ان الفعل المضارع (الزمن الحاضر) يعـاد كتابتـه على صورة (S) فى حالة واحدة وفى حالة واحـدة فقط اذا كـان يسبقه فى السلسلة العميقة مباشرة سلسلة مكونة من عنصر واحد أو عدة عناصر تظهر فى مراسم أركان الجملـة فى صورة NP Sing (مركب اسمى مفرد) • ولكنه أى الفعل المضارع تعاد كتابته فى جميـع السياقات الأخرى مجردا Zero كما لو كانت اللاحقة (S) غير موجـودة وهى القاعدة التى تبين المطابقة agrement بين المسند (الفعل) والمسند اليه (الفاعل) مثال ذلك : The man goes

وهى جملة صحيحة ، أما جملة مثل : The man go

فهى جملة غير صحيحة

ومثل ذلك أيضا فى جملة مثل : The man is

وهى جملة صحيحة ، أما جملة : The man are

فهى جملة غير صحيحة ومعنى هذا أننا اذا طبقنا القاعدة رقم (13a) التى أشرنا اليها من قبل فان ذلك يؤدى الى القاعدة رقم (14a) وذلك على النحو التالى

(14a) the + door + s + may + have + en + be + en + open + by + the + man.

ولعلنا قد لاحظنا أن ما أطلقنا عليه مصطلح اللاحقه الفعلية المجردة abstract verbal Suffix ، قد وقعت هنا أمام العنصر الذى تتصل به ، ومثل ذلك أيضا مع اللواحق en ing التى بينتها القاعدة رقم (١٠) من قواعد تركيب أركان الجملة فيما أشرنا اليه من قبل عند الحديث عن هذه القواعد •

وقد أطلقنا مصطلح اللاحقة الفعلية المجردة على هذه الحالة لانها تتخذ أشكالا مختلفة بما فيها أيضا حالة غياب اللاحقة Zero أو عدم وجودها •

والقاعدة التى تحكم وضع هذه اللواحق المجردة بعد جذور الكلمات المناسبة لها Stems أى ما يسمى بالتحويل المساعد auxilary transformation ويمكن وضعها على النحو التالى :

$$(15) \quad \begin{Bmatrix} \text{Tens} \\ \text{en} \\ \text{ing} \end{Bmatrix} + \begin{Bmatrix} \text{M} \\ \text{have} \\ \text{be} \\ \text{V} \end{Bmatrix} \leftarrow \begin{Bmatrix} \text{M} \\ \text{have} \\ \text{be} \\ \text{v} \end{Bmatrix} + \begin{Bmatrix} \text{Lens} \\ \text{en} \\ \text{ing} \end{Bmatrix}$$

ومعنى هذه القاعدة أن كل عنصرين متلازمين أحدهما على شكل Tense أو en أو ing والثانى M أو have أو be أو V لابد من ابدالهما • أما بقية العناصر الأخرى فتبقى كما هى دون أى تغير سواء تلك التى على اليسار أو على اليمين •

فاذا طبقنا القاعدة رقم (14a) السابقة فلا بد من تحويل العناصر:
S + may (Tense + M), en + be and en + open (en + v).

من اليسار الى اليمين حيث يؤدى ذلك الى
(15a) the + door + may + s + have + be + en + open
+ en + by + The + man.

تبقى بعد ذلك قاعدة واحدة لم تطبق بعد ، وهى القاعـدة التى تبين المسافة الرمزية بين الكلمات وسوف نضع مسافة بين كل عنصرين شريطة ألا يكون العنصر الثانى أحد العناصر الآتية :

Tenase, en, ing

وكذا ألا يكون العنصر الاول واحدا من العناصر الآتية :

M, have, be, V

فاذا طبقنا القاعدة رقم (15a) بناء على ذلك فانها تؤدى الى :

(16a) the door may + S have be + en open + en by the man.

ذلك هو الشكل الذى تنتهى اليه العناصر التى مثلنـا بها وذلك بعد تطبيق جميع القواعد التحويلية عليها ومع ذلك فقـد بقيت خطوة أخيرة ونهائية فى هذا النموذج من القواعد النحوية من النماذج التى وضعها تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » وهذه الخطوة تتمثل فى مجموعة القواعد المورفولوجية الفونيمية التى تحول سلسلة الكلمات والمورفيمات الى سلسلة من الفونيمات ومعنى هذا اعادة كتابة العناصر على الصورة الفونيمية أى كما تنطق حيث تكتب على النحو التالى :

may + S → may
open + en → opened
be + S → is
run + en → run

وبذلك ينتهى المثال الى الصورة الفونيمية المكتوبة للجملة وهى :

The door may have been opened by the man.

ولعل القراء الذين لم يتعودوا بعد على منهج تشومسكى وطريقته فى قواعد النحو التحويلى ، قد يشعرون ببعض الضجر ، أو يجدون هذه القواعد مملة وبخاصة عند تطبيق هـذه القواعد الواحدة تلو الأخرى لاشتقاق جملة واحدة ، ولكن لعلهم الآن قد اكتسبوا قدرا من المعرفه والفهم يساعدهم على معرفة هذه القواعد وكيفية عملها ومن ثم ادراك بعض القضايا العامة التى طرحناها فى هذا الفصـل أو فى الفصـول الماضية من هذا الكتاب ولعله من المفيد فى هذا المقام أن نقدم رسما بيانيا diagram يوضح باختصار هذه القواعد وطريقة عملها كما جاءت فى كتاب تشومسكى « التراكيب النحوية » (انظر الشكل رقم٧)

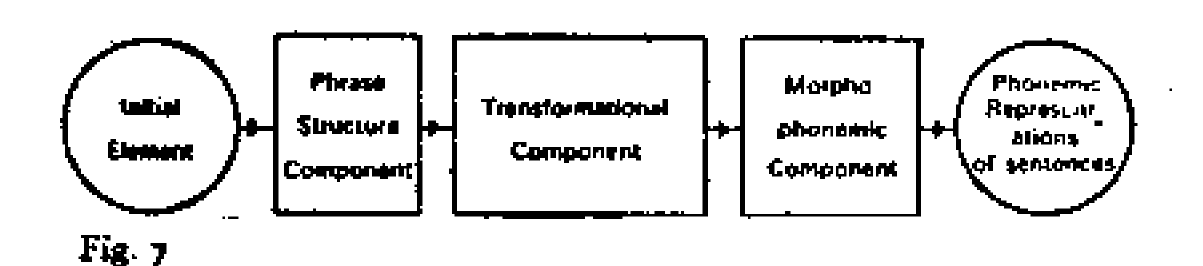


Fig. 7

(شكل رقم ٧)

---

(١) يمثل الشكل رقم (٧) صوره مختصرة للعمليـات التحويلية لأى جملة حتى تنتهى الى الصـورة الفونيمية المنطوقـة حيث تمثل العناصر الأولية inital element البنيـة العميقة لعدد مـن الجمل المختلفة التركيب السطحى أى اذا كان لدينا عدد مـن الجمـل مثل ...) ١ ــ أكل الولد الطعام

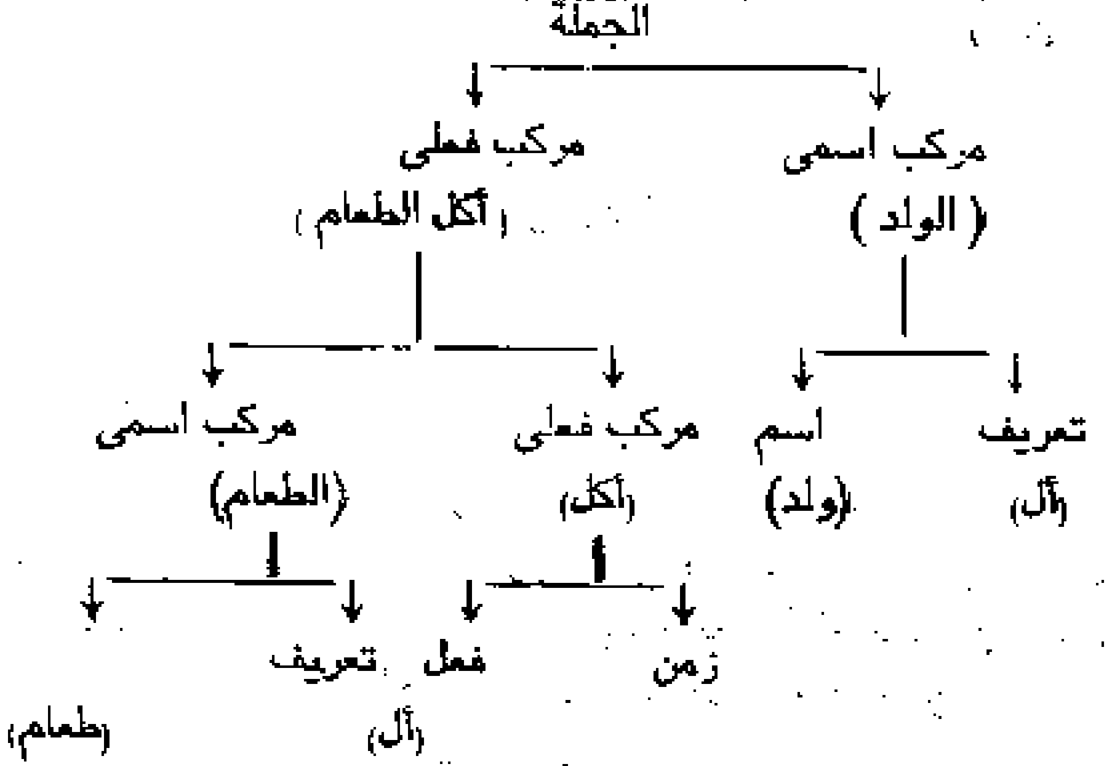
٢ ــ الولد أكل الطعام

٣ ــ الطعام أكل الولد .

فان العناصر الأولية المكونة لهذه الجمل جميعـا هى عبارة عن مجموعة قواعد مجردة بالاضافة الى وحدات معجمية وهـى =

حيث نجد أن مدخل input هذه القواعد عبارة عن العناصر الأولية initial element كما بيناهـا فى الفصل الماضى وهـى التى يولد منها بتطبيق قواعد تركيب أركان الجملة ، مجموعة من السلاسل

= تمثل المادة الأوليـة أو المكون الأساسى لهذه الجمـل الثلاث ، والتى تظهر بعـد تطبيـق قواعـد التركيب أو التكـوين التى يمثلها الصندوق الثانى وهو ما يظهره النموذج الثانى من القواعد التى وضعها تشومسكى أو مايعرف باسم نموذج قواعد تركيب أركان الجملة الذى يقوم على فكرة اعادة الكتابة أى اعادة كتابة رمز ما أو وحده لغوية مركبة بحيث تظهر مكونات هذا الرمز أو تلك الوحدة اللغوية برمز آخر أو بعدة رموز وبالنسبة للجمل الثلاث السابقة نستطيع أن نتبين قواعد التراكيب فيها بناء على التحليل الشجرى الى المكونات المباشرة وذلك على النحو التالى :



أى أن البنية العميقة لهذه الجمل الثلاثه تصبح على النحو التالى:
الجملة ← تعريف + اسم + زمن + فعل + تعريف + اسم
ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الثالثة التى يمثلها الصندوق الثالث وهى تطبيق القواعد التحويلية التى هى — كما رأينا من قبل — عباره =

التحتية كما هو مبين فى الصندوق الأول من هذا الشكل ، أما الصندوق الثانى فيحتوى على القواعد التحويلية التى تتراوح بين قواعد اجبارية obligatory وأخرى اختيارية optional وهذه القواعد عبارة عن سلاسل تحتية مفردة أو سلاسل تحتية مزدوجة وسوف نتناول هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد •

ولكن اذا نجحنا فى تعديل modifying هذه السلاسل وكـذا رواسم أركان الجملة المرتبطة بها فأنها تولد جميع الجمل وجميع الجمل فقط فى هذه اللغة ، والتى تتمثل فى سلاسل من الكلمات والمورفيمات كما تحدد لكل جملة المكونات المباشرة التى اشتقت منها •

أما الصندوق الثالث فيقوم بتحويل كل جملة من هذه الجمل مـن صورتها التركيبية — كسلسلة مكونة مـن كلمات ومورفيمات — الى الصورة الفنولوجية — كسلسلة مكونة من الفونيمات — وبذلك تنتهى الجملة الى مستويين من مستويات التحليل التى أشرنا اليها فى الفصل

= عن مجموعة من القواعد الاجبارية والاختيارية التى تتبدل بهـا أركان الجملة وتبين العلاقات القائمة بين الجمل بحيث تصل فى النهاية الى أن الجمل الثلاث السابقة هى عبارة عن جمل مشتقة من أصل واحد أى ليست كل جملة منها مستقلة عن الأخرى كما يبدو من التركيب السطحى لها وانما تعود جميعـا الى أصـل عميق واحد اشتقت منه • أما الصندوق الرابع فيمثل القواعـد الفنولوجية والمورفولوجية التى تتألف منهـا الوحدات اللغوية ، أى بعبارة أخرى فان هذا الصندوق يمثل القواعد التى تحول كل جملة من الجمل — التى أظهرتها القواعد التحويلية — من صورتها التركيبية كسلسلة مكونة من مورفيمات حرة أو مورفيمات مقيدة الى الصورة الفنولوجية وأخيرا يمثل الصندوق الخامس الصورة الصوتية للجملة أى التركيب السطحى الذى تنطق به •

(المترجم)

الثانى تحت مصطلح ثنائية التركيب duality of Sructure وعلى هدى من هذا النموذج من نماذج النحو التحويلى وباستخدام القواعد التحويلية الاختيارية نستطيع أن نفسر وجود بعض الجمل البسيطة .

وبناء على ذلك يمكن أن نعتبر جميع الجمل الآتية جملا تتصل أحدها بالأخرى لأنها جميعا مشتقة من سلسلة عميقة واحدة وهذه الجمل هى :

1 — The man opend the door.

2 — The man did not open the door.

3 — Did the man open the door ?

4 — Didn't the man open the door?

5 — The door was opened by the man.

6 — The door was not opened by the man.

7 — was the door opend by the man?

8 — wasn't the door opend by the man?

ولكن برغم هذه الصلة التى أشرنا اليها الا أن هذه الجمل تختلف أيضا فى نواح عدة وذلك على النحو التالى طبقا لترتيبها :

١ — لم تطبق على السلسلة العميقة القواعد التحويلية الاختيارية .

٢ — طبقت عليها قواعد النفى التحويلية .

٣ — طبقت عليها قواعد الاستفهام .

٤ — طبقت عليها قواعد الاستفهام والنفى .

٥ — طبقت عليها قواعد المبنى للمجهول .

٦ — طبقت عليها قواعد المبنى للمجهول والنفى .

٧ — طبقت عليها قواعد المبنى للمجهول والاستفهام .

٨ — طوقت عليها قواعد المبنى للمجهول والاستفهام والنفى .

فالجملة الأولى من هذه الجمل الثمانية هى جملة خبرية مبنيــة للمعلوم التى حددها وعرفها تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » بأنها الجملة النواة أو الجملة الأساسية أما الجملة الفرعية non - kernel فهى التى تشبه الجملتين الثانية والسابعة فى مجموعة الجمل السابقة من حيث أنهما غير مشتقتين من الجملة النواة مثل الجملة الأولى ولكنهما مشتقتان من سلسلة عميقة عامة ولعل هذا كلــه قد اتضح بجلاء عند مناقشتنا المفصله — من قبل — لاشتقاق الجملة المبنية للمعلوم .

وصفوة القول أنه لايمكن توليد أى جمل دون أن نطبــق — على الأقل عددا محددا من القواعد التحويلية الاجبارية وكذا عــدد من القواعد المشابهة لها فى التأثير مثل القاعدتين رقم (١٤) ، (١٥) السابق ذكرهما ، ولكن كيف تتولد بعض أنواع الجمل الأخرى مثــل الجمل الكبرى Compound Sentences التــى تتركب من جملتــين من الجمــل الصغرى Clauses Sentences مثل :

The man opend the door and switched on the light

وكذا الجمل المركبة Complex Sentences التى تحتوى على جملتين احداهما تابعة للاخرى مثلً :

The man who opened the door switched on the ligit.

ان مثل هذه الجمل تتولد بطرق العطف Conjoining والاندماج embeding التى تتخذ من سلسلتين عميقتين مدخلا input لهــا وتربط بينهما مثال ذلك :

The + man + past + open + the door and the + man + past + Switch + on + the + light.

ومعنى هذا أن العطف والاندماج يكونان طبقة من التحويــلات العامة generalized transformations فى كتاب « التراكيب النحوية » حيث نعتمد على تكرار تطبيق هذه القواعد العامة عند وجود

مثل هذا النوع من الجمل مثل :

This is the .... that lived in the house that Jack built

أو جملة مثل :

a big, black, three - foor long, ... wooden box

وبطبيعة الحال فان قواعد التحويلات العامة هذه قواعد اختيارية aptional بهذا نجد أننا قد أستطعنا الى حد كبير — أن نقدم القارىء ملخصا عاما للقواعد التحويليـــة التى قدمهـــا تشومسكى فى كتابـــه «التراكيب النحوية» ، وهو يرى أن النموذج الثالث منها — أى القواعد التحويلية — أكثر النماذج الثلاثة قوة وفاعلية فى دراسة اللغة ووصفها وأن هذا النموذج يمكن الاعتماد عليه أكثر من نموذج قواعد تركيب أركان لجملة phrase Structure grammar وبخاصة عندما ندرس ونحلل أنواعا معينة من الجمل مثل الجمل الغامضة ambiguous وقد مثل تشومسكى لهذا النوع من الجمل بمثال مشهور هو :

Flying planes can be dengerous

وهى جملة تحتمل معنيين هما :

To Fly planes can be dangerous
plans which are flying can be dangerous

وتحليل المكونات المباشرة المحتملة لمثل هاتين الجملتين هو :

«(Flying) (planes)» «(an) (be)» «dangerous»
Planes which are flying can be dengerous.

وهذا نوع من الجمل والتراكيب الغامضة يختلف عن الجملة التى عرضنا لها من قبل فى الفصل السابق وهى : old men and old women

غير أننا نستطيع — اذا ما استخدمنا نموذج قواعد تركيب أركان الجملة — أن نولد من مثال تشومسكى هذا جملة مثل :

Flying planes can be dangerous

كما نستطيع أيضا أن نكون لها نوعين مختلفين من راســم أركان

الجملة شريطة ان تأخذ فى الحسبان المأزق المتمثل فى غموض كلمة Flying ولكن ذلك لن يكون حلا مرضيا لمسألة الغموض فى مثل هذه الجملة فلن نستطيع أن نصل ما بين ركن الجملة المتمثل فى عبارة Flying planes وبين عبارة Planes/which/are/Flying من ناحية وبين عبارة Someone flies planes من ناحية أخرى لأن التحليل التحويلى للجمل الغامضة يقوم على الصلة بين سلسلتين عميقتين مختلفتين (١) وعلى ذلك نستطيع أن نتصورهما بالنسبة لجملة تشومسكى على النحو التالى :

---

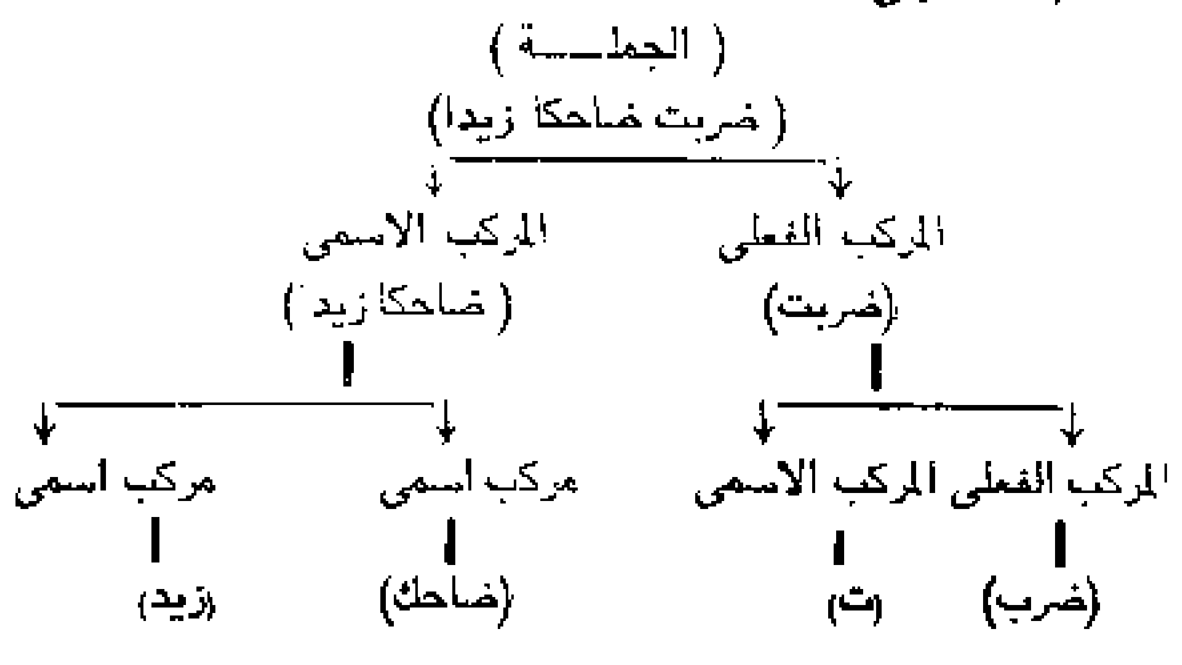
(١) هذا نموذج آخر من التراكيب الغامضة ، التى أشرنا اليها من قبل وهى تشبه بعض الجمل العربية مثل : (ضربت زيدا ضاحكا) وهى جملة تحتمل معنيين هما :

١ — ضربت زيداً وأنا أضحك (أى الحال من الفاعل)

٢ — ضربت زيداً وهو يضحك (أى الحال من المفعول)

ومعنى هذا أن الجملة الأولى وهى (ضربت زيداً ضاحكاً) مشتقة من سلسلتين عميقتين مختلفتين ، احداهما : الحال فيها من الضمير فى (ضربت) أى « ضربت ضاحكاً زيداً » والثانية الحال فيها من الاسم الظاهر (زيد) أى (ضربت زيداً يضحك) . وبتحليل هاتين الجملتين الأخيرتين نصل الى سلسلتين مختلفتين ، وذلك على النحو التالى :

الجملة الأولى :



السلسلة العميقة الأولى هى :

Plane + s + be + ing + fly

أما الثانية فهى :

Someone + fly + plane + s

ولكن هناك أنواعا من الجمل الغامضة التى تستجيب بسهولة لقواعد النحو التحويلى مثل : Idon't lik eating apples

---

الجملة :

ضرب + ت + ضاحك + زيد

فعل + ماض + ضمير + اسم + صيغة + اسم

الجملة الثانية :

(الجملة)

(ضربت زيدا يضحك)

مركب فعلى — مركب اسمى

(ضربت) — (زيد يضحك)

مركب فعلى (ضرب) — مركب اسمى (ت) — مركب اسمى (زيد) — مركب فعلى (يضحك)

مركب فعلى (يضحك) — مركب اسمى (هو)

الجملة :

ضرب + ت + زيد + ضحك + هو

فعل + ماض + ضمير + اسم + فعل + مضارع + ضمير

وبذلك يكشف التحليل الى المكونات المباشرة عن أصل الغموض فى مثل هذه التراكيب وذلك بغض النظر فى هذا التحليل عن دلالة حركات الاعراب باعتبارها جزءا من المركب الفعلى أو الاسمى فى اللغة العربية ، فحركة النصب فى (زيدا) مثلا ، هى فونيم له دلالة على المفعول به وهى جزء من المركب الاسمى ولايظهر هذا الا فى التحليل النهائى للجملة (المترجم)

حيث نجد أن لهذه الجملة احتمالين هما apples for eating
مقابل : to eat apples
مثل ذلك أيضا فى جملة أخرى مثل : I disapprove of his drinking
وهى أيضا جملة ذات معنيين أحدهما : The Fact that he drinks
مقـــابل : The way in which he drinks
(أنظر تشومسكى اللغة والعقل ص ٢٧)

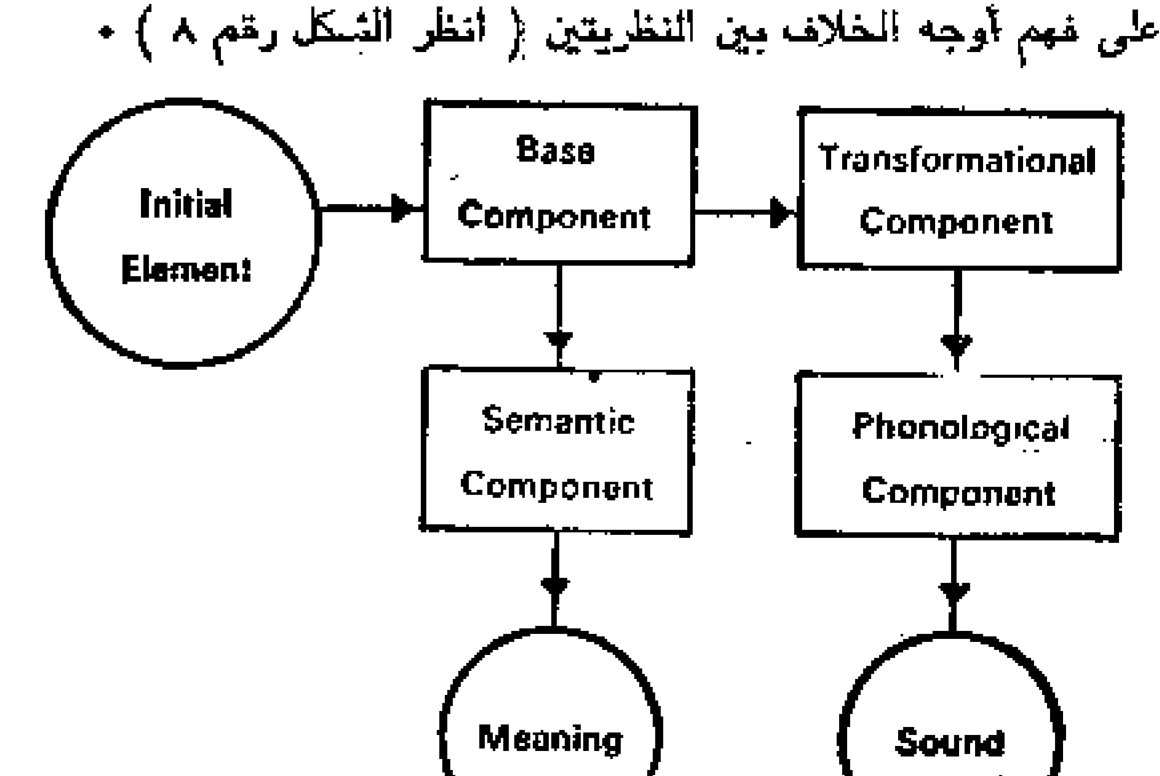
ولاشك أن تحليل وتفسير القواعد فى هـــذه التراكيب الغامضة بناء على القواعد التحويلية يعتمد عـــلى تطبيق القواعـــد الاختيارية عليها وإن كان ذلك يخضع أيضا لمبدأ عام فى دراسة أى نظام من نظم الاتصال وهو مبدأ الاختيار • ومعنى هذا المبدأ أن اختيار واحد مـــن المعنيين لمثل هذه الجمل الغامضة انما هو من أجل الضرورة فقط ولكنه ليس دليلا كافيـــا على أن الاختـــلاف فى المعنى قد حسم ، والدليـــل المنطقى الواضح على هذا المبدأ هو اختيار كلمة دون أخرى من مجموعة الكلمات التى تمثل هذا التركيب الغامض لكى تظهر فى موضع بعينه ، مثال ذلك : The man opened the window
مقابل جملة مثل : The man opend the door.

حيث نجد أننا أمام اختيار مجموعة مـــن القواعد المختلفـــة أو الاختيار بين طرق مختلفة لتطبيق مجموعة القواعد نفسها لكى تولـــد جملتين أو أكثر من سلسلة عميقة واحدة •ولقد أشرت من قبل الى أن الاختيار لهذا المعنى ليس دليلا كافيا على اختـــلاف معانى الجمـــل المتولدة مثال ذلك الجملة : John looked the word up in the dictionary.
وجملة أخرى مثل : John looked up the word in the dictionary

حيث نجد أنهما جملتين مختلفين ـــ طبقا لما ذكره تشومسكى فى كتابه « التراكيب النحوية » نظرا لتطبيق قواعـــد تحويلية اختياريـــة اضافية عليهما ومع ذلك فهمـــا غير مختلفتين فى المعنى لأن القواعـــد التحويليه التى تحول سلسلة مثل :
past + look + up + the + word
الى : past + look + the + word + up.

انما هى قواعد أسلوبية ، ولكن تشومسكى استطاع فى عام ١٩٦٥ أن يقدم نظرية تحويلية أكثر تماسكا وذلك فى كتابه « مظاهر النظرية النحوية » Aspects of the Theory of syntax وهــى نظرية تختلف عــن نظريته الأولى التى قدمها فى كتابه « التراكيب النحويــة » فى عــدة جوانب هامة وسنكتفى هنا بذكر أهم أوجه الاختــلاف بين النظريتين وسنطلق على النظرية الأولى اســم « قواعــد التراكيب النحوية » أما الثانية فسنطلق عليها نموذج المظاهر النحوية Aspects type grammar

ولا شك أن وضع رسم بيانى بين يدى القارىء قد يساعده كثيرا على فهم أوجه الخلاف بين النظريتين (انظر الشكل رقم ٨) •



شكل رقم (٨)

(١) يمثل الشكل رقم (٨) التطور الذى طرأ على فكر تشومسكى بعد نشر كتابه الأول « التراكيب النحوية » الذى قدم فيــه النظرية التحويلية ويظهر الفرق واضحا اذا ما قارنا بين الشكل الذى نحن بصدده الآن والشكل رقم (٧) حيث نجد اضافة جديدة فى الشكل

حيث نجد الفرق الواضح بين قواعد نموذج التراكيب النحوية ونموذج المظاهر النحوية — كما يتمثلان فى الشكلين ، رقم (٧) الذى عرضنا له من قبل والشكل رقم (٨) الذى نحن بصدده الآن — يظهر

رقم (٨) تتمثل فى العناصر الدلالية التى لم يهتم بها تشومسكى فى أول الأمر بحيث يمكن القول بأن التحليل اللغوى الذى اعتمد عليه فى تقديم نظريته الأولى كان تحليلا شكليا لا يعطى المعنى أو الدلالة الأهمية التى يستحقها ، غير أن ذلك لم يستمر طويلا اذ عاد تشومسكى لكى يؤكد أهمية المعنى ودوره فى التحليل وهنا سنجد أن الشكل رقم (٨) يحتوى على صندوق جديد لم يكن موجودا من قبل فى الشكل رقم (٧) وهو يمثل المكونات الدلالية. ومعنى هذا كما — يتضح من الشكل — أن الصورة الدلالية وكذا الصورة الصوتية هى المحصلة النهائية لما يحدث فى التركيب العميق أى بعبارة أخرى أن المكونات الأساسية التى يمثلها الصندوق الثانى بعد العناصر الأولية بالاضافة الى المكونات التحويلية التى يمثلها الصندوق الثالث يمثلان معا الوصف الدقيق لبنية الجمل العميقة وهما معا أيضا اللذان يحددان العناصر التى تكونها ثم يتوازى بعد ذلك المكون الدلالى مع المكون الفنولوجى من حيث أنهما مفسران ، أما المكون الدلالى فيفسر معنى الجملة أما المكون الفنولوجى فيعطيها الصورة الصوتية أو النطقية لذا نجد أن الشكلينتهى الى جانبين هما : الصوت والمعنى أو كمايقول علماء العربية المبنى والمعنى والصورة الملفوظة هى التى تمثل المبنى بينما المعنى صورة مفهومية ولابد أن نلاحظ أن الصوت يعنى هنا النطق الخاص لكل تركيب ومثل ذلك بالنسبة للمعنى أى الدلالة الخاصة بكل تركيب . ومعنى هذا أن عمل المكون الدلالى الذى أضافه تشومسكى فى هذا الشكل يتحدد فى تخصيص المعنى لكل تركيب وهو يقوم بذلك استنادا الى المعانى الجزئية التى تحملها المورفيمات سواء أكانت حرة أو مقيدة وطبقا للقواعد التى تعمل بها هذه المورفيمات فى اللغة . وهنا نلاحظ أن المكون الدلالى مرتبط ارتباطا وثيقا بالمكون الأساسى أى بالبنية العميقة التى تتمثل فى ذهن المتكلم المستمع المثالى أى هى عبارة عن حقيقة عقلية يعكسها التتابع اللفظى للجملة =

فى وجود اضافة الى الشكل الأخير هى عبارة عن « صندوق » من القواعد يمثل عناصر المعنى Semantic Component ولم يكن ذلك رأى تشومسكى حينما نشر كتابه « التراكيب النحوية » أو بعبارة أخرى حينما نشر نظريته الأولى عن قواعد التراكيب النحوية حيث أشار الى أن الاعتبارات الدلالية ليست ذات صلة مباشرة فى وصف ودراسة التركيب النحوى يقول « لاشك أن هناك علاقة تلفت النظر بين التراكيب النحوية وبين عناصر كشف عنها التحليل النحوى الشكلى تقوم بوظائف دلاليه معينه » (انظر ص ١٠١) ثم يقول « وحيث أننا قد عرفنا جوانب التركيب النحوى للغة فيمكن لنا أن ندرس الطريقة التى يستخدم بها هذا التركيب النحوى فى الوظيفة الحقيقة للغة » (انظر ص١٠٢) ومعنى هذا أن تشومسكى كان يعطى الأولوية للتحليل النحوى قبل دراسة المعنى أو الدلالة ولكنه بعد مضى عشر سنوات على نشر كتابه

= أى البنية السطحية ومن هنا نجد أن البنية العميقة ترتبط بالدلالات أى أنها تحدد التفسير الدلالى للجمل والمقصود بالجمل هنا الجمل الصحيحة نحويا أى أن المكون الدلالى هو الذى يميز بين الجمل الصحيحة نحويا والجمل غير الصحيحة ويضع أيدينا على السبب فى انحراف الجمل غير الصحيحة أو التى يبدو لنا تركيبها السطحى صحيحاً مثال ذلك :

١ — اشتعلت النار فى المنزل ٢ — اشتعل الثلج فى الماء .

الجملة الأولى جملة نحوية صحيحة التركيب (مبنى ومعنى) فى حين أن الجملة الثانية صحيحة التركيب ولكنها غير مقبولة برغم أن البنية العميقة لكل منهما واحدة اذ تتكون كل منهما من : الجملة ← مركب فعلى + مركب اسمى + حرف + مركب اسمى .

ويرجع السبب فى انحراف الجملة الثانية رغم أنها صحيحة نحويا الى أن المكونات الدلالية للفعل اشتعل (المركب الفعلى) لاتتركب مع المكونات الدلالية للفاعل (المركب الاسمى) الثلج

وهكذا نجد أن الصندوق المضاف فى هذا الشكل يعطى للمكون الدلالى دورا أساسيا يكاد يتساوى مع البنية العميقة وسنرى بعد ذلك أن كل التطورات التى طرأت على نظرية تشومسكى كانت تتخذ من المكون الدلالى أساسا لها . (المترجم)

«التراكيب النحوية» اقتنع هو وتلاميذه بأن معنى الجمل يجب أن يخضع أيضا لنفس الخطوات التحليلية التي يخضع لها التحليل النحوي، وأن الدلالة ينبغي أن تدخل في هذا التحليل كعنصر يتكامل مع التحليـل النحوي للغات الانسانية ، وبناء على هذه النظرة الجديدة للمعنى ودوره ، تغيرت نظرة تشومسكي للوصف النحوي والقواعد النحوية فأصبحت هـذه القواعد عبارة عن نظام يتصل بالدلالة أو معنى كل جملة يمكن توليدها بحيث تظهر وتتشكل عن طريق الصوت ولذا نجد أن النحو في كتابيـه «التراكيب النحوية» و «المظاهر النحوية» ينقسم الى قسمين ، ولكن برغم ذلك نجد أن العناصر النحوية المكونة لكل قسم من هذين القسمين تعمل بطريقة مختلفة فهي في الكتاب الثاني الأساس الذي تقوم عليه القواعد أكثر من قيامها على العناصر التحويليـة التي يعتمد عليها في معرفـة المعنى عن طريق الاختيار لتكوين جمل معينة .

مثال ذلك الفرق بين الجملة الخبرية والجملة الاستفهامية أو بين الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية للمجهول حيث نجد أن هذا الفرق لم يعد يعتمد في وضعه ودراسته على القواعد التحويليـة الاختيارية وانما على الاختيار في صلب القاعدة الأساسية فقد نجد مثلا القاعـدة الأساسية لتركيب ما على الشكل الآتي :

(26) VP → Verb + NP + (+ Agentive)

وهنا سنجد أن اختيار عنصر الفاعليـة Agentive يميز بين الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية المجهول ومعنى هذا أنه لابد من وجود قاعدة تحويلية أخرى اجبارية تتصل بالقاعدة رقم (١٣) التي ذكرناها من قبل وتعمل هذه القاعدة الاجبارية في حالة واحدة فقط عندما تحتوي السلسلة التي تكون مثل هذه الجمل على عنصر الفاعلية وهـذا الاقتراح الذي أقدمه وان كان ينتمي الى روح تشومسكي دون عملـه الا أن فائدته عندما نريد وضع القاعـدة التحويليـة وضعا صحيحـا حيث تقدم لنا العقدة المتمثلة في : by + NP١ التي نجدها في راسم أركان الجملة المشتقة المتصل بالجمل المبنية للمجهول .

وبناء على ذلك فان القواعد الأساسية هذه تولد عددا غير محدود من رواسم أركان الجملة التى تمثل التركيب العميق لكـل الجمل التى تخضع لهذا النظام ، وهذه الرواسم العميقة تتحول الى رواسم أركان الجمل المشتقة التى تمثل بدورها التراكيب السطحيـة لهذه الجمـل بواسطة القواعد التحويلية التى تتحول كلها الى قواعد اجبارية فيمـا عدا القواعد الأسلوبية .

أما معنى كل جملة — فى هذه الحالة — فسيكون مشتقا فى معظم جوانبه ان لم يكن بأكمله من البنية العميقة بواسطة قواعـد التفسير الدلالى ، أما المظهر الصوتى أو التفسير الصوتى لكل جملـة فسيكون مشتقا من البنية السطحية بواسطة القواعد الفنولوجية ولسنا فى حاجة الى الخوض فى تفاصيل أخرى أكثر تعقيـدا وهى التى تميز نمـوذج « المظاهر النحوية » عن نموذج قواعد التراكيب النحويـة البسيطـة التى حددها تشومسكى فى كتابه الأول « التراكيب النحوية » وكل مـا يمكن اضافته بعد هذا كله فيما يتصل بالخصائـص العامـة لنموذج « المظاهر النحوية » الذى قدمه تشومسكى عام ١٩٦٥م هو أن الأفكار الدلالية ذات الصلة بالتحليل النحوى فى هـذا الكتاب أصبحت أكثر وضوحا وتحديدا فى ضوء العلاقات بين البنية العميقة والبنية السطحية وكان ذلك مجرد اشارات عابرة فى كتابه الأول « التراكيب النحوية » كما نلاحظ أيضا أن فى الكتاب الثانى تفرقة واضحة بين الفاعل المنطقى Logical subject فى البنية العميقة والفاعل النحوى grammatical subject فى البنية السطحية مثال ذلك الجملة التالية :

John was persuaded by Harry to take up golf.

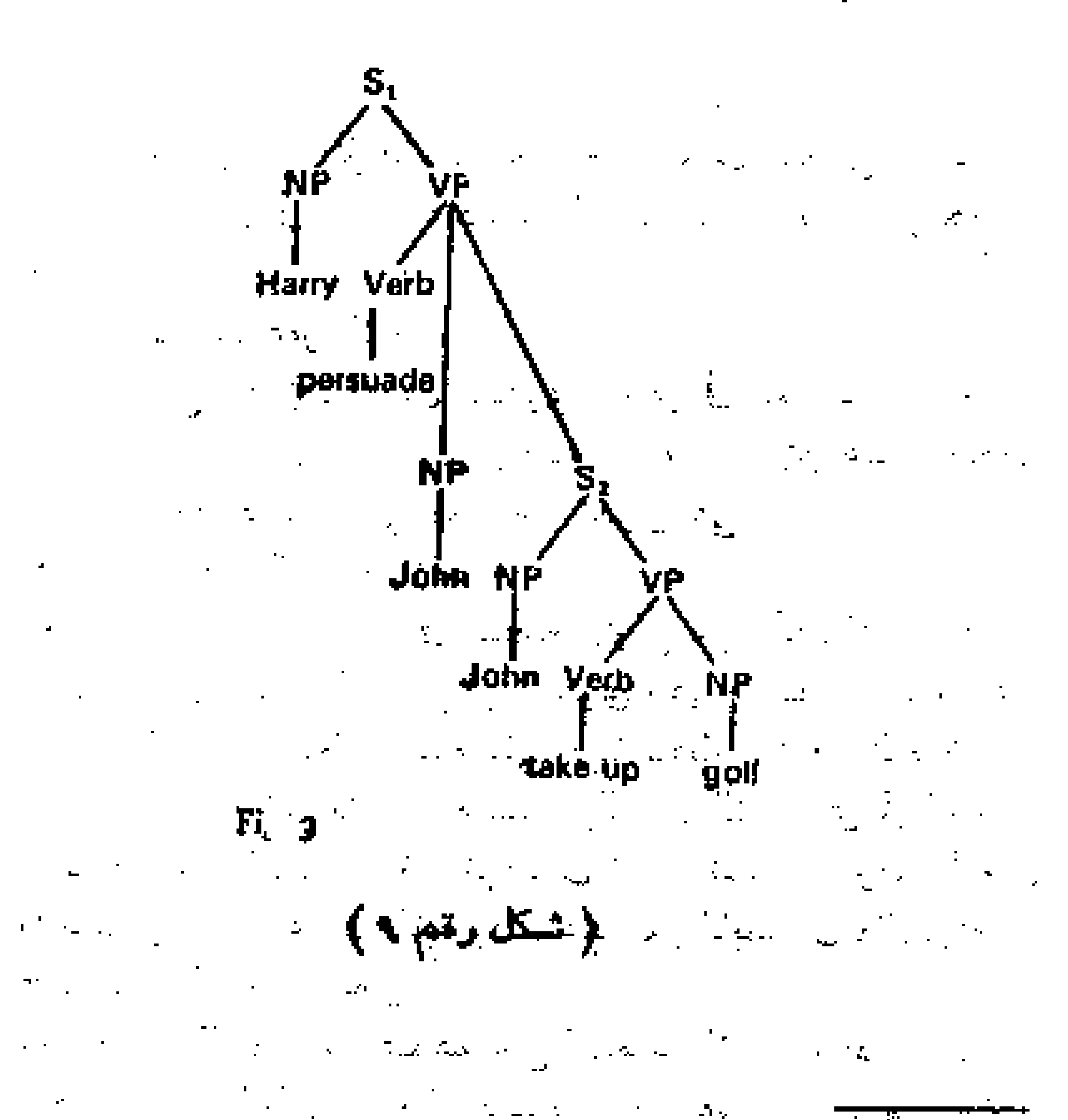
وهنا سنجد أن الفاعل النحوى هو John وذلك بناء على أن الفاعل فى الجملة الانجليزية لابد أن يتطابق مع الفعل حيث نقول John Wos persuadd مقابل Thay ware persuaded ، ومعنى هـذا أن

البنية العميقة لهذه الجملة تتكون من جملة هى (S2) المندمجة embedded فى جملة أخرى هى (S1) ، وكل جملة من هاتين الجملتين لها فاعلها المنطقى الخاص بها (١) .

---

(١) لعل ما يطلق عليه المؤلف هنا مصطلح «الفاعل المنطقى» يشبه الى حد كبير الفاعل فى المعنى عند نحاة العربية ، فهم يرون أن جملة مثل :
١ — أعطى زيد عمرا كتابا .
تحتوى على فاعلين ، الفاعل النحوى ، وهو فى الجملة السابقة (زيد) ثم الفاعل المعنوى وهو (عمرو) لأن هذه الجملة تتساوى من حيث المعنى مع جملة أخرى هى :
٢ — أخذ عمرو كتاباً من زيد .
ومعنى هذا أن « عمرا » فى الجملة الأولى هو الآخذ أى الفاعل فى المعنى مقابل الفاعل الحقيقى أو النحوى وهو « زيد » ، ولعل هذا أيضا يؤكد وجهة نظر تشومسكى فيما ذهب اليه من التفرقة بين الفاعل المنطقى فى البنية العميقة والفاعل النحوى فى البنية السطحية . ومثل ذلك أيضا نجده فى قول النحاة عن رفع المفعول به باعتبار أنه الفاعل المنطقى وذلك عند أمن اللبس فى مثل قولهم :
٣ — خرق الثوب المسمار
وبرغم أن ذلك مقصور عندهم على السماع الا أننا نجد أن الفاعل الحقيقى أو المنطقى فى مثل هذه الجملة هو « المسمار » لأن هذه الجملة تتساوى من حيث المعنى مع جملة أخرى هى :
٤ — خرق المسمار الثوب
يقول ابن عقيل « وقد يحملهم ظهور المعنى على اعراب كل واحد من الفاعل والمفعول باعراب الآخر كقولهم (خرق الثوب المسمار) وكسر الزجاج الحجر) ومنه قول الفرزدق .
مثل القنافذ هداجون قد بلغت   بجران أو بلغت سوءاتهم هجر
(أنظر شرح ابن عقيل ١/٤٧١)
ولاشك أن أمن اللبس هنا يرتبط بوضوح الفاعل من المفعول =

ونستطيع أن نتصور التركيب العميق لهذه الجملة على النحو التالى بعد حذف واهمال المعلومات الاساسية الاخرى التى لانحتاج لها فى هذا المقام . (انظر شكل رقم (٩)) .



(شكل رقم ٩)

= ليس من ناحية الاعراب وانما من ناحية تميز الفاعل المنطقى فى مثل هذه الجمل حتى ولو وقع فى موضع المفعول به وأخذ حركة اعرابه أيضا ومعنى هذا أيضا أن البنية العميقة لجملتين مثل : (خرق الثوب المسمار) أو (كسر الزجاج الحجر) هى : فعل + زمن + تعريف + أسم + تعريف + اسم (المترجم)

حيث نجد أن الفاعل المنطقى للجملة (S١) وهى الجملة الأصلية matrix Sentence هو Harry أما فاعل الجمـلة المندمجة embedded Sentence فهو John بل نجـد أيضا أن الفاعـل فى الجملة المندمجة يقابل المفعول به فى التركيب العميق للجملة الأصليـة (S1) معنى هذا أن المركب الفعلى NP يحكم المركـب الاسمى VP كما أشار تشومسكى الى ذلك حينما قال ان العلاقات النحوية العميقة هى صاحبة الشأن فى بيان المعنى الصحيح للجملة .

الفصـــــل الثامن

(التطورات المعاصرة للمدارس التشومسكية فى علم اللغة)

سنحاول فى هذا الفصل ، أن نتناول بالدراسة بعض التطورات التى طرأت فى ميدان علم اللغة منذ سنة ١٩٦٥ م — وهــى السنة التى قدم فيها تشومسكى كتابه : « مظاهر النظرية النحوية » aspects of the theory of syntax حيث أخذت نظريته اللغوية صورتها النهائية الشاملة فى هذا الكتاب أكثر من أى عمل آخر من أعماله الأولى ، حتى أنه كثيرا مايشير الى هذا الكتاب على أنــه يحــوى نظريتــه الأصيلة the standard theory فى النحو التحويلى وسوف نسلم لــه بذلك على الرغم من أن بعض ناقديه يرى أن فى ذلك بعض المبالغة فى تقديم النظرية التى احتوى عليها هــذا الكتاب ، ومن هنا سنجــد أنفسنا ازاء وضع محير ، بل أحيانا فيما يراه تشومسكى نفسه أنــه نظريــة أصيلة Standard وما يراه أيضا امتدادا وتوسعا لبعض آرائــه ويصفه دائمــا بأنـــه نظريات غير أصيلة non - standard ، ناهيك بآراء النقاد والشراح ، ولعل النظرة العادلة المنصفة تقضى باعتبار هذه النظريات غير الأصيلة لونا من الشرح والتنوع فى النظريــة الأصيلة ، وحتى لانقع فى الاضطراب والخلــط ازاء ذلك كله فاننــا سنستعمل مصطلــح النظريــة الموسعــة extended standard theory للدلالــة على الاضافات التى قام بها تشومسكى نفسه للنظريــة الأصيلة التى نشرها فى كتابه السالف الذكر عام ١٩٦٥م ، ومعنى هذا أننا أمام عدد من الاعمال هى : النظرية الأصليــة التى نشرهــا عام ١٩٦٥م وما يسمى بالنظريات غير الأصيله والتى تمثل آراءه قبل ظهور كتابه (المظاهر) ثم بالنظريات الأصيلة الموسعة وهى عبارة عن التعديلات والاضافات التى قام بها تشومسكى فى نظريته الأصيلة ولكن قبــل ان نخوض غمــار المقارنة بين هــذه الأعمــال أحب أولا أن أشرح ما أقصــده ببعض

المصطلحات التى ستأتى فى ثنايا هذا الفصل مثل مصطلح «التشومسكيون» chomsken ومصطلح مابعد التشومسكيين post - chomsken اذ لعل هناك بعض الخلط أو الخطأ قد حدث بين المصطلحين وبخاصة فيما يتصل بالنظرية الأصيلة والنظرية الموسعة .

وكما أشرت فى مقدمة هذا الكتاب ، فان التشومسكيين ليسوا مجرد مدرسة ضمن مدارس علم اللغة الأخرى — برغم أن ذلك ، كان هو الحال عندما نشر كتابى هذا عام ١٩٧٠م لأول مرة وكذا عندما نشر عام ١٩٧٧م للمرة الثانية — وانما هم فى الحقيقة عدة مدارس أو اتجاهات حتى أن كثيرا من المدارس اللغويــة الأخرى تحــاول أن تحدد مكانها ومـدى اسهامها فى القضايا اللغوية الأساسية بالنظر الى ما نادى به تشومسكى حول القضايا نفسها — ومعنى هذا أن كل القضايا والنظريــات التى سنعرض لها فى هذا الفصل متصلة الأسباب بتشومسكى سـواء من قريب أو بعيد ، وهو مايدعونا الى الاهتمام بها ودراستها ومع ذلك فان بعض هذه النظريات ينتمى الى اتباع تشومسكى أو ما بعد التشومسكيين بصورة من الصور ، ذلك لأن بعض واضعى هذه النظريات يقدمونهـا ويعرضونها على أنها بديل replacing أو اضافة الى نظرية تشومسكى الأصيلة فى النحو التحويلى وبناء على ذلك يمكن أن نعتبر ذلك لونا من التوسع أيضا ينتمى الى ما بعد اتباع تشومسكى غير أننى سأحتفظ بمصطلح «التشومسكيون» للدلالة على التطورات التى طرأت على نظرية النحو التحويلى سـواء التى بدأ بها تشومسكى نفسه أو تلك التى وافق عليها وأقرها ،ولعل مكانة تشومسكى وما أوحت به نظريته فى ميدان علم اللغة هو مايدعونا الى اعتبار كل تناقض أو تضاد مع نظريته العلمية ينبغى أن ينتمى الى مابعد تشومسكى Post - chomsky غير أن ذلك قد ينتمى — طبقا لوجهة نظر أخرى — الى التشومسكيين بلا جدال ولكننا — رغم ذلك كله — نستطيع أن نلخص تاريخ السنوات العشر الماضية فيما يتصل بالتطورات التى طرأت على التشومسكيين وما بعدهم أيضا فى أن ماحدث هو عبارة عن ألوان من الفروض العلميــة المضادة

دون أن يخرجمنها حتى الآن بناء علمي محكم،أو نظرية أصيلة جديدة.

وربما كان التحدي الواضح الوحيد الذي أصاب نظرية تشومسكي الأصيلة قد حدث على أيدي ما بعد التشومسكيين فيما يعرف باسم نظرية الحالة النحوية Case grammar وقد رأينا في نهاية الفصل السابق أن تشومسكي قد ميز وفصل في كتابه « مظاهر النظرية النحوية » بين أمرين في التركيب العميق للجملة هما : المسند اليه أو الفاعل والمفعول في البنية السطحية وقال ان ذلك في الوظائف الدلالية للتركيب العميق للجملة ، غير أن كثيرا من علماء اللغة لم يوافقوا على مقولة التفرقة هذه بين المسند اليه والمفعول وقالوا ان هذا الأمر شكلي ونسبي أيضا لأن تعريف المسند اليه أو المفعول يختلف من لغة الى أخرى . وبناء على ذلك فهما غير ذي أهمية واضحة في تحديد معنى الجملة .

وقد نشر فيلمور C.J. Fillmore في عام ١٩٦٨ م بحثا بعنوان : حالة الحالة : (The Case for Case) أحدث ضجة واضحة ، ناقش فيه نظرية الحالة النحوية Case grammar وقال ان التحليل النحوي الحقيقي للجملة هو ذلك التحليل الذي يكشف بصورة مقنعة عن مكونات Constituents كل جملة في أعمق مستوى من مستويات التحليل النحوي أي يكشف عما أسماه بالحالات النحوية مثل : الفاعل Agent والأداة instrument والمكان Place.

والحقيقة أن استعماله لمصطلح « حالة » Case ماهو الا تعميم وتوسيع لمصطلح تقليدي كان يدل في بعض اللغات على صيغ خاصة ببعض الأسماء التي تختلف كل صيغة منها باختلاف الحالة التي يكون عليها هذا الاسم في الجملة مثل : حالة الفاعلية (الرفع) Nominative وحالة المفعولية (النصب) Accusative وحالة الاضافة (الجر) Genitive وحالة المفعول غير المباشر Dative ... الخ ومثل ذلك أيضا في

الأفعال وحروف الجر حيث يقال أنها تؤثر في حالات المفعول به ومتممات الجملة Complaments وكل ذلك يظهر في صور حالات معينة وهو مانجده واضحا في اللغات اللاتينية والروسية والالمانية حيث نرى الأسماء المعربة inflacted تتخذ أوضاعا خاصة طبقا للحالة التي تقع فيها داخل التركيب مثل الفاعلية أو المفعولية أو الاضافة أو غيرها (١)

---

(١) تصلح نظرية « الحالة النحوية » Case grammar للتطبيق على اللغة العربية وغيرها من اللغات المعربة التي تتميز نهايات الكلمات فيها بعناصر لغوية تحدد الوظائف النحوية لهذه الكلمات في الجملة من حيث الفاعلية أو المفعولية والاضافة أو الجر وهو ما نجده في بعض اللغات من العائلة الهندية الأوربية مثل اللاتينية والالمانية والروسية الفنلندية غير أن مصطلح الحالة النحوية لا يطلق على اللغات المعربة فحسب وانما يعمم بحيث تدخل في اطاره أيضا اللغات غير المعربة مثل الانجليزية والفرنسية وغيرهما . وهنا نجد أن مفهوم الحالة النحوية يختلف عن الاعراب أو يطلق على موضع الكلمة في الجملة أو ما يمكن ان نسميه الموقعية word order ولعل مفهوم الحالة بهذا المعنى هو الأصل حتى في اللغات المعربة لأن تغير حركات الاعراب قد لايدل بالضرورة على تغير الوظائف النحوية .

ففي اللغة العربية مثلا نحن نقول :

١ — جاء زيد

٢ — رأيت زيداً

٣ — مررت بزيد

فلو أننا قلنا بدلا من ذلك :

١ — جاء زيداً (بنصب زيد)

٢ — رأيت زيد (بجر زيد)

٣ — مررت بزيد (برفع زيد)

لعرفنا أن زيداً في الجملة الأولى فاعل وأن هناك خطأ في الاعراب =

أما فى اللغة الانجليزية والفرنسية والايطالية والأسبانية ناهيك باللغة الصينية والملاوية وعدد ضخم من اللغات الأخرى فلا نجد أثرا لهذا اللون من الاعراب اذ الأسماء فى هذه اللغات غير معربة not inflected غير أن اللغة الانجليزية احتفظت بهذا الاعراب فى الضمائر Pronouns

---

= وكذا فى الجملة الثانية مفعول ولكنه خطأ فى الاعراب وفى الثالثة مجرور ولكنه خطأ فى الاعـراب أيضا . ومعنى هـذا أننا نتبين الوظائف النحوية للكلمة من موقعها فى الجملة بالاضافة الى حركة الاعراب .
وعلى العكس من ذلك نجد أن هناك حركات فى بعض الصيغ تفرق بين صيغة وأخرى مثل الفرق بين الفعل المبنى للمعلوم والفعـل المبنى للمجهول مثل « ضرب » و « ضرب » أو بين الفعل اللازم والمتعدى مثل يحضر ويحضر أو بين اسم الفاعل واسـم المفعول « مرسل » و «مرسل » مما يدل على أن للحركات وظائف صرفية أيضا ومعنى هذا أن الوظيفة النحوية للكلمة يدل عليها موقعها داخل الجملة وليس حركات الاعراب وحدها .
بل قد نستطيع ان نفرق بين الفاعل والمفعول من مجرد الموقع دون الحركا تـفى مثل قولنا :
١ — ضرب عيسى موسى .
٢ — أكل عيسى الكمثرى .
فلو كانت حركات الاعراب تدل على معان بذاتها لما جاز اختلاف هذه الحركات أحيانا فىبعض القراءات القرآنية مثل قراءة ابن كثير « فتلقى آدم من ربه كلمات » بنصب آدم ورفـع كلمـات ولما جاز كذلك ان يوقف على الكلمات بالسكون وهـو يعنى عدم وجود حركة أو حذف الحركة وهو ما يعرف فى العربية بظاهرة « الوقف» وصفوة القول ان نظرية «الحالة النحوية» لاترتبط باللغات المعربة من حيث دلالة حركة الاعراب على الوظائف النحوية وانما ترتبط بموقع الكلمة داخل الجملة ، اذ هو الأصـل فى الوظيفـة النحوية للكلمة وحركات الاعراب قد تكون دلائل على هذا الأصل
(المترجم)

فقط مثل Ho مقابل I,Him مقابل Them, me مقابل they وهكذا
ومع ذلك يمكن القول ان حروف الجر Prepositions أو أدوات الجـــر
Postposition بعامة تقوم بالوظائف الدلالية والنحوية التى تقـــوم بها
الحالات الاعرابية فى اللغات المعربة inflected languages ولكن الفرق بين
حروف الجر مثل by , to from وأدوات الجر فى اللغة
الانجليزية هو أن حروف الجر تقع — عـــادة — قبل المركب الاســـمى
من الجملة وترتبط به ، أما أدوات الجر فتقع بعده وهى ظاهرة نجدها
كثيرا فى لغات مثل : التركية واليابانية والهندية وغيرها ولكن توخيـــا
للسهولة سنستعمل مصطلح حروف الجر للدلالة عـــلى حروف الجـــر
وأدواته معا بعد ذلك وهكذا نجد أننـــا استطعنا — حتـــى الآن — أن
نحدد عدة دلالات لما كان يطلق عليه فى التحليـــل النحوى التقليـــدى
مصطلح الحالة Case حيث نجد أن اللغـــة اللاتينية تشير بهـــذا
المصطلح الى الفاعل Agency وظرف المكان location اى تشير
به الى مصدر حركات الاعراب movements وأهدافها بعامـــة ، وفى
ضوء ذلك يمكن أن نضع حالة الاسم المعرب فى اللغة اللاتينية ســـواء
كان كان ذلك الاعراب بواسطة حروف الجر أو بدونها نضعه فى مقابل
الأسماء أو الظروف فى اللغات الأخرى التى لاتتبع نظام الحالة بالمعنى
التقليدى لهذا المصطلح .

حقا لقد مضى زمـــن طويل على استخدام مصطلحـــات مثـــل
الفاعل أو الظروف وكذا مصدر حركة الاعراب وهدفهـــا فى التحليـــل
النحوى للغات يختلف تركيبها النحوى اختلافا بينا ، الا أن ماتمتاز به
نظرية الحالة النحوية برغـــم وجودها عنـــد أسلاف تشومسكى مثـــل
هيلمسليف Hjelmslev بل وعند تيسينر Tesnière خاصة ، الا أنها
اتخذت عند فيلمور وضعا جديدا بحيث أصبحت بابا Category مـــن
أبواب التركيب العميق ، وتعد نظريـــة فيلمور هذه واحـــدة من أشهر
النظريات التى تناولت الحالة النحوية حديثا ويحتـــل الفعل فى هـــذه

النظرية مركزا هاما وحيويا فى الجملة حيث نجـد أن كل فعل يعمـل governs فى مجموعة من الحالات النحوية داخل التركيب العميق سواء كانت هذه الحالات اجبارية obligatory أو اختيارية optional أو اجبارية واختيارية فى آن واحد ، حيث يظهر أثر هـذا العمل على التركيب السطحى فى شكل كلمات أو عبارات تعمـل عمـل الفاعل أو المفعول أو غيرها من الوظائف ٠

مثال ذلك الفعل Opened الذى يصنف فى المعجم Lexicon طبقا لنظرية الحالة النحوية على أساس أنه عامل يعمل فى الفاعل Agent أو الكينونة entity مع ملاحظة أن مصطلح الكينونة هذا ليس منمصطلحات « فيلمور » ويدل على حالة محايـدة فى التركيب العميق لايعتورهـا الاختلاف وقد أطلق عليها بعض العلماء مصطلحـات أخرى ٠ على أى حال نجد الفعل opened يقوم بهذا العمل وأحيانا فى حالات اختيارية أخرى يعمل فى الأداة الآلة instrument فى جمل مثل :

1 — the jailer opened the door (with a key).
2 — the door was opened (by the jailer) (with a key)
3 - - the door openend.
4 - - the key opend the door.

فهل يعنى هذا أن الجمل السابقة — طبقا لنظرية فيلمور — تعـد جملا مشتقة من التركيب العميق حيث تقوم عبارة مثل (by the jailer) بدور الفاعل والاسـم (the door) بالكينونة Entily وعبارة (with the key) بدور الآلة ؟ الواقع أن ما يعبر عن الفاعل أو بمعنى آخر ، ما فى حالة الفاعلية أو ما وقع موقع الفاعل فىالتركيب العميق أو اذا شئنا الدقة هو المسند الية فى الجملة الأولى ولكنه تحول الى ظرف واصف ADerbial modifier قابل للحذف فى الجملة الثانية (انظر الشكلين رقم ٦، ٧ والقاعدة (20 فى الفصل السابق) ٠ بينما نجـد أن ما يعبر عـن الكينونة هو المفعول به فى الجملـة الأولى أيضا ، غير أنـه تحول الى المسند اليه (الفاعل) فى الجملة الثانية فى حين ما يعبر عن الآلة أصبـح

ظرفا واصفا وكان من الممكن حذفه فى الجملتين الاولى والثانية ولكنه أصبح مسندا اليه (فاعلا) فى الجملة الرابعة (١) .

---

(١) هذا هو الشق الثانى من نظرية الحالة النحوية Case grammar التى أشرنا اليها فى التعليق السابق حيث رأينا أن المقصود بالحالة النحوية ليس هى حركة الاعراب كما قد يتبادر الى الذهن للوهلة الأولى وانما هو موقع الكلمة داخل الجملة أو ما أطلقنا عليه الموقعية . أما الشق الثانى من النظرية فهو يتصل بفكرة العامل والمعمول عند نحاة العربية وهى فكرة تعليلية فى جوهرها وليست تعليمية وتقوم فكرة العمل فى النحو العربى على مبادىء ثلاثة كما نعلم — هى :

١ — العامل ٢ — المعمول ٣ — حركة الاعراب

ففى الجملة الفعلية يقوم الفعل بدور العامل أما الفاعل والمفعولات فهى معمولات ، وفى الجملة الاسمية عند البصريين يقوم المبتدأ بدور العامل والخبر هو المعمول أما عند الكوفيين فكل من المبتدأ والخبر عامل ومعمول فى آن واحد أى أن الاسم يقوم بدور العامل والمعمول فى آن واحد فهو عامل ومعمول فى الجملة الاسمية ولكنه معمول فقط فى الجملة الفعلية ، غير أن الافعال تصنف من ناحية القوة على العمل الى فعل لازم أى لايرفع الا فاعلا والى فعل متعد الى مفعول واحد أو مفعولين وأحيانا الى ثلاثة مفاعيل وأما الحروف فهى عوامل دائما بعضها يختص بالعمل فى الأسماء وبعضها يختص بالعمل فى الأفعال وبعضها غير مختص .

وهذا التصنيف لأقسام الكلام فى اللغة العربية من حيث العمل انما هو بمثابة مقدمة لتعليل ظهور حركة الاعراب على أواخر الأسماء والأفعال سواء فى الجمل الاسمية أو الجمل الفعلية . غير أن الجديد فى نظرية «فيلمور» والتى يجعلها تختلف عن نظرية العامل عند نحاة العربية هو أن العمل أو التعليل يتم رصده وتصنيفه على مستوى التركيب العميق ودلالته بغض النظر عن التراكيب السطحية المشتقة من هذا التركيب العميق بحيث يمكن =

ومعنى هذا أن هناك علاقات تحويلية بين الجمل الأربع السابقة طبقاً لنظرية الحالة النحوية ، على أساس أنها مشتقـــة Derived من تركيب عميق مشترك غير أننا نلاحظ أن هناك نوعا من التسامح أوعدم

———

= أن تربط بين مجموعة من الجمل المختلفة التراكيب سطحيا بتركيب عميق واحد يجرى العمل فيه ومن ثم بناء على ذلك يتحـــول الى عدة جمل سطحية تتحدد فيها وظائف الكلمات وموقعهـــا طبقـــا لدلالتها على حالة نحوية مثال ذلك :

١ ــ فتح الرجل الباب ٤ ــ الرجل فتح الباب
٢ ــ فتح الباب ٥ ــ الباب فتح
٣ ــ فتح المفتاح الباب ٦ ــ المفتاح فتح الباب

فاذا طبقنا على الجمل الثلاث الأولى فكرة العمل النحوى عنـــد نحاه العربية سنجد أن الفعل « فتح » العامل فيها جميعا ولكنه فى الجملة الأولى رفع فاعلا ونصب مفعولا به • وفى الجملة الثانية رفع فاعلا غير الفاعل فى الجملة الأولى ونصب المفعول به نفسه وهو «الباب» الذى تحول الى نائب فاعل فى الجملة الثانية وفى جميع هذه الحالات نحن نتعامل مع جمـــل لاتتصل احداهمـــا بالأخرى لأننا فى الجملة الثانية وهى المبنيه للمجهول لا نستطيع أن نحدد بدقة اذا كان الفاعل المحذوف هو «الرجل» أو «المفتاح» ويظهر ذلك بوضوح فى الجمل الثلاث الثانية التى يتحول فيهـــا الفاعل الى مبتدأ عند البصريين ولكنه يظل عـــلى حالة الفاعليـــة عند الكوفيين رغم وقوعه فى أول الجملـــة ، فاذا علمنـــا أن هذه الجمل جميعا ترجع الى بنية عميقة واحدة أدركنا طبيعة التغيرات التى حدثت على مستوى التراكيب السطحية مـــن حيث الحذف والاحلال والتقديم بين العوامل والمعمولات فى هـــذه الجمل ، ومعنى هذا أن المكونات الأساسية التى تعلل اختـــلاف التراكيب السطحية فى هذه الجمل جميعا هى :

الجملة ← مركب فعلى + مركب اسمى (أداة) + مركب اسمى
الجملة ← فتح + المفتاح + الباب =

الدقة فى تحديد الحالات الاختيارية أو الاجبارية . ولذا نستطيع أن ندرك بسهولة سر جاذبية نظرية الحالة النحوية ، فهى تضم عدة أفكار دلالية أكثر منها نحوية تتدخل فى التمييز بين الفعل والفاعل وكذا بعض مقولات وأفكار تتصل بظروف المكان والتعليل Causation والحركة Locomation وكلها مفاهيم غير قابلة للتحديد والتعريف بسهولة فى اللغات المختلفة أو على الأقل فى المواضع التى تعمل فيها بحيث نستطيع أن نتعرف على وظيفة محددة لها ولكن ذلك لم يمنع بعض علماء النفس من ادراك أهميتها ودورها فى اكتساب اللغة عند الأطفال ولذلك فان كثيرا من علماء اللغة الذين يعملون فى حقل النحو التوليدى لايعترفون بنظرية الحالة النحوية كنظرية بديلة لنظرية تشومسكى أو حتى نظرية قابلة للتطبيق فى الاطار العام لنظرية تشومسكى ويرجع السبب فى ذلك الى أن التصنيف الشامل للأفعال فى أى لغة فى اطار نظرية الحالة النحوية وفى ضوء فكرة التركيب العميق فى الوقت نفسه حيث تتحكم الدلالة فى مثل هذا التصنيف وبالتالى تتحدد الحالات النحوية لكل فعل انما هى عملية غير محددة بل غير واضحة ومتعارضة أيضا ولذلك لم يلتفت تشومسكى ولا التشومسكيون الى نظرية الحالة النحوية التى وضعها « فيلمور » . غير أن هذه النظرية كان لها أثرها على تطور النظرية الأصلية لتشومسكى ، حيث أخذ تشومسكى بعدها يظهر اهتماما واضحا فى كتاباته لما كان يطلق عليه خطأ العلاقات الدلالية بجذر الكلمة

= الجملة ← فتح + ال + مفتاح + ال + باب

حيث نجد أن الفاعل الحقيقى هو الأداة (المفتاح) وليس الرجل لأن هذه النظرية تحكم الدلالة والعلاقات الدلالية الثانية فى التركيب الباطنى أما الاختلافات التى نراها فى مواقع الكلمات بين جملة وأخرى فتتصل بالتركيب السطحى ولاتؤثر غالبا على معنى الجملة الحقيقى لأن التركيب الباطنى فى جميع الأحوال واحد كما هو الحال فى الجمل السابقة جميعا .

(المترجم)

وجه الخطأ أن مصطلح الجذر theme ومصطلح الجذرى thematic relations thematic لهما دلالة مستقرة وثابتــة فى علم اللغــة وهى تختلف عما يقصده تشومسكى ، ناهيك عن دلالتهما فى لغة الحياة اليومية وبرغم أن نظرية «فيلمور» من أكثر النظريات انتشارا بعد نظرية تشومسكى الا أن هناك نظرية أخرى يمكن أن نطلــق عليها اسم نظريــة « القواعد النحوية المتكافئة » Valency grammar وهى نظرية صادفت رواجــا وقبولا ومن ثم فليس من الحكمــة فى شىء الا نعتبرهــا لونا من النمو والتطوير لنظرية تشومسكى الأصيلة أو نظريته الموسعة .

وقد قامت نظرية القواعد النحوية المتكافئــة على غرار نظريــة القواعد التابعة dependency grammar التى تشبه القواعد التصنيفية Categorial grammar ولعل هــذه النظريات جميعا تعــادل أو تقابــل — بقوة أو بضعف — نظرية تشومسكى فى قواعد تركيب أركان الجملة لأنها جميعا ترى أن فى داخل الجملة يوجد عنصر مفرد Single element يعمل governing فى الفعل كما توجد أيضا مجموعة من التعابير التابعة dependen expressions التى يتوقف عددها ودلالتها اللغوية والمنطقية على قوة هذا الفعل أو ما يسمى درجة تكافؤ الفعل Valency of the Verb ومصطلح التكافؤ هذا ، مصطلح مقترض من علم الكيمياء وقد قدمــه لأول مرة الى ميدان علم اللغة عالم اللغة الفرنسى تيسينر tesniere الذى تفتقر أعماله الى الدقة الرياضية التى نراها عند تشومسكى أو هاريس Harris وبرغم ذلك فان أعماله قد تعتبر ايذانا بتطور نظرية القواعد التحويلية بصورة ما .

أما فكرة التكافؤ Valency هــذه فهى مستوحــاة مــن الفكــرة التقليدية التى كانت تصنف الأفعال — الى أفعــال متعدية transitive وأفعال لازمة intransitive التى تتصل بدورها بتصنيف المسند فى المنطق الصورى . formal logic حيث تكون الكلمات عــددا من التعابير ترتبط فيما بينها فى شكل معادلــة محكمة البنــاء . ولاشك أن

تصنيف أفعال معينة بالنسبة لعدد كبير من اللغات قد يحمل فى طياتـــه قدرا من عملية التركيب النحوى لهذه اللغات أو ما يسمى بنواة الاخبار Propositional غير أن نظرية التكافؤ أو فكرة التكافؤ نفسهـــا لم تناقش أو تطبق على نطاق واسع الا فى المانيا والاتحـــاد السوفيتى ولكننا برغم ذلك نجد أصداء لجوانب معينة من هذه النظرية فيما يكتب أو ينشر الآن من أبحاث ودراســات خاصة عند مابعد التشومسكيين Post - Chomskyan

ومن أحدث النظريات التى ظهرت أيضـــا عند أتباع تشومسكى النظرية التى يطلق عليها اسم نظرية العلاقات النحوية relational grammar وهى ليست على غرار النظريات السابقة التى قدمها بعض العلماء على أنها بدائل لنظرية تشومسكى الأصيلة دائما هى نظرية لها أهميتها من حيث العلاقة النحوية التى تحدد المسند اليه (الفاعل) أو (المفعول بـــه) أو (المفعول غير المباشر) indirect object من حيث التسلسل والترتيب داخل الجملة وهى تستخدم هذا الترتيـــب أو التسلسل لكى تحـــدد المراكز التى ستحتلها هذه العناصر فى راسم أركان الجملة وبخاصة عندما يتحول هذا الراسم بواسطة القواعد التحويلية الى راسم آخر .

وتستطيع هذه النظرية ـــ بناء على ذلك ـــ أن تدعى أنهـــا أكثر محافظة من نظرية تشومسكى الأصيلة وخاصة فيما يتصل بطريقتهـــا فى اقامة علاقات تحويلية بين الجمـــل المبنية للمعلوم والجمل المبنيـــة للمجهول لأن هذا التحول من المعلوم الى المجهول يقلل من قوة الفصـــل أو درجة تكافئه حيث يحذف مايدل على الفاعل أو ينزل به الى درجـــة يصبح معها اختياريا بعد أن كان اجباريا . ففى اللغة الانجليزية مثلا وفى لغات أخرى كثيرة نجد أن الجملة المبنية للمعلوم لابد أن تحتوى على فاعل ، ومعنى هذا بالمصطلحات التقليدية أن (المفعول به) فى الجملة المبنية للمعلوم يصبح (فاعلا) فى الجملة المبنية للمجهول ـــ وتظهر نتائج هذه العملية ـــ فى لغات كثيرة أيضـــا ـــ فيما يســـمى بتكوين وبنـــاء

التراكيب المسببة Causative Constructions : فى تكويـن معنى الجملة مثال ذلك :

jhon got Bill to kill Harry

وهى جملة مشتقة من التركيب العميق لجملة معناها :

-- Bill killed Harry

وهنا سنجد أن كفاءه Valency الفعل المتعدى kill قد زادت بحيث أصبح ثنائى المكان — والنتيجة المترتبة على ذلك هى وجود فعل سببى Causativeverb يدل عليه معنى العبارة Cause - to - kill أى فعل ثلاثى المكان يقوم بدور الفاعل فى الجملة وهو ليس الفاعـل الأصلى أو المفعول به الداخلى الذى تعدى اليه الفعل وانما هـو عبارة عن تعبير اضافى يبـين السبب وراء ذلك التغير وفى كثير من اللغـات يؤدى ذلك الى وضع الفاعل فى حالة المفعول به غير المباشر الذى يشغل ثلاثة مواضع فى التركيب •

ومهما يكن من أمر فلا ينبغى أن نبالـغ كثيرا فى التماس أوجـه الشبه بين نظرية التكافؤ ونظرية العلاقات النحوية لأن نظرية التكافؤ لم تطبق على نطاق واسع ومع ذلك فهناك بعض أوجه الشبه كما ذكرنا من قبل •

أما التحدى الحقيقى لنظرية تشومسكى فقد جاء من قبل علمـاء الدلالة التوليديـة generative Semantics وبرغم أن هذا العلم أصبح من العلوم الوطيدة الأركان فى النظرية اللغوية المعاصرة الا أن مصطلح علم الدلالة التوليدية قد يؤدى الى نـوع من اللبس فى بعض جوانبه • لأن هذا العلم ليس مجرد نظرية فى علم الدلالة وانما هـو مرتبط بالنظرية التوليدية اذا قورن بالنظريات الأخرى غير التوليدية non - generative وهو فى هذا يشبه الاختلاف بـين النحو التوليدى الذى نادى به تشومسكى والنظريات النحوية غير التوليدية التى كانت معروفة من قبل •

ويشير مصطلح علم الدلالة التوليـدى الى جانب من جوانـب القواعد التحويلية التوليدية يختلف عما ذكـره تشومسكى فى كتابـه « مظاهر النظرية النحوية » وهـو أن قواعد العنـاصر أو المكونـات الدلالية Semantic Components انما هى قواعد توليدية أكثر منهـا تفسيرية •

وطبقا لما نادى به تشومسكى فى نظريته الأصيلة فان كل جملة من حيث التركيب النحوى ذات مستويين هما : التركيب العميق والتركيب السطحى • أما التركيب العميق فهو يتمثل فى راسم أركان الجملة الذى يحتوى على الوحدات المعجمة lexical item التى تتولد بواسطة قواعد المكون الأساسى ثم تتحول الى تراكيب سطحية عند تطبيق عدد معين من القواعد التحويلية أى أن التركيب العميق يقوم بدور المدخل input للمكون الدلالى وأما التركيب السطحى فيقوم بدور المدخل الفنولوجى phonological component (انظر الشـكل رقـم (٨))

فيحين أن القواعد الدلالية والقواعـد الفنولوجية — معا — لهما وظيفة تفسيرية خالصة أما الوظيفة التفسيريـة للقواعد الدلاليـة فهى تفسير لما يخرجه المكـون الأساسى وذلك بتحديـد الصورة الدلاليـة Semantic representation أو التمثيل الدلالى لكل جملة ، أو الصور الدلالية لجملة واحدة ، كما فى الجمل الغامضة ، وأما الوظيفة التفسيرية للقواعد الفنولوجية فهى تحديد الصورة الصوتية لكل جملة •

ولكن لابد أن نعلم جيدا أن مصطلح التفسير interpret يستعمل فى هذا المقام استعمالا فنيا لكن التفسير الدلالى الذى نقصده هنا والذى يرتبط بجملة ما بواسطة القواعد ليس هذا معناها وانما هو صورة منطقية أى بعبارة أخرى هو مجموعة من الرموز كل واحد منها يشير الى فكرة ذريـة جامعـة universal atomic concept ومثل ذلك أيضا التفسير الفنولوجى لجملة ما فهو ليس منطوقها وانما هو صورة منطقية

أى عبارة عن مجموعة من الرموز كل واحـد منها يشير الى ملامـح صوتية عامة •

وهذه الرموز ما هـى الا العناصر الأولية التى تمثل المستويين : الدلالى والصوتى على التوالى ،وقد حدد تشومسكى — تحديدا صارما — ما يقصده بمصطلح مستوى التمثيل level of represention فى النظرية النحوية عنده والتى تكونت وتشكلت داخل اطار عام يضم آراءه الخاصة حول طبيعـة اللغة وطبيعة القـدرة اللغويـة عند بنى الانسان فهو يعتقد أن كل متكلم بلغة مـا يعرف بصورة مـن الصور وبفضل امتلاكه لقدرة انسانية خاصة بكسب اللغة ، يعرف ما يدخـل فى اطار الأصوات اللغوية الانسانية وكـذا ما يميز الأفكار الانسانية كما يعرف أيضا الشروط التى ينبغى توافرها فى التأليف السليم فيما بين الأصوات والمعانى التى تظهر معا فى صورة كلمات وجمـل فى مختلف اللغات وسنعود مرة أخرى الى هذا الجـانب من فكر تشومسكى فى الفصلين التاسع والعاشر •

غير أننا سنكتفى هنا بتقرير حقيقة واحدة وهى ان تشومسكى عندما يقول ان قواعد لغة معينة انما هى نظام من القواعد والاصول principles التى تربط بين الصوت والمعنى فهو يسلم سلفا بقدرة ابن اللغة عـلى معرفة الطرق التى تتحول بها الصور الصوتيـة الى أصوات كلاميـة والصور الصوتية الى معانى — ويقدم تشومسكى الصلات المتعددة بين هذه المراحل فى نظريته العامة حول القواعـد النحويـة والتى تعرف باسم نظرية القواعد النحوية الكلية universal grammar حيث يرى أن المتكلم بفضل امتلاكه لهذه القواعد الكليـة يستطيع أن يحول الصورة الصوتية والصورة الدلالية الى أداء لغوى أو اذا شئنا الدقة ، أن يحول البرمجـة التعليميـة mental schemata الى أداء لغوى •

ولذا فان علم الدلالة التوليدى — من ناحيــة الجوهــر — ليس بديلا للنظرية الأصيلة لتشومسكى كما قد يبدو أحيانــا لبعض الناس — سواء من مؤيدى تشومسكى أو معارضيه — ولعل السبب فى ذلك أن علم الدلالة التوليدى يرى — كما رأى تشومسكى من قبل — أن القواعد الخاصة بلغة معينة انما هى قواعد أو أجهزة توليدية وظيفتها الربــط بين الصورة الدلالية والصورة الصوتية ومعنى هذا أن الدلالة التوليدية ونظرية تشومسكى تنطلقان من مــادة أولية واحــدة هــى الأصوات والدلالات بل ان كلا منهما ينطلق من مبادىء تصورية واحــدة تتمثل فيما حاوله تشومسكى من تفسير قدرة ابن اللغة على التعامل مــع تلك المادة الأولية أى الأصوات والدلالات فيما أطلق عليه القواعد الكليــة عند المتكلم والتى حددها بأنها ليست قواعد توليدية فحسب وانما قواعد توليدية تحويلية فاذا كان ذلك كذلك ، فما هى اذن الاختلافات الأساسية بين الدلالة التوليدية ونظرية تشومسكى الأصيلة ؟

لابد أن نعلم — بادىء ذى بدء — أن الخلاف الأساسى بين الدلالة التوليدية ونظرية تشومسكى يتمثل فى أن نظرية تشومسكى ذات أصول نحوية بينما الدلالة التوليديــة ذات أصول دلالية ، ومعنى هــذا أن نظرية تشومسكى تضع كل القدرة التوليديــة للقواعد عــلى المستوى النحوى ، بينما يضع علــم الدلالة التوليــدى كل القدرة التوليديــة generative capacity للقواعد النحوية فى القواعد الدلالية ومن ثم فان الخلاف بينهما يتوقف على المفهوم الــذى يستخدم به كــل منهما مصطلح الدلالة التوليدية .

ولكن بعد عدة سنوات من الاشتباك والتداخل بين النظريتــين ، وبعد مناقشات عنيفة — أحيانا — أصبح من المسلم به الآن ســواء من جانب المعارضين أو المؤيدين لنظرية الدلالة التوليدية أن الخلاف بينهــا وبين نظرية تشومسكى لايمكن تشخيصه — ببساطة — فى ضوء طبيعة العلاقة بين النحو والدلالة لأن كثيرا من الاعتراضات الجوهرية التى

كانت تبدو فى وقت ما صحيحة ـ نراها تسقط اذا ما فكر المرء مليا فى هذه الناحية ، أعنى العلاقة بين النحو والدلالة .

ومن ثم يصبح من السهل أن ندرك أن النحو التوليدى هـو نموذج لما يتفوه به ويفهمه المتكلم ، ومعنى هـذا أن ذلك النموذج للدلالـة التوليدية يعكس مباشرة فكرة تحويل المعنى الى أصوات عند الكـلام وتحويل الأصوات الى معنى عند الفهم والادراك . ولكن الحقيقـة أن كلا من النموذجين ـ أعنى النحو التوليدى والدلالة التوليدية لم يسعيا لكى يصبحا نموذجـا لعملية آداء اللغـة language pérformance ، بل لعله من غير المعقول أن نتصور أن عملية انتاج الكلام تتم بـأن يحدد المتكلم أولا فى عقلة حجم الفكرة التى ستعبر عنها الجملـة ثم يختار تركيبا نحويا معينا ثم الكلمات التى ستعبر عنها الفكرة ، أو أن المتكلم يختار أولا بعض التراكيب ثم يختار بعدها الكلمات التى ينظمها وفق هذه التراكيب ، وهنا يحق لنا أن نسأل عن الفرق بين نظرية تشومسكى ونظرية الدلالة التوليدية على أساس أنهما نموذجان يتعاملان مع القدرة اللغوية أكثر منهما نموذجان يتعاملان مع الأداء اللغوى ، ولعـل الفرق الأساسى بينهما يظهر فى التفرقة التى تصطنعهـا نظريـة تشومسكى التمييز بين البنية العميقة للجملة والتفسير الدلالى لهـا ، حيث نجد أن المعنى أو مايسمى بالتفسير الدلالى يشتق عند تشومسكى مـن البنية العميقة بواسطة مجموعة من القواعد الخاصة بالتركيب الدلالى ، بينما نظرية التوليد الدلالى لاتصطنـع ذا الفرق أو تقول بـه ، يضاف الى ذلك ـ أن نظرية التوليد الدلالى ترى أن التركيب العميق للجملة هو الصورة الدلالية لها التى تتحول الى البنية السطحية وهى فى هذا تكاد تشبه نظرية تشومسكى فى قولها بتحـول البنية العميقة الى البنيـة السطحية بواسطة تطبيق القواعد التحويلية ولذا فان تعريف تشومسكى للقواعد التحويلية بأنها القواعد التى تحول راسم أركـان الجملة الى راسم آخر يترتب عليه فى النظريـة الدلالية التحويليـة أن الصورة

الدلالية لجملة ، ملغى الا عين راسم أركان الجملة وهى بهذا تختلف عن نظرية تشومسكى ومعنى هذا أن العناصر الدلالية فى التوليد الدلالى ليست كلمات مثل Kill أو man فى اللغة الانجليزية ، وانما هى مفاهيم دلالية مثل :

Cause, Come, About, not, Existent.

أو مفاهيم مثل :

Male, Adult, Human (1)

---

(١) انبثقت فكرة العناصر الدلالية من دراسة وتحليل طبيعة العلاقة بين القواعد النحوية والقواعد الدلالية وبخاصة عندما اصطدم علماء اللغة التوليديون ببعض التراكيب الصحيحة نحويا ولكنها غير مستقيمة دلاليا والتى وصفوها بأنها جمل غامضة ambiguous أو بلا معنى ومن أشهر الجمل التى تداولها علماء اللغة المعاصرون للدلالة على هذا اللون من التركيب جملة صارت من أشهر الجمل فى البحث اللغوى المعاصر وهى :

The colourless green ideas sleep furiously.

أى « الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بعنف » وهى جملة صحيحة من الناحية النحوية والصوتية ومع ذلك فهى بلا معنى مع أنها تتألف من كلمات لكل منها دلالتها الواضحة وهى فى حالة الافراد ، ومعنى هذا أن هناك تركيبا دلاليا أو نوعا من التوافق الدلالى ، لابد أن يتوازى مع التركيب النحوى لكى تصبح جملة ما مفهومة أولها معنى ، ومعنى هذا أيضا أن هناك نوعا من التنافر أو عدم التآلف بين الكلمات يؤدى الى هذا الغموض حتى لو كانت الجملة صحيحة نحويا وقد دفع ذلك علماء اللغة الى محاولة دراسة العناصر الدلالية التى تتكون منها الكلمات لأنهم رأوا أن هذه العناصر هى المسئولة عن توافق أو عدم توافق اسم معين مثلا مع فعل معين ، ذلك لأن اللغة تحكمها مجموعة من القوانين التى تتناول صور التركيب على المستوى العميق ، ففى جملة مثل :

=

غير أن علماء الدلالة التوليدية قد عدلوا من نظرتهم التى كانت ترفض الاعتراف بوجود المستوى الدلالى مستقلا انما هو ركيزة التركيب العميق ، لأنهم لاحظوا أن الاختلاف فى التركيب النحوى قد لايؤدى

= ١ — اشتعل الثلج .
نجد أن التركيب العميق لها هو عبارة عن :
الجملة ← مركب فعلى + مركب اسمى (فعل + فاعل)
أى الجملة ← فعل + صيغة + تعريف + اسم
وهى تتساوى من حيث التركيب مع جملة مثل :
٢ — ذهب الولد
ذلك لأن الجملة الثانية تتركب أيضا من :
الجملة ← مركب فعلى + مركب اسمى (فعل + فاعل)
ومع ذلك فنحن نقول ان الجملة الأولى بلا معنى أما الثانية فهى ذات معنى وهنا نعلم أن مثل هذه القوانين الأساسية انما هى قوانين عامة وليست أيضا قوانين تحويلية لأن القوانين التحويلية هى التى تحول فقط التركيب العميق الى تركيب سطحى ولذلك فان العناصر الدلالية التى توافق الفعل (اشتعل) مع الاسم (الثلج) هى المسئولة عن عدم وضوح المعنى فى الجملة الأولى كما هى مسئولة عن وضوح المعنى فى الجملة الثانية ولذلك حاول بعض علماء اللغة تحليل المفردات الى هذه العناصر الدلالية وأطلقوا على كل عنصر منها اسم السميم Sememe وهو عبارة عن أصغر وحدة دلالية تتألف منها كلمة من كلمات اللغة مثل ما وضعوا الفونيم على المستوى الصوتى من حيث هو اصغر وحده صوتية تدخل فى تركيب كلمة ما بحيث تميزها عن أخرى أو تعطيها مع غيرها من الفونيمات دلالة . وبناء على هذا التصور لمفهوم السيميم Sememe بدأ علماء اللغة والدلالة التوليدية يحللون مفردات اللغة الى هذه العناصر الدلالية ويستعملون فى هذا التحليل بعض الرموز الرياضية مثل (+) التى =

بالضرورة الى اختلاف دلالى ، فقد نجد أن جملتين تختلفان فى التركيب النحوى وفى الكلمات التى تحتوى عليها كل جملة منهما ومع ذلك فقد تتعادلان أحيانا دلاليا أو على الأقل تنتمـى احداهمـا الى الأخرى

= تدل على وجود السيميم وعلامة (—) التى تدل على عدم وجوده فى كلمة ما . مثال ذلك :

١ — اسم : وهو عنصر دلالى يتوفر فى الأسماء مثـل : حائط ، رجل ، فرس ... الخ .

٢ — ضمير : حيث يرون أن (هو) تعنـى (+ ضمير) بينمـا كتاب هى (— ضمير)

٣ — حى : ولد + حى بينما كتاب أو حائط (— حى) وبنـاء على ذلك يقولون أن بعض الأفعال لا تأخذ الا فاعلا حيـا مثـل شرب وأكل ، بينما هناك بعض الأفعال التى لاتقبـل الا فاعلا غير غير حى مثل : انصهر واحترق .

٤ — انسانى : كلمة حائط هى (— انسانى) أما كلمة رجل فهى (+ انسانى)

٥ — محسوس : كلمة حائـط أو كرسى . هـى (+ محسوس) ولكن كلمة حب هى (— محسوس)

٦ — معدود : كلمة فرس هى (+ معدود) ولكن ماء (— معدود) ... وهكذا وبناء على ذلك اذا حللنا كلمة (رجل) تراهـا تتألف من العناصر الدلالية الآتية :

رجل ← + اسم / + محسوس / + معدود / + حى / + انسانى / + ذكر / + بالغ

أما كلمة حلم + اسم / محسوس / + معدود / حى / — انسانى . =

دلالى مثلها فى ذلك مثل جملتين تتشابهان نحويـا بواسطة القواعـد التحويلية •

مثال ذلك العلاقة الدلالية بين جملة مثل :

John used the key to open the door.

وجملة أخرى مثل :

John open the door with the key.

أو جملتين مثل :

John bought the car from Harry.
Harry Sold the car to John.

حيث نجد أن كل جملتين من هذه الجمل تتفق مع الأخرى دلاليـا تمام الاتفاق أو على الأقل بينهما اتفاق من العسير تجاهلـه أو الغض من قيمته ، حتى أن المرء لايجد مفرا من الاعتراف بأن هاتين الجملتين مشتقتان من صورة دلالية عميقة مشتركـة لأن الكلمتين Sell ، buy تظهران فى راسم أركان الجملة بواسطـة قواعد التحويـل الابدالية Substitution التى تعمل من خـلال التراكيب الدلاليـة المعقدة للكلمات أو الوحدات الدلالية الأولية ، وهذه القواعد الخاصة بتحديد الدلالة المعجمية للمفردات — وهى لاتشبه مثيلتها فى نظرية تشومسكى لاتطبق على مستوى محدد أو معين من الصورة الدلاليـة أى التركيب العميق وانما تطبق متناثرة أثناء تطبيق القواعد التحويليـة الأخرى ، وبناء على ذلك يمكن القول بأن نظرية الدلالة التوليدية ماهى الا قمة الاتجاهات التى ظهرت عنـد التشومسكيـين فى عـلم اللغـة أو هى صورة تتحدد مع الأصل •

= وبناء على هذه العناصر الدلالية من حيث القوانين التى تحكمهـا مع غيرها من العناصر تتألف الكلمات داخل الجملة بحيث تؤدى فى النهاية مع القوانين الأساسية والتحويلية الى جمل ذات معنى (المترجم) •

ولعل من هذه الاتجاهات أيضا الاتجــاه الذى حــاول أن يرجع القواعد النحوية الى أسباب دلالية وقد رأينا فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ، أن تشومسكى أخذ بوجهة نظر « بلومفيلد » فيما يتصل بالعلاقة بين النحو والدلالة وبخاصة فى أعماله الأولى ، غير أنه لم يقبل تفسير بلومفيلد السلوكى للغة ، وكان واضحا — سواء عنــد تشومسكى أو هاريس — أن هناك بعض العناصر الأساسية المتصلة بالمعنى تظل ثابتة ومطردة أثناء عملية التحويل .

ولكن عند منتصف الستينات اشتهر عدد من علماء اللغة مثل كاتس J.katz وبوستل M.Postal الذين تجــاهلوا كليــة تلك العنــاصر الأساسية الثابتة فى الجملة وقالوا ان القواعد التحويلية لاتقيد المعنى وقد وافق تشومسكى على ذلك ، على سبيل التجريب وبخاصة اذ كان يكتب فى ذلك الوقت كتابه « مظاهر النظرية النحويــة » ولكن طبقــا لنظرية تشومسكى الأصيلة فان كل القواعد التحويلية غير الأسلوبيــة non - stylistic هى قواعد اجبارية ومعنى هذا أن معرفــة التركيب العميق شرط أساس لمعرفة المعنى ، بل أن علمــاء الدلالة التوليديــة يذهبون الى أبعد من ذلك حينما يرون أن تحديد المعنى ومعرفته شرط فى معرفة العلاقة المسلم بها بين القواعد التحويلية والتركيب العميق، وهم اذ يفعلون ذلك انما يتخذون من المادة الدلالية دليلا يهتدون بــه فى معرفة الصلات النحويــة وهو أمر شــاع فى كثير من الكتابــات التحويلية سواء عند التشومسكيين أو اتباعهم فى العقد الذى أعقب ظهور كتاب تشومسكى « مظاهر النظرية النحويــة » ولعل هــذا يفسر لنا الاهتمام الواضح الذى يوليه علماء اللغة الآن لعلم الدلالة .

وهناك اتجاه آخر فى علم اللغة ينتمى أكثر ماينتمــى الى أتباع التشومسكيين ، وقد طرح هذا الاتجاه عددا من المقولات مثــل « ان التراكيب العميقة هى تراكيب عامة وشاملة فى جميع اللغات » أو « ان التركيب العميق واحد فى جميع اللغات » . والمقولة الثانية هــذه لايمكن

تفسيرها فى ضوء فكرة تشومسكى حول التركيب العميق لأنه يرى أن اللغات ليست لها تركيب سطحى ، وانما يقول ان كل جملة مــن جمل اللغة هى التى لها مثل هذين التركيبين ولكن اذا أردنا أن نعبر عــن المقولة الثانية ونفسرها وفقا لفكرة تشومسكى فاننا نقــول ان جميع اللغات ذات مكون أساسى base component واحد يولد الجمل فيهــا اذا استبعدنا المعجم أو الجانب الدلالى وعلى هذه الصورة فــان هذه المقولة الثانية تكون قد عبرت عمــا يسمى فى علم اللغة الآن باســم فرضية القاعدة الكليــة universal base hypothesis وفى هــذا الصــدد نجد الكثير مما يمكن قوله ، ذلك لأن كلا من النظريــة الدلالية التوليدية ونظرية تشومسكى الأصيلة لاتعترفان صراحة بالتزامها بفرضية القاعدة الكلية هذه ، وبرغم أن تشومسكى لم يلزم نفسه أبدا بهــا الا أن كل ما صرح به حول ذلك كان عرضة لسوء فهــم شديد (أنظــر الفصــل العاشر) ويبدو أن كثيرا من النحــاة التحويليــين سواء من طائفــة التوليديين Generativists أو من جماعة التفسيريين interpretivists قد أعجبتهم فرضية القاعدة الكلية هذه ، أو الأســاس التركيبى الواحد الذى تقوم عليه جميع اللغات ومن ثم راحوا يبحثون عن دليــل عليها فيما توهمه بعض علماء اللغة من وجود تشابهــة ظاهرى بين التركيب العميق والتحليل التجريدى abstract analysis لبعض التراكيب المتباينة فى اللغات الانسانية المختلفة •

وهنا يلاحظ القارىء أنى قد تعمدت استعمال كلمات مثل : عميق deep وظاهرى Superficial وتجريدى abstract وهذا استعمال لم أقصــد من ورائه أى معنى اصطلاحى وأنه من المستحيل أن نصل الى تصور دقيق لفكرة التحويل العميق لمجرد أننا نعلم أن هناك قواعد تطبق لتوليد راسم أركان الجملة أو تطبق فى أى مكان آخر • ومع ذلك فقد حظيت فرضية القاعدة ببعض التأييد نتيجة للاستعمال العاطفى غير الدقيق لكلمات مثل عميق ، مجرد ، وسطحى ، ويبدو أن هذه الفرضية كانت مغرية وجذابة لا لعلمــاء الدلالة التوليدية فحسب بل لكثير من

علماء اللغة الذين قد يختلفون مع أصحاب الدلالة التوليدية فى مسائل عديدة .

ولكن لابد أن نعلم أن هناك فرقا هاما بين العالم التوليدى Generativist والعالم التفسيرى interpretivist بصدد فرضية القاعدة الكلية حيث لانجد أثرا لفكرة المكون الأساسى عند علماء الدلالة التوليدية وهى الفكرة التى تضمنها النموذج النحوى الذى نشره تشومسكى فى كتاب « المظاهر » ولكننا نجد بدلا منها مايسمى بقواعد الصياغة formation rules ووظيفتها توليد مجموعة من الصور الدلالية محكمة البناء well - formed أو صحيحة نحويا وبناء على ذلك فان قواعد التكوين هذه هى قواعد كلية universal عند علماء الدلالة التوليدية ومن ناحية أخرى فان التفسيريين الذين روجوا أيضا لفرضية القاعدة الكلية قد طلعوا علينا باقتراح — يبدو مثيرا لأول وهلة — وهو أن فرضية القاعدة الكلية تتمثل أكثر ما تتمثل فى القواعد النحوية القائمة على فكرة المكون الأساسى التى نادى بها تشومسكى فى كتابه « المظاهر » ولنا عدة الى هذه النقطة فيما بعد .

أما الاتجاه الثالث من الاتجاهات العامة عند التشومسكيين ومن بعدهم فى علم اللغة المعاصر ، فهو كثرة استخدام مصطلحات المنطق الصورى الحديث وأفكاره وعلم الدلالة المنطقى formal Semantics حيث نجد التوليديين والتفسريين — يهتمون اهتماما شديدا — وبخاصة فى السنوات الأخيرة — بقضايا وموضوعات مثل النفى negation تسوير القضايا quantification والافتراض presupposition. وغير ذلك وكلها أشياء تنتمى من حيث الوضع والتحليل الى مفاهيم منطقية وفلسفية حيث نجد علماء الدلالة التوليدية يعرفون التركيب العميق للجملة — وهو عندهم الصورة الدلالية لها — بما يطلق عليه الفلاسفة مصطلح البنية المنطقية Logical form للجملة .

مثال ذلك الجملة : everyone loves someones

التى رونها جملة غامضة نظرا لبنائها المنطقى أولا ، كما يحسب

هذا الغموض طبقا لقواعد ونظم المنطق الصورى formal logic حيث ينظرون الى ما يسمى عند المناطقة بأسوار القضايا المنطقية quantifiers أى المفهوم المنطقى الذى تؤديه كلمات مثل Someone, everyone فى هذه الجملة وهو عين مايقوم به علماء الدلالة التوليديين حيث يرون أن مثل هذه الجملة مشتقة بواسطة القواعد التحويلية من صورتين دلالتين مختلفتين احداهما تحتوى على Someone فى المستوى الأعلى بدون everyone وذلك اذا ما نظرنا الى راسم أركان الجملة العميقة ، أما الأخرى فتحتوى على everyone فى مستوى أعلى من تلك التى تحتوى على Someone

وهنا سنجد أن مفهوم علماء الدلالة التوليديين للتركيب العميق يقترب الى حد كبير من مفهوم الفلاسفة للعبارة المنطقية ، ومعنى هذا أن الصور الدلالية التى يتعامل معها علماء الدلالة التوليديين تتطابق مع معادلات المناطقة ولقد أشرت توا الى فرع من فروع المنطق يسمى علم الدلالة المنطقى ، وهذا يفضى بنا الى البديل الأخير الذى ظهر لنظرية تشومسكى الأصيلة ان لم يكن بديلا لنظرية تشومسكى الموسعة أيضا وهو ما سنعرض له الآن .

ان الأصل فى الدراسة الدلالية المنطقية هو دراسة ما يسمى بحساب القضايا المنطقية propositionol calculus مثل حساب المحمول predicate calculus فى اللغات المنطقية formal languages التى وضعها وصممها المناطقة (١) .

---

(١) الصلة بين علوم اللغة والمنطق صلة قديمة ولعل هذه العلاقة ترجع فى أصولها الى طبيعة الاتصال بين اللغة والفكر من حيث أن اللغة هى الصورة المنطوقة للفكر أو أن أى فكر لايمكن معرفة طبيعة وجوده الا من خلال اللغة ولان المنطق هو آلة الفكر فان استخدامه لايتطلب الدقة والوضوح فى التفكير فحسب،انما يتطلب =

ومن المعروف أن معنى أى جملة أو دلالتها فى اللغة المنطقية يتحدد بما يسمى شروط الصدق أى الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى هـذه

= الدقة فى استعمال اللغة لفظـا وتركيبا اذ هى أداته ولعل هذه الصلة أوضح ما تكون من اطلاق لفظ المنطق على كل من الكـلام وعلم المنطق .

لكل هذه الأسباب وغيرها اتصلت الأبحاث اللغويـة بالدراسـات المنطقية سواء عند اليونان أو العرب أو فى العصر الحديث لقـد نظر السوفسطائيون الى اللغة والفكر على أنهما شىء واحد ومن ثم تراهم يهتمون باللغة والخطابة والنحو حتى أنهـم أرجعـوا التصور العقلى الى اللفظ مما سهل عليهم أن يجعلوا من الجـدل سلاحا ينتصرون به ولذلك أصبحت الخطابة علمهم الأول وأصبح التلاعب باللفظ والدلالة مذهبهم — وعندما تصـدى لهم سقراط كانت محاولته شبه لغوية فى أساسها فقد حاول أن يحدد معانى المصطلحات والألفاظ الفلسفية بحيث يبقى لكل لفظ دلالة واحدة محددة تمنع من هذا التلاعب الذى أجاده السوفسطائيون ، ثم جاء من بعده افلاطون ومضى فى هذه المحاولة شوطا بعيدا .

أما أرسطو فقد وصل الى كثير من تصنيفاته المنطقية عن طريق اللغة والنحو فاللغة عبارة عن ألفاظ وتراكيب ، وللألفاظ دلالة على المعنى اصطلاحية ، وهذه الألفاظ ذات وجود مستقل مفرد وتقسم بواسطة المعنى الى أسماء وأفعال وحروف أى أن لها وجودا مركبا ومن ثم قسم أرسطو الأفكـار الى تصورات وقضايـا ، أمـا التصورات فهى تشبه الألفاظ المفردة وأما القضايا فهى الأفكار المركبة التى تشبه الجمل ومعنى هذا أن التقسيم المنطقى الأول الى تصورات وقضايا قد أخذه أرسطو من اللغة — وهناك كثير من الباحثين يسلمون بهـذه النتيجـة ويقررون أن المقـولات الأرسطية جاءت من نظرة فى الدراسات اللغوية وخصوصاً تقسيم الكلام الى الاسم وهو الجوهر والذات ، والفعل هو الحدث ، والحرف هو الرابطة بين الحدث والذات ، والصفة هى الكيف =

الجملة والتى يجب أن تتفق مع ماهو موجود فى العالم الخارجى أو مع أى حالة من حالاته ومعنى هذا أن الجملة فى هـذه اللغات المنطقيـة

= والكم يقابل العدد والأين والمتى يقابلان المكان والزمان وعنـد الرواقيين نجد أيضا الصلة بين المنطق واللغة أو بين المنطق والنحو بوجه خاص أما عند العرب فقـد شـاع أمر الصلـة بين النحو والمنطق ومازالت الأبحاث والدراسـات تدور حول أثـر ارسطو واليونان فى النحو العربى بين مؤيد ومعارض ويستند المؤيدون الى التقسيم الثلاثى لأجزاء الكلام المعروف المشهور ، ويرى المعارضون أن ذلك لم يحـدث عند الأوائل أمثال الخليـل وتلميذه سيبويه وانما حدث بعد ذلك عندما ترجم الفكر اليونانى الى العربية فى العصر العباسى حيث نجد المناظرات تقـام بين النحاة والمناطقة ولعل من أشهر تلك المناظرات ماذكره أبو حيـان التوحيدى فى « المقابسات » بين أبى سعيد السيرافى النحوى ومتى بن يونس، والتى جرت وقائعها فى مجلس الوزير ابن الفرات ، والمناظرة فى نهايتها لاترفض الافـادة من المنطـق فى الدراسـات اللغويـة والنحوية بل لعل أعمال أبى سعيد السيرافى خير شاهد على هذا الامتزاج بين النحو والمنطق .

وأما أثر المنطق فى الدراسات اللغوية فى أوربا فى العصور الوسطى فقد شاعت فى دراسـة اللاتينيـة وكثير من اللغـات الأوربية ومزج المفكرون المسيحيون المنطق بأبحـاث اللغة والنحـو وأكد مناطقة «بورت رويال» هذه الصلة وبلغ هـذا التيار أوجه فى أبحاث «الاسكولو بيديا» فى القرن الثامن عشر ومازال له أنصاره حتى اليوم .

وأما فى العصر الحديث فقـد حاول تشومسكى وتلاميـذه الاستفادة من الأبحاث الفلسفية بصورة مباشـرة ــ كما نرى خلال هذا الكتاب ــ وأعلنوا عن ذلك ، وبلغ هذا الاتجاه ، ذروته على أيدى علماء الدلالة المنطقية الذين اتخذوا من المنطـق الرمزى أساسا لأعمالهم ، والمنطق الرمزى أو المنطق الرياضى علم يتخذ =

تتمحض الى الوصف لكى تصبح جملة صادقة . وبناء على ذلك يمكن لكثير من اللغات المنطقية بناء عدد محدود أو غير محدود من الجملة المركبة بواسطة مجموعة محدودة من الجمل البسيطة .

ومعنى هذا أن أى لغة من هذه اللغات المنطقية لها هذه الخصائص التركيبية بالاضافة الى خصائصها الدلالية والتى ترى أن معنى أى جملة مركبة من جملها عبارة عن محصلة معانى الجمل البسيطة التى تتألف منها هذه الجملة المركبة ويمكن أن تنحل الى جزئين عند عملية التحليل الدلالى أى تفسير كل جملة على ضوء شروط الصدق فيها وهذان الجزءان هما :

= من الرموز أساسا يعتمد عليه هروباً من اللغة والألفاظ والعبارات غير المحددة امعانا فى الدقة والتجريد ، وسعيا وراء التحديد وليس اتخاذ الرمز هو السبب فى تسمية هذا العلم بالمنطق الرمزى ، وانما سمى كذلك لأنه يتناول دراسة العلاقات المختلفة التى تربط بين عدة قضايا ووضع القواعد التى تجعل من القضايا التى يرتبط بعضها ببعض قضايا صادقة دائما وموضوع هذا المنطق هو الاستدلال أى الانتقال من قضية أو أكثر الى قضية أخرى وترتبط المقدمات بأى القضايا الأولى برباط معين بحيث اذا قبلناها قبلنا النتائج المترتبة عليها . ولذلك تكثر عند علماء الدلالة المنطقية مصطلحات المنطق الرمزى أو الرياضى مثل : حساب القضايا من حيث الصدق والكذب وشروطهما وحساب المحمول والقضايا المركبه ... الخ .

كما نجد علماء اللغة الآن يفرقون بين اللغات المنطقية واللغات الطبيعية ويتخذون من اللغات المنطقية — التى يؤدى فيها المنطق الرمزى دورا هاما أساسا لدراسة اللغات الطبيعية كما أشرنا فى التعليقات السابقة .

حول علاقة اللغة بالمنطق انظر : د . محمود زيدان ، فى فلسفة اللغة .

(المترجم)

(أ) تخصيص تفسير محدد لكل جملة من الجمل البسيطة •

(ب) تحديد دقيق بالمعنى الرياضي لكل وحـدة من الوحدات التي تتألف منها الجمل والتي تسمح بها القواعد النحوية لهذه اللغـة لكي تؤدي وظيفتها في الكشف عن المعنى الناشيء عن هذه الجمل •

ولعل الجزء الثاني من هذين الجزئين من التحليـل الدلالي أكثر سهولة شريطة أن يكون التركيب النحوي نفسه هو الـذي يحدد معنى التراكيب المعقدة المتتابعة لهذه الجمل (١) •

---

(١) هذه صورة من صور اخضاع الدراسة اللغوية للمنطق الرمزي التي أدت الى ظهور مايسمى بالدلالة المنطقية أو علـم الدلالة المنطقي حيث تدرس الجمل على أساس أنهـا قضايا منطقيـة وخاصة من ناحية المعنى في الجمل الغامضة التي تحلل وفق أصول المنطق الرمزي ، الذي ينطلق من فكرة العلاقة القائمة بين حـدود الجملة أو ما يسمى بالقضية عند المناطقة ، حيث نجـد أن عدة جمل أوقضايا قد تختلف من حيث المعنى ولكنها تتفق في العلاقة العامه بينها ذلك لأن العلاقة بين حدود القضية أو أركان الجملـة عندهم هي التي تحدد التصور أو المعنى مثال ذلك :

١ — الطقس بديـع

٢ — القمر منير

فعلى الرغم من أن هاتين الجملتين تختلفان من حيـث المعنى الا أنهما متفقتان في الصورة المنطقية ويمكن أن تعبر عنهما وعن كل الجمل أو القضايا التي تأتي على هذا النمط باستخدام الصورة الآتية وفق المنطق الرمزي وهي :

كل (أ) هو (ب)

وفائدة الرموز تحديـد الدلالـة في صـورة صحيحة فاذا مـا استعضنا عنها بألفاظ اللغة فهمنا المعنى المقصود فهما صحيحاً • وبناء على ذلك يحلل علماء الدلالة التوليديون الجمل الغامضة مثل

« كل انسان يحب بعض الناس» evryone loves someone

وهي عبارة غامضة لأنهما تتألف من حد عـام في صيغه النكرة =

وقد وضع العلماء عددا من اللغات المنطقية ، لها هذه الخصائص السابقة غير أننا ينبغي أن نعلم أن هذه اللغات المنطقية تخضع لمن وضعوها وصمموها ، وفي الحدود التي وضعت من أجلها ، ولذا فهي في الغالب تقوم على تلك الخصائص التي وضعت من أجلها أكثر ، أو تلك التي ظن واضعوها أنها مناسبة لها • هذا فيما يتصل باللغات المنطقية ولكن ما علاقة اللغات الطبيعية الانسانية بذلك ؟

يرى عالم المنطق الأمريكي ريتشارد مونتاجيو Richard Montague (المتوفى سنة ١٩٧١م) أن التركيب الدلالي للغات الطبيعية ينبغي — بل يجب أن يحلل على غرار التحليل الدلالي للغات المنطقية ، أي بالنظر الى شروط الصدق النموذجية فيها Standard truth conditions عند تفسير الجملة •

ولم يكن ريتشارد مونتاجيو العالم الوحيد الذي أخذ بوجهة النظر هذه ، وانما هناك عدد من العلماء أخذ بهذه النظرية وأيدها بخاصة عندما وضع مونتاجيو نموذجا نحويا نسب اليه ، يسمى نحو مونتاجيو Montague grammar الذي لقي تأييدا واسعا أكثر من

= « كل انسان » لاتحدد انسانا بعينه ومثل ذلك أيضا في عبارة « بعض الناس » ويسمون ألفاظا مثل «كل» و « بعض » بسور القضية ومن ثم يرون أن مثل هذه العبارة مشتقة على النحو التالي •

١ — الناس يحبون •
٢ — كل انسان يحب •
٣ — بعض الناس يحبون •

ذلك لأن الجملة الغامضة لاتقرر وجودا واقعيا في الغالب وانما تنطوي على قضية صادقة أحيانا والرجوع الى التركيب العميق يكشف الغموض الذي اكتنف دلالة هذه الجملة •

(المترجم)

أى نظام نحوى آخر وضع فى اطار نظرية اللغات المنطقية فى التحليل الدلالى ، ولسنا فى حاجة الى الخوض فى تفاصيل هـذا النظام النحوى الذى وضعه مونتاجيو ، ولكن يكفى أن نعلم أن هـذا النظام النحوى لايختلف عما وضعه تشومسكى فى كتابة «المظاهر» «Aspects» فحسب وانما يختلف فى كثير من جوانبه عن كل ماوضعه التشومسكيون ومـن بعدهم من بدائل لها وزنها فى هذا المقـام • ولعل أهـم مايميز نحو مونتاجيو هو ذلك التبادل المحكم Close Corresponce الذى وضعه مونتاجيو وبين القواعد التحويلية التى وضعهـا التشومسكيون [illegible] آلة [illegible] التشومسكية لسلاسل معينة من الكلمات على أساس أنها مركبة تركيبا معينا أو غير صحيح ill - formed ولما كان مونتاجيو يعتمد على الدلالة أكثر من اعتماده على التركيب فقد اختلف موقفه تجاه هذه التراكيب المعيبة «أو غير الصحيحة ، كما وصفهما التشومسكيون ، وهو موقف يتصل بأصوله النظرية تجاه فكرة الصحة النحوية grammaticality ومن الحق أن نقول أن تشومسكى قد ذهب بعيدا بل فى الاتجاه المضاد لمونتاجيو عندما استبعد فى كتابه «المظاهر» بعض الجمل مثل Sincerity admires Jhon بواسطة مجموعة من القواعد المختارة على أساس أن هذه الجمل معيبة التركيب أو غير الصحيحة نحويا ، وهى فى الحقيقة معيبة التركيب دلاليا •

ومهما يكن من أمر ، فمن السابق لأوانه التنبؤ بمدى تأثير النظرية النحوية التى وضعها مونتاجيو فى ميدان علـم اللغة خـلال السنوات القليلة القادمة ، ولكننا ذكرنا مونتاجيو هنا لما له من مؤيديـن أقوياء بين علماء اللغة • وبرغم أن النحـو الذى وضعه مونتاجيو لـم يتأثر كثيرا بأعمال تشومسكى ، وبخاصة التطورات التى أضافها بنفسه على نظامه النحـوى الا أن عالمـة اللغـة بربارة بـارتى B.H. partee اقترحت بناء نموذج نحوى أكثر قوة مما وضع مونتاجيو يقوم عـلى التوسع فى القواعد التحويلية مع الأخـذ بمقولات مونتاجيو النحويـة بحيث ينتهى ذلك الى نظرية أكثر تلاؤما من أى نظرية تحويلية معاصرة

تحاول عقد الصلة بين التفسير الدلالـــى والتركيب النحوى للجمـل فى اللغات الانسانية .

والآن بعد أن استعرضنا أهم ما قدمه التشومسيكون ومن بعدهم من تطوير لنظرية تشومسكي الأصيلة لابد لنا من العودة الى ما أطلقنـا عليه من بل النظرية الموسعة extended theory التى قـام بها تشومسكى نفسه وعدد من تلاميذه المقربين ، لأن نظريته الأصيلة ظلت طوال الأعوام العشرة الأخيرة عرضـة لتغيرات وتطورات قـد تكثر وتقل أحيانا ، ولكنها تختلف عن نظرية الدلالة التوليدية فى أنهـا تنتمى فى جوانب كثيرة منها الى نظرية تشومسكى الأصيلة التى قدمها فى كتابه « المظاهر » بحيث يمكن أن نطلق على هذه النظرية الموسعة أو بمعنى آخر التطورات التى طرأت عـلى النظرية الأصيلة مصطلـح النظرية المفسرة interpretivist theory أو الشارحـة وفى هـذه النظرية المفسـرة نجد أن التركيب العميق للجملة يتميز تماما عن الصورة الدلالية Semantic represantation وأما القواعد التحويلية فـلا تطبق الا بعد اقحام الكلمات المأخوذة من المعجم فى راسم أركان الجملة العميقة وكل هذا يختلف عما فى النظرية الأصيلة لتشومسكى ويـؤدى الى التحلل من المبدأ الذى يقول « ان التركيب العميق وثيـق الصلة بتحديد صورتها الدلالية » .

غير أننا نستطيع أن نصف التطورات التى طرأت على النظريـة الموسعة منذ التعديلات والمراجعات الأولى التى تمت عام١٩٧٠ م ثم فى عام ١٩٧٦م فيما يتصل بالعلاقة بين التركيب العميق والتركيب السطحى والتفسير الدلالى بأنها محاولة لتخفيض تدريجـى لعمليات التفسـير الدلالى لفكرة التركيب العميق ويظهر ذلك كلـه فى كتـاب تشومسكى « خواطر حول اللغة » . Roflections on largnage

ففى التعديل الأول الذى حدث عام ١٩٧٠ م نجـد أن التفسير

الدلالى لجملة ما ، بالمعنى الذى يقصده تشومسكى بمصطلح «التفسير» يمكن الوصول اليه بواسطة العلاقة المشتركة بين التركيب العميق للجملة والتركيب السطحى لها ، ولكننا نجد تطورا آخر أحدث من ذلك دعا اليه تشومسكى وعبر عنه فى كتابه « خواطر حول اللغة » حيث يقول « ان اتساع آفاق فكرة التركيب السطحى بشكل مناسب يكفى لادراك دلالة الجمل ومعانيها عن طريق تطبيق القواعد المفسرة » (أنظر الفصل الثالث من الكتاب) وما يقصده تشومسكى هنا باتساع آفاق فكرة التركيب السطحى أو المكونات التى يضمها هذا التركيب أمر لاقبل لنا بمناقشته هنا ، ولكن يكفى فى هذا المقام أن نتذكر ماسبق أن أشرت اليه من عدم التوافق والانسجام فى فكرة التركيب العميق ، ولكن لابد لنا أن نعرف تماما أن فكرة التركيب العميق فى نظرية تشومسكى مازالت تقوم بدورها الهام فى النحو وهو الدور نفسه الذى تقوم به فى بناء قواعد النحو التحويلى ، وأنا اذ أقول ذلك ، أحاول أن ألقى الضوء على ما ذكره تشومسكى عام ١٩٥٧ م — عن قواعد النحو التحويلى — من أن الجمل ذات التركيب المعقد يمكن — لأسباب فنية كثيرة — أن يكون لها تركيب عميق موحد ولكن فكرة التركيب العميق كما عبر عنها تشومسكى فى تطويره للنظرية أصبحت تحتوى على ما أشار اليه تشومسكى عام ١٩٥٧ م فى كتابه « التراكيب النحوية» وعلى مايدل عليه أيضا مصطلح راسم أركان الجملة العميقة ولعل من أهم جوانب التطوير التى أدخلها تشومسكى على نظريته وعبر عنها فى كتابه «المظاهر» أنه عمم فكرة راسم أركان الجملة أما التطوير الثانى فيتمثل فى الفصل الصارم بين النحو والوحدات المعجمية من ناحية والطرق المختلفة التى تصنف بها الكلمات طبقا لخصائصها النحوية والتركيبية من ناحية أخرى .

وهكذا نرى أن تشومسكى قد وضح دون لبس أن فكرة التراكيب العميقة ليست مرتبطة فى المقام الأول بمبدأ التغير الدلالى أكثر من

ارتباطها بفكرة التركيب العميق ذاتها ، كما أنه يلح الحاحا شديدا على عدم وجود علاقة متبادلة بين العمق depth بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح وبين فكرة الكلية universality وتلك نقطـة هامـة لمن يريد أن يفهم تشومسكي حق الفهم يقول « هناك شعور عام بأن الدلالـة هي ذلك الجانب العميق أو الهام من اللغة وأن دراسـة هذا الجانـب الدلالي بماله من صله في فهم وادراك الدلالة العميقة للغة هـو الذي يضفي على الدراسـة اللغوية هـذا الطابع المثير والمميز لهـا وهـو يرى أن في ذلك بعض الصدق يقول « ان هناك بعض الصدق من وجهة النظر هذه » ولكن عندما يقارن بين علم الطبيعة وعلم اللغة ، ثم عندما يقارن في داخل علم اللغة بين الدلالة والفنولوجيا نراه يقول : «ان علم الطبيعة له جوانب تطبيقية هامة ومثيرة ترجـع في أصلهـا الى العمق العقلاني intellectual depth الذي يتحلى به هـذا العلم فاذا نظرنا في ضوء تلك الفكرة الى الأصول والمبـادىء التي تقوم عليهـا الفنولوجيا وجدناها أكثر عقلانية وتعقيدا من تلك المبادىء والأصـول التي يقوم عليها علم الدلالة ، فهي في الفنولوجيـا تصل الى مشاكـل جوهرية وأصلية حيث تفسر لنا حقائق هـامة حول طبيعـة التكوين العضوي للغة ومدى عمقه ولذا فان الفنولوجيا أكثر عمقـا من عـلم الدلالة برغم حدود الفنولوجيا الضيقة وقلة الجوانب التي تتعامل معها وتهتم بها » .

ومعنى هذا كله أن تشومسكي كان يستعمل — عامدا — مصطلح «عميق» للدلالة عـلى أمرين : أحدهمـا الدلالة الاصطلاحية الفنيـة والثاني الدلالة العادية الشائعـة وقد أدى هـذا الاستعمال المزدوج للمصطلح الى كثير من الخلط والاضطراب ، ولابد لنا من ادراك هـذه الحقيقة وتمثلها جيدا وبخاصة عندما نبحث في الجوانب السيكولوجية والفلسفية من النحو التحويلي في الفصلين التاسع والعاشر من هـذا الكتـاب .

بذلك نصل تقريبا — الى نهاية هذا العرض الذى قارنا فيه بين أهم التطورات والتعديلات التى قام بها التشومسكيون واتباعهم للنظرية الأصيلة التى قدمها تشومسكى عام ١٩٦٥ م وليس من شأننا هنا أن نتنبأ بما سيكتب له البقاء من هذه التطورات ، أو أيها سيحرز قصب السبق ،كما أنه ليس من شأن هذا الكتاب أن يخوض فى التفاصيل الدقيقة العلمية والفنية لهذه التطورات والتعديلات المختلفة ، ولكنه برغم ذلك يبقى أمر هام يتصل بمسألة مدى قوة Power كل نموذج من النماذج النحوية الثلاثة التى قدمها تشومسكى •

لقد رأينا فى الفصول الثلاث الماضية أن أعمال تشومسكى الأولى حول النحو التحويلى كانت تتجه نحو وضع ثلاث نماذج لوصف اللغة كما ذكر فى البحث الذى قدمه عام ١٩٦٥ م وقد كانت هذه النماذج الثلاثة ذات خصائص منطقية formal properties وهذه النماذج هى :

١ — حاله القواعد النحوية المحدودة • finite state grammar

٢ — قواعد تركيب أركان الجملة • phrase structure grammar

٣ — قواعد النحو التحويلى • transformational grammar

أما النموذج الأول منها فلم يكن قويا — قطعا — بالقدر الكافى للغرض الذى وضع من أجله وأما الثانى فهو برغم قدرته المبدئية على توليد جميع الجمل • وجميع الجمل فقط فى أى لغة طبيعية ، الا أنه ليس قويا بالدرجة التى تؤهله لوصف وتحديد التراكيب اللغوية لهذه الجمل بحيث يكشف عن العلاقات المنطقية المتبادلة بينها • وأما النموذج الثالث ، فهو قواعد النحو التحويلى التى قدمها تشومسكى على أنها النموذج الأكثر قوة من بين النماذج الثلاثة التى قدمها تشومسكى ، بل لعله من المتفق عليه أن النموذجين الثانى والثالث يتمتعان معا بقوة خارقة•

والحقيقة أن الحكم على أى نظرية لغوية بناء على قوتها قد يسبب كثيرا من المتاعب والصعاب • ذلك لأن كلمة «قوة» تشبه كلمة «عميق»

فى أن لكل منهما دلالات غير اصطلاحية أولهما دلالات شبه أصطلاحية semitechnical بجانب الدلالة الاصطلاحية لهما •

فاذا استعملنا احدى هـذه الدلالات شبه الاصطلاحية لكلمـة « القوة » فى وصف نظرية لغوية ما فان هذا يعنى أن هذه النظريـة يمكن الاعتماد عليها فى وصف ودراسة وتفسير أكبر جزء من المـادة اللغوية بطريقة سهلة وبسيطة وبناء على ذلك نقول انه كلمـا ازدادت نظرية ماقوة كلما كانت أفضل من غيرها ، ولكن هب أننا نفكر فى نموذج من النماذج التى تسمى باسم القواعـد النحوية الكليـة أو الشاملة universal grammar وأنا أقصد بهـذا ، القواعد التى تقابل القواعـد النحوية الخاصة بلغة معينة على أساس أن هذه القواعد الشاملـة أو الكلية مازالت تسعى لكى تميز بين اللغات الطبيعية ونظـم الاتصال الأخرى التى تشبه اللغات الطبيعية فى خصائصها المنطقية سواء كانت هذه النظم تستخدم فعلا فى الاتصال أم لا ، وسواء كان هـذا التمايز حقيقيا أو محتملا أقول : هب اننا نفكر فى مثل هذا النموذج بناء عـلى معيار «القوة» الذى أشرنا اليه من قبل فسنجد أن مثل هذا النموذج قد يصبح بالغ القوة too powerful بلا شك اذا ما أستطاع أن يولد جميع اللغات الطبيعية الموجـودة أو تلك التى يحتمل وجودهـا وكذا جميع نظم الاتصال التى تشترك مع اللغات الطبيعية فى خصائصها المنطقية الموجودة فيها أيضا ، والمحتمل وجودها ، ومعنى هـذا أننا فى الحقيقة لا نسعى الى نوع من القواعـد التحويليـة التوليديـة ذات القوة المطلقة ، وانما نسعى الى قواعد على درجة من القوة كافية لكى تقوم بما هو مطلوب منها أن تقوم بـه ولذلك شعر كثير من العلمـاء بضرورة تحديد معنى القوة تحديدا صارما ، لأن عدم التحديد هذا قـد يضفى على القواعد التحويلية قوة أكثـر مما ينبغى وهـو ما حاولنا التدليل عليه عن طريق فكرة القواعد الكلية وعلاقتها باللغات الطبيعيـة ولقد قدم العالمان « بيترز » P.S. peters و « رتشتى » R.W Ritchie سلسلة

من الأبحاث الهامة حاولا فيها اثبات أن أى لغة طبيعية — بغض النظر عن نظم الاتصال الأخرى التى ليست لغات طبيعية — يمكن توليدها بواسطة القواعد التحويلية بحيث تحتوى على أى عدد غير محدود من المكونات الأساسية وبالتالى هناك احساس ضئيل بأن جميع اللغات الطبيعية قد تحتوى على المكونات الأساسية نفسها ، ولكى نبرهن عمليا على صحة الفرض القائل بوجود أصول كلية فى القواعد النحوية التحويلية لابد لنا أولا من وضع حدود أكثر دقة لفكرة المكون الأساسى أو المكونات التحويلية أكثر مما فعل تشومسكى فى نظريته الأصيلة ولكن من المعروف والمقبول معا الآن ، أن أى عالم يرغب فى تحديد أو تعريف فكرة الأصول الكلية الشاملة — وتشومسكى لايرغب فى ذلك كما رأينا — فانه سيجد أن القواعد التحويلية سواء عند التشومسكين ومن بعدهم تعتبر بالغة القوة فى وصف ودراسة اللغات الطبيعية بشرط أن يحدد معنى القوة فيها بطريقة من الطرق •

ولعل من أهم الدراسات النظرية التى قام بها تشومسكى وغيره من العلماء حديثا فى حقل النحو التحويلى والتى تستحق كثيرا من الاهتمام ، تلك الدراسات التى وضعت نصب عينها فرض بعض القيود والحدود على فكرة « المكون الأساسى » أو على فكرة « المكون التحويلى » أو عليهما معا ، وهو ما عبر عنه تشومسكى فى واحد من أبحاثه حينما قال « لابد من الدقة والتحديد كلما أمكن ذلك » أما السبب وراء ذلك فيتضح من قوله : « نحن نريد وضع قواعد نحوية كلية قوية ومعبرة قدر الطاقة عن طبيعة اللغة بحيث تصمد هذه القواعد أمام الاختبارات النقدية كما تقدم تفسيرا للظواهر التى أثبتت صحتها الدراسة الوصفية » • وما من شك فى أن هذا اللون من البحث الأصولى هو الذى يمثل روح تشومسكى فى أعماله الاولى بحق والتى عدها حينئذ أبحاثا فى « التركيب المنطقى للنظرية اللغوية » •

وقد حاولت جاهدا أن أوضح فى صفحات هذا الكتاب أن الأصالة التى تميزت بها أعمال تشومسكى فى علم اللغة تبدو فى وضعه لأصول هذا اللون من الأبحاث كما أنه هو أيضا الذى منحها تلك القيمة والمكانة اللتين تتمتع بهما فى الدراسات اللغوية المعاصرة ولقد مضى أكثر من عشرين عاما على صدور كتابه « التراكيب النحوية » (١) ومع ذلك فمازالت نظرية القواعد التحويلية مثار جدل بين علماء اللغة وقد رأينا ـ خلال هذا الفصل ـ جانبا من ذلك يتمثل فى عدة صور مختلفة لهذه النظرية وضعها بعض التشومسكيين ومن بعدهم غير أننا لم نتطرق فى الحديث الى نظريات تحويلية أخرى وضعها بعض العلماء مثل النظرية التى وضعها عالم « زيلج هاريس » وهى تختلف اختلافا واضحا عن نظرية تشومسكى والتى قام « هاريس » بتعديلها وتطويرها منذ أواسط الخمسينات ومثل ذلك أيضا أنواع أخرى من القواعد التحويلية التى وضعها علماء أمثال شومجن Shaumgan والتى أطلق عليها اسم النحو التطبيقى Application grammar وهاليداى M.A.K Halliday وهدسون R.A. Hudson فيما يسمى النحو المنهجى Systematic grammar ولامب S.M.A. Lamb فى النحو التصنيفى Stratificational grammar

والحق أنه من العسير المقارنة بين تلك النظريات وما قدمه التشومسكيون من تطوير لنظرية القواعد التحويلية وذلك من حيث القوة والاصالة ، ناهيك عن نماذج أخرى من الدراسات اللغوية الوصفية لأن مثل هذه المقارنة تفترض قبلا أن هذه النظريات جميعا

---

(١) المؤلف هنا يشير الى ذلك بالنسبة لظهور كتابه عام ١٩٧٧م ومعنى هذا أنه بصدور هذه الترجمة لكتابه قد مضى على صدور كتاب تشومسكى «التراكيب النحوية» أكثر من خمسة وعشرين عاما .
(المترجم)

قد نشأت وتكونت داخل اطار واحد ، وهذا غير صحيح ، ولذا كـان من الطبيعى أن نلتزم فى هذا الفصل من الكتاب بمـا ينتمى الى اطـار التطورات والتعديلات التى قام بها التشومسكيون لنظرية تشومسكى ، وأى قارىء يريد البحث فى دائرة أوسع من ذلك ، عليه أن يتحقق أولا مما ذكرته فى مقدمة هذا الكتاب ثم أعـدت ذكره مرة أخرى فى بدايـة هذا الفصل وهو أن كل الأعمال المعاصرة فى علم اللغة تحمل — بصورة أو بأخرى — آثارا لنفوذ أعمال تشومسكى وسطوتها •

الفصـــل التاســـع

(الأصـــول النفسية للنحو التحويلى)

نحن نعلم أن أعمال تشومســـكى الأولى قـــد كتبت فى ظل مبدأ استقلال منهج علم اللغة عن مناهج العلوم الأخرى ــ كما بينا ذلك فى الفصل الرابع ــ غير أنه فى كتاباته التى ظهرت أخيرا ، أخـــذ يشير الى علم اللغة على أنه فرع من عـــلم آخر أطلق عليه اسم علم النفس الادراكى Cognitive psychology وكان ذلك فى ثلاثة من مؤلفاته هى :

(١) مظاهر النظرية النحوية Aspects of Theory of Syntax

(٢) علم اللغة الديكارتى Cartesian linguistics

(٣) اللغة والعقـــل language and mind

حيث أخذ يعيد القول ويكرره فى أهمية القواعد التحويلية فى اكتشاف ودراسة تركيب ونوازع Predispositions العقل البشرى وقد ذكرت ان ذيوع شهرة تشومسكى ترجع الى آرائه التى أعلنها أخيرا حول طبيعة العقل الانسانى وعلاقته باللغة ، أكثر مما ترجع الى تحليلاته الفنية فى علم اللغة من حيث هو علم لـــه منهجه المستقل . ولـــذا فاننـــا سنكرس الفصلين القادمين لعرض آراء تشومسكى فى القضايا النفسية والفلسفية بما لها من صلة باللغة ، ولكى يتحقـــق لنـــا ذلك سوف نقسم المـــادة العلمية لهذين الفصلين بطريقة تحكمية ــ الى حد ما ــ تحت موضوعين علم النفس psychology والفلسفة Phila Sophy وبرغم أن موقف تشومسكى كما يبدو من كتابه «التراكيب النحوية» لايتميز بصورة قاطعة عن موقف السلوكيين من أتباع بلومفيلد أو غيره من التجريبيين الا أننا نجد مسألة واحدة اختلف فيها تشومسكى مع البلومفيلديين منذ البداية، ولست أنوه هنا برفض تشومسكى لفكرة « الكشف » التى نادى بهـــا البلومفيلديون مقابل فكرة « التقويم » التى آمن بها تشومسكى وهـــو

ما تناولناه بالدراسة والمناقشة فى الفصول السابقة وذلك برغم ما لهذا من أهمية فى دراسة تطور علم اللغة بعد الحرب العالمية الثانية بعامة وبما لها من علاقة باستقلال المنهج التجريبى بخاصة • ومع ذلك فان الذى نهتم به الآن هو موقف تشومسكى حيال بلومفيلد •

نحن نعرف أن بلومفيلد كان يعد نفسه سلوكيا وبناء على ذلك انطلق يكتب كتابه المشهور «اللغة» كما شاركه كثير من تلاميذه فيما كان يعتقده من أن التفسير «الآلى» للغة بمصطلحات مثل «المثير» و « الاستجابة » أكثر موضوعية وعلمية من الاتجاه العقلى فى دراسة اللغة وصفها من حيث هى أداة من أدوات الفكر ، وعندما نشر تشومسكى كتابه « التراكيب النحوية » ظهر فى العام نفسه كتاب « سكينر » B.F. Skinner « السلوك اللغوى » •

وقد تعرض تشومسكى لهذا الكتاب فيما بعد — وكان سكينر أستاذا لعلم النفس فى جامعة هارفرد — كما كان من أبرز علماء النفس السلوكيين الذين بقوا على قيد الحياة وأكثرهم نفوذا وأشدهم ايمانا بالنظرية السلوكية ولذا فان كتابه هذا كان من أهم الكتب التى تناولت كسب اللغة Aquisiticn of language فى أطار نظرية التعليم Learning Theory عند السلوكيين • ويعد المقال النقدى الذى كتبه تشومسكى لهذا الكتاب واحدا من أبرز المقالات التى تناولت الكتاب وأكثرها علمية • اذ لم يقف فيه عند حدود الدراسة العلمية فحسب وانما كشف أيضا عن قدرته وتمكنه مما يكتب وينشر فى ميدان علم النفس ومنذ ذلك الحين ظل تشومسكى يعاود الهجوم المرة تلو المرة على المذهب السلوكى وأتباعه وهو يصدر فى كل مايكتبه حول ذلك عن فكرة أصيلة هى « الابداعية » فى اللغة وهى واحدة من الحقائق المذهلة التى كشف عنها تشومسكى • فالطفل ابن الخامسة أو السادسة يستطيع أن ينتج ويفهم عددا غير محدود ولا نهائى من الجمل التى

لم يسمع بها قط من قبل ، وقد حاول السلوكيون عن طريق نظرية التعلم تفسير هذه الابداعية فى اللغة حيث قالوا ان هناك شبكة من العلاقات يقوم عليها النظام السلوكى عند الانسان والحيوان وهذه الشبكة مؤسسة على مجموعة من العادات وتداعى المعانى والأفكار ولكن هذا التفسير ظل عاجزا عن الكشف عن هذه الابداعية فى اللغة والتى تظهر بصورة واضحة فى السلوك اللغوى عند الانسان •

وصدد هذا يقول تشومسكى ان مصطلحات المدرسة السلوكية مثل «المثير» و « الاستجابة » و « العادة » و « الربط الشرطى » والتعزيز ••• الخ كلها مصطلحات تحتاج الى تحديد صارم عند التطبيق فى حقل اللغة مثلما حددت من قبل فى ميادين علمية أخرى ، ذلك لأنها مصطلحات فضفاضة تصدق على أى شيء كما أنها تخلو من أى محتوى تجريبى ، ففى غيبة — أى استجابة واضحة أو صريحه يلجأ السلوكى — عادة — الى التخلص منها بطريقة خفية ويعتمد على الترابط بين الكلمات والأشياء بدلا منها من حيث ان الكلمات تمثل « الاستجابة » والأشياء تمثل « المثير » وكذا أيضا فى تعلم عدد محدود من الجمل نجده — أى السلوكى — يعتمد على الطريقة نفسها فهو اما أن يتجاهل كلية عملية تكون الجمل الجديدة وأما يطبق فكرة القياس analogy وهى فكرة غائمة غير واضحة أو محددة ولاشك أن تشومسكى على حق فى كثير مما انتقد به المذهب السلوكى ، الا أن ذلك لايعنى عدم وجود جوانب من اللغة أو طريقة استخدامها يمكن تفسيرها وفق النظرية السلوكية من حيث « المثير » و «الاستجابة » ، وطبقا لما أعرفه عن تشومسكى ، فانه لم يدع ذلك قط ، ومع ذلك فهناك بعض الشك فى أن النظرية السلوكية بوضعها الحالى قادرة على تفسير قضية اكتساب اللغة ناهيك بمشكلة ابداعية اللغة التى نادى بها تشومسكى •

وهنا نلاحظ أن النماذج المختلفة التى قدمها تشومسكى للنحو التحويلى سواء تلك التى قدمها فى البداية أو فى النهاية لم تقدم من

حيث هي نماذج نفسية psychological models للطريقة التي يبنى بها الناس الكلام ويفهمونه وانما قدمها بناء على اعتقاد منه بأن قواعد أى لغة أنما هي وصف مثالي dealized discrption للقدرة اللغويــة لأبناء هذه اللغة (انظر الفصل الأول) ، كما يرى أن أى صياغة نفسه للطريقة التي تستخدم بها هذه القدرة اللغوية فى صورة الآداء الفعلى لابد لهـا أن تأخذ فى الحسبان عددا من الحقائق التي يتعمد عالم اللغة تجاهلهـا عند تحديده لفكرة التراكيب الصحيحة نحويا وهى حقائق وثيقة الصلة ببناء الكلام وفهمه يضاف الى ذلك قدرة الانسان المحدودة على التذكر والانتباه ثم الزمن الذي تستغرقه الاشارات العصبية لكى تنتقل من المخ الى أعضاء النطق وكل ذلك يصور الى أى مدى تتداخل العــوامل والعمليات النفسية احداهما مع الأخرى •

ولذا فان كثيرا من الجمل التي ينظر اليها عالم اللغــة على أنهــا جمل صحيحة نحويا ، بمعنى أنها مركبة تركيبا نحويا صحيحا طبقــا للقواعد التي تصف قدرة المتكلم المثالى من أبناء اللغة ، مثــل هــذه الجمل لاتحدث «عفويا» والدليل على ذلك أننا اذا حاولنا عمداً بناءهــا لاجراء بعض التجارب اللغوية ، فسنجد صعوبة واضحة فى ذلك ، بل لعل بعض أبناء اللغة يعجز عن ادراك ذلك أو فهمه لأنهم لايستطيعون القيام بذلك دون الوقوع تحت وطأة عمليات نفسية وعصبية تتدخل فى استقبال الكلام وفهمه ، لايشعرون بها وهم يتكلمون على سجيتهم • وربما كان ذلك من الأسباب والعوامل النفسية التي تفسر الاختلاف فى الجمل التي ينطق بها فعلا ابن اللغة ، والجمل يصفها عالم اللغة بأنها صحيحة نحويا

وهناك فرق آخر ، كثيرا ما الح تشومسكى فى فكره وهو أن الجمل التي ينطق بها فعلا ابن اللغة قــد تحتــوى على عدد مــن الأخطــاء والتحريفات distortions مثل : النطق غير الصحيح mispronunciation والجمل غير التامة واختلاف التركيب والجمل لم تصل الى نهايتها بعد ، وكلها أخطاء ترجع الى نوع من العجز فى العمليــات النفسية المتصلــة بالكلام وربما الى نــوع مــن القصور الوراثــى ، ولاشك أن هــذه

الانحرافات عن القاعدة النحوية الصحيحة تضع بين يدى عالم النفس ثروة نفسية اذا ما قام بدراستها وتحليلها تحليلا علميا سليما حيث تقدم له مثل هذه الدراسة تصورا لما يجرى داخل التراكيب اللغوية بما لها من صلة بالعمليات النفسية العميقة التى تختفى وراء الاستعمال اللغوى ، ومع أن علم اللغة وعلم النفس ينظران الى دراسة اللغة من زاويتين مختلفتين الا أن تشومسكى كان دائم الحديث عن وجود صلة حيوية بين هذين الفرعين من فروع المعرفة والفرق الوحيد الذى نستطيع أن نلمسه بين آرائه الأولى والنهائية حول ذلك يظهر من مدى تأكيده أحيانا على أمر هذه الصلة . واذا كان تشومسكى يرى الان أن علم اللغة فرع من فروع علم النفس وليس فرعا مستقلا من فروع المعرفة فان هذا لايعنى بالضرورة أن علم اللغة ينبغى عليه أن يتحول عن دراسة اللغة فى ذاتها الى دراسة الطريقة أو الكيفية التى تستعمل بها اللغة أى يتحول من دراسة « الأداء اللغوى » الى دراسة « القدرة اللغوية » .

وصدد هذا يقول ان من أهم الأسباب التى تدفعنا الى دراسة اللغة دراسة علمية ودراسة النحو التحويلى بخاصة ، أن هذه الدراسة ذات قيمة واضحة فى فهمنا وادراكنا «للعمليات العقلية» ومن هنا فان اندماج علم اللغة مع علم النفس واتحادهما معا انما هو من أجل النتائج الهامة التى سيسفر عنها هذا الاندماج وليس من أجل تغير موضوعات علم اللغة أو مناهجه . وبناء على ذلك نستطيع أن نفسر مصطلح « الحدس » intuition الذى تردد كثيرا فى مؤلفات تشومسكى الأخيرة ، والذى أخفق كثيرون فى فهمه فهما دقيقا ، اذ طبقا لكلام تشومسكى نستطيع أن نرصد نوعين من القواعد النحوية يختلفان فى درجة الكفاءه ، ومع ذلك فكل منهما قادر على توليد مجموعة واحده من الجمل ، غير أن أحدهما يمكن وصفه بأنه أكثر ملاءمة من الآخر اذ ما أخذنا فى الحسبان حدس أبناء اللغة فيما يتصل ببعض الغموض التركيبى أو تعادل equivalence أنواع معينة من الجمل أو عدم تعادل

أنواع أخرى وغير ذلك من المصطلحات التى استخدمها تشومسكى فى كتابة « المظاهر » Aspects وفى غيره من المؤلفات التى ظهرت من بعده، وهذا التعدد والتمايز والاختلاف فى استخدام المصطلح يكشف عن أشياء كثيرة، فهو يكشف مثلا أن تشومسكى تقصد بمصطلح الحدس intuition عند المتكلم مايسمى بالتمثل العقلى mental representatian لقواعد اللغة وهو الأمر الخليق بالدراسة والوصف أكثر من الجمل فى ذاتها وقد رأينا من قبل أن تشومسكى الح كثيرا على مبدأ البساطة simplicity من حيث هو معيار لتقويم ما أسماه بالقواعد النحوية الضعيفة وأنه حينما كان يتكلم عن الأحكام التى يصدرها المتكلم صدد مسائل مثل الغموض أو غيره علم يدر بخلده أن هذه الأحكام، أو بمعنى أدق أن هذه الحدوس intuitions تأتى فى المرتبة الأولى من حيث أهميتها أو التسليم بها وانما ينبغى اختبارها فى ضوء فهم الرواية informant أو المتكلم بطبيعة التركيب فى لغته وبناء على ذلك فان تلك الأحكام وهذه الحدوس لاتعد من موضوعات علم اللغة الأساسية .

وقد يظن بعض الناس أن استخدام تشومسكى لمصطلح «الحدس» عند أبناء اللغة أو عند عالم اللغة باعتباره من أبناء اللغة التى يدرسها ، ينطوى على لون من ألوان التراخى فى تطبيق مبادىء الدقة والموضوعية التى تميز بها علم اللغة على يد بلومفيلد وغيره من أصحاب المناهج اللغوية الحديثة ، وهذا غير صحيح لأن تشومسكى لم يدع قط أن حدس المتكلم بلغة مايجب قبوله على الفور ، كما لم يدع أيضا أن حدوس المتكلم متساوية القيمة بحيث يعتمد عليها فى الدراسة والبحث دون تحقيق أو اختبار ، ولكن ما يدعو الى الجدل حقا ان تشومسكى عندما حدد أهداف النظرية اللغوية أعتمد على قبول حدوس معينة لعالم اللغة ومن ناحية المبدأ فاننا لانقبل جملة معينة لانها تعادل بعض الجمل الأخرى أو لاتعادلها أو بناء على درجة تعقيدها أو غير ذلك من المسائل التى تقع فى دائرة حدس ابن اللغة والتى يرى تشومسكى أنها لابد

أن تخضع لتجارب عملية للتحقق منهــا ، أو هكذا على الأقــل يوحى استعماله لهذا المصطلح •

ولقد اشترك تشومسكى وتعاون فى بدايــة عام ١٩٥٨ م مع عالم النفس جورج ميلر George Miller فى كتابة بحث عنوانه « اللغــة ذات الحالة المحدودة » Finit state language وفى عام ١٩٦٣م اشترطا مما أيضا فى كتابة فصلين من كتاب يسمى « دليل علم النفس الرياضى » Handbook of Mathmatical psychology كمــا انفرد تشومسكى بكتابــة فصل آخر فى هذا الكتاب •

وفى أحد الفصلين اللذين كتبهما تشومسكى بالاشتراك مــع ميلر تحت عنوان « النماذج المحــدودة لمستعملى اللغــة » Finit. models of language users.

يفصلان القول فيما يحتوى عليه النحو التحويــلى من العمليات الآلية النفسية التى تكمن وراء الأداء اللغوى وقد برهن تشومسكى على أن نموذج القواعد النحوية المحدودة عاجز عن توليد بعض الجمل التى توجد فى اللغة الانجليزية وكذا فى بعض اللغات الأخرى كما أشار أيضا الى أن أى نوع من الأداء اللغوى يقوم على فكرة الاشتقاق من اليسار الى اليمين left to right derivation غير جديرة بأى اهتمام •

وبناء على ذلك نستطيع استبعاد كل النظريات التى تتحدث عــن انتاج الكلام واستقباله حيث تفترض هذه النظريات أن احتمال ظهور كلمة معينة فى موضع معين من سلسلة كلامية معينة ، انمــا يتقرر أولا وأخيرا بناء على الكلمات التى تم اختيارها فى مواضع سابقة على هذه الكلمة ويبدو من الصعب تصديق ذلك لأن معنى هذا أننا اذا أردنــا أن نفسر الطريقة التى تم بها انتاج سلسلة كلامية مثل :

We have Just been runing

نقول ان المتكلم اختار أولا كلمه We من بين مجموعة من الكلمات

التى يحتمل ظهورها فى أوائل الجمل فى اللغة الانجليزية ، ثم بناء هذا الاختيار اختار كلمة have اذ هى الأخرى من الكلمات التى يحتمل وقوعها بعد we ثم بعد اختيار have,we اختار طبقا لفكرة الاحتمالات كلمة just وهكذا دواليك •

وسواء كان هذا مقبولا أو غير مقبول ، مع العلم بأن كلمة مقبول هنا لايمكن الاعتماد عليها — فان هذا التصور لعملية انتاج الكلام قد أثر فى عدد من الأبحاث النفسية بل لعله أيضا قد أثر فى الدراسات الأولى التى قام بها ميلر ، وقد برهن تشومسكى على أن هذا التصور مضلل برغم النظرية الاحصائية المعقدة التى يستند اليها •

أما النموذج الثانى الذى تناوله تشومسكى فقد كان نموذج القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة وقد رأينا فى الفصل السادس أن هناك عدة أنواع مختلفة من قواعد تركيب أركان الجملة يمكن بناءها طبقا للحدود والقيود التى تفرض على الطريقة التى تعمل بها هذه القواعد • وقد برهن تشومسكى على أن السياق الحر Free context فى استعمال قواعد تركيب أركان الجملة يعادل من حيث الطاقة التوليدية مايسمى بدفع المخزون الى أسفل push down storage الذى يتمثل فى نظرية التشغيل الذاتى automata theory وليس هناك ما يدعونا الى الدخول فى التفاصيل الفنية المعقده لهذه النظرية وانما سنكتفى بعرض فكرة عامة عنها لكى نضع بين يدى القارىء فكرة عن أوجه الأداء المختلفة التى تكشف عنها دراسة الخصائص المنطقية للغة بما لها من صلة بالطاقة التوليدية لنوع محدد من أنواع قواعد تركيب أركان الجملة •

حب أن الذاكرة الانسانية كما ذكرت قبلا لها طاقة محدودة وفى الوقت نفسه لها قدرة عظيمة على طرح ماهو مخزون فيها وأنها لاتعمل الا فى حدود معينة وطبقا لمبدأ الدفع الى أسفل push-down أى أن

الذي يدخل أخيرا يخــرج أولا last in frist cut معنى هذا أننــا نستطيع أن نستدعى ما اختزناه فى ذاكرتنا حديثا بكــل سهولة ويسر وسرعة أيضا وبناء على ذلك نستطيع أن نتصور أن الذاكرة [illegible] الأمد long - term memory أو الذاكره القوية قــد تحتوى عــلى كمية ضخمة من المعلومات التى تضم فيما تضم القواعد النحوية التى يعتمد عليها فى الكلام غير أننا سنكتفى هنا بنوع من الذاكرة يسميها علمــاء النفس بالذاكرة قصــيرة المدى short-term memory والتى تستخــدم عادة فى الاحتفاظ بأشياء لاصلة بينها مثل سفاسف الأمور والأشــياء وبعض المقاطع اللغوية وبعض الأرقام بشرط أن يكون ذلك قد حــدث دون تعلم أو حفظ وهنا سنجد أن لهــذا النوع من الذاكــرة ــ أعنى قصيرة المدى ــ طاقة محدودة على الاستيعاب وقــد حدد ميلر هــذه الطاقة طبقا لفرضية قدمها فى بحث مشهور له بعنوان « زائد سبعة أو ناقص اثنان » seven plus or minus tow وهناك كم من المعلومات وثيق الصلة بفرضية ميلر هذه تحتاج الى شرح ومناقشة :

هناك مثلا مايسمى بفرضية العمــق depth hypothesis التى درسها وطورها فيكتور ينجيف victor yugve فى أوائل الستينيات وكان « ينجيف » مهتما حينئذ بقضايا التحليل اللغوى ومشاكل تحليل التركيب النحوى بواسطة الحاسب الآلى •

ولنبدأ أولا بعرض مثال تجريدى abstract لقواعــد تركيب أركان الجملة يحتوى على عدد من القواعد المتكررة وذلك عــلى النحو التالى :

1, — A   B+C
2 — B   (B) + D
3 — B   E + (B)
4 — B   F + (B) + G
5 — C   [c, ...]
6 — D   [d, ...]
7 — E   [e, ...]
8 — F   [f, ...]
9 — G   [g, ...]

في هذا المثال نلاحظ أنني إتبعت قاعدة عامة في استخدام الحروف حيث تدل الحروف الكبيـرة Capital letters عـلى العناصر اللغويـة المساعدة auxiliary elements أما الحروف الصغيرة lower case letters فهي للدلالة على العناصر الدائمة termiual elements أو النهائيـة وبناء على ذلك سنلاحظ أيضا أن القواعد رقم (2),(3),(4) ، قواعد متكررة ولكن بطرق مختلفة فالقاعدة رقم (2) مثلا متكررة من اليسار أما القاعدة رقم (3) فهي متكررة من اليمين ، بينمـا القاعدة رقم (4) مندمجة Self - embedding والأشكال رقم (١٠) (١١) (١٢) الآتية توضح المقصود من هذه المصطلحات .

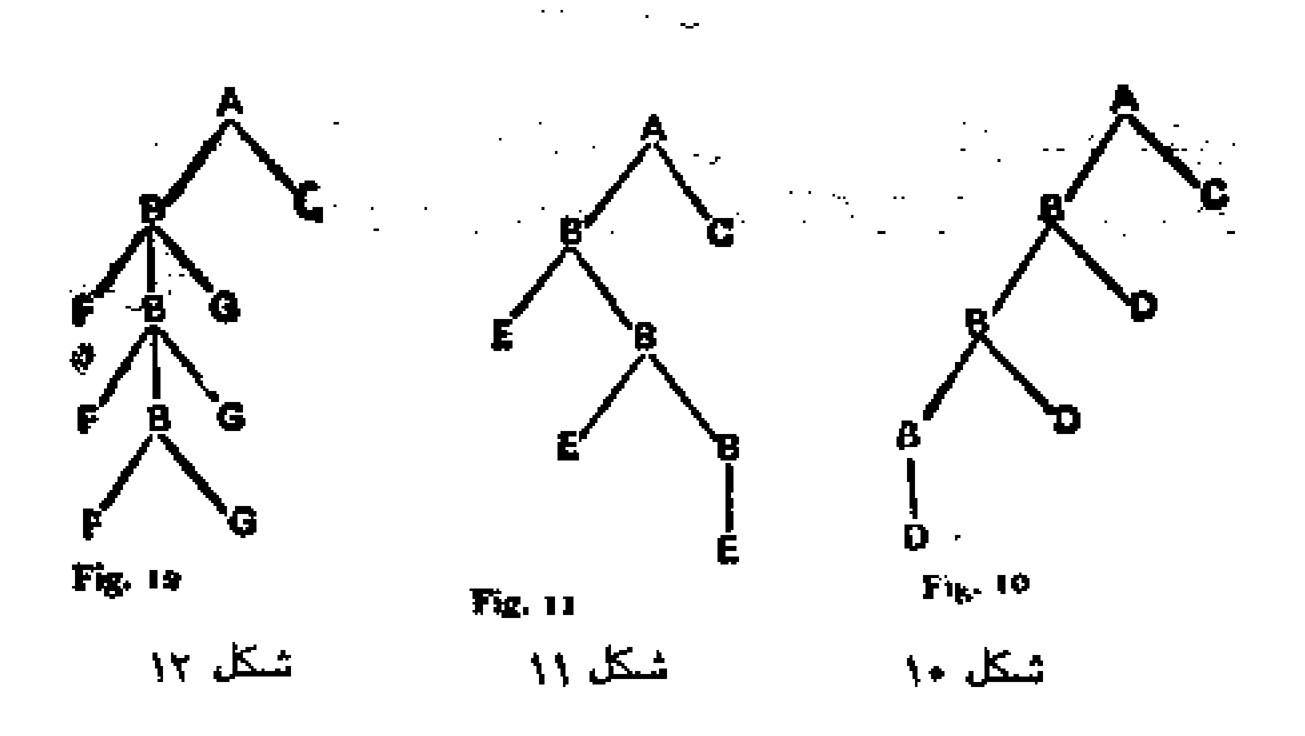


Fig. 12   Fig. 11   Fig. 10

شكل ١٢   شكل ١١   شكل ١٠

والآن نستطيع أن ننظر على ضوء هذا المثال الى فرضيه «ينجف» فسنجد أنها عبارة عن تراكيب متكررة من الناحية اليسرى وهى أيضا مضافة الى العمق أو بعبارة أخرى مضافة الى الجانب النفسى المعقـد من الجملة ، لأن التكرار من ناحية اليسار لايشبه مثله من ناحية اليمين اذ أنه — أ ى التكرار من ناحية اليسار — يدل على تزايد كمية الفراغ التى تحدث فى الذاكرة القصيرة المدى أثناء عملية تركيب الجملة بحيث اذا ماتجاوز عمق جملة ما ، المـدى الحرج critical limit للذاكـرة وهو المدى الذى يتحدد بقدرة الذاكرة القصيرة وطاقتها فانه من الصعب حينئذ استمرار مثل هذه الجملة أو المضى فى اتمامها •

ولذلك علل «يجيف» وجود القواعد التحويلية فى اللغة لأنها تساعد المتكلم على تحاشى العمق الزائد باستعماله تراكيب معادلة متفرعة مـن ناحية اليمين أكثر من استعماله تراكيب متفرعة من ناحية اليسار وذلك فى مراحل معينة من بناء الجمل وتركيبها ، كما هو واضح من الأشكال البيانية السابقة •

ومعنى هذا ، أن هذه الفرضية تتنبأ بأن عبارة مثل :

John's Friend's wife's Fathe's gardener's daughter's cat.

لابد أن تكون عبارة من الصعب المضى فيها بينما العبارة المعادلـة لها والمتفرعة من ناحية اليمين أقل صعوبة وهى :

The cat belenging to the daughier of the gardener of the wife of the friend of John.

ومن المؤكـد أن فرضيه العمـق كمـا صاغهـا ينجيـف yngve فرضية غير صحيحة لانهـا تفترض أن الجمـل تتكـون فى العقل الانسانى بالطريقة نفسها التى تتولد بها من خلال البرنامج الذى غذى به الحاسب الآلى ،بل انهذه الفرضية لم توضح كيف أن التراكيب المتفرغة من جهه اليسار من الصعب عـلى البشر القيام بها كما تقول الفرضية لأن اللغة الانجليزية مثلا بها هذا التنوع فى بناء الجمل سواء

بالتكرار من ناحية اليسار أو من ناحية اليمين ولعل الانجليزية تستعمل تلك الميزة لكى تتحاشى العمق الزائد كما زعم « ينجيف » ومــع ذلك فهناك لغات أخرى مثل التركية واليابانية يغلب عليها بناء الجمل طبقــا للتفريع من جهة اليسار بل لقد أضاف تشومسكى آراء أخرى غير ذلك عندما ناقش فرضية ينجيف هذه فقال ان التراكيب المتفرعة من جهــة اليسار وهى تراكيب مندمجة Self - embedding داخل التركيب الأصلى كما هو واضح من الشكل رقــم (١٢) أن هــذا النــوع من الجمــل هى السبب وراء تلك الصعوبــات ولكــن فكرة العــمق التى قــال بها ينجيف لاتستطيع على أى حال تفســير ذلك (١) ولكى نحدد مــا

---

(١) هذه النظرية التى يشير اليها المؤلف تحاول أن تفسر كيف تعمل الذاكرة عند تخليق جملة فى الذهن وخاصة الجمل المركبــة التى تحتوى على أكثر من جملة بسيطة وهى نظرية تلجأ الى التجريــد فى التعبير عن ذلك كما هو شائع فى الدراسات اللغويــة المعاصرة التى تعمل فى اطار النظرية التحويلية هذه نظرية تقوم كما يقول المؤلف علىأساس أن مايدخل الى الذاكرة أولا يخرج منها أخيرا والعكس صحيحومعنى هذا أنفىكل جملة دلائلمن الفاظها تستدعى كلمات أخرى تؤدى اليتركيب جمــل أخرى تندمــج فى الجملة الأصلية وهى تشبه عملية تداعى المعانى وهو يرمز الى الألفــاظ أو الجمل كما هو واضح من الرسم البيانى برموز مجردة حيث تضاف جملة جديدة الى الجملــة الأصلية وصولا الى نوع مــن التحديد وليس لمجرد تداعى المعنى وحده ويتخذ ذلك كله صورة تراكيب تتكرر سواء قبل الجملة الأصلية أو بعدها أو كمــا يقول سواء من ناحية اليمين أو اليمين اليسار ولكن لابد أن نلاحظ أن اليمين أو اليسار يتحددان بالنسبة للجملة النواة أو الجملة الأصلية فاذا قلت مثلا (زيد فى الدار) فهذه الجملة هى الجملة النواة أو الجملة الأصلية ولكن اذا قلت : (زيد فى الدار التى ورثها عن أبيه) فان جملة الصلة هى جملة ليست أصلية وانما جملة أخرى اندمجت مع الجملة الأصلية وسنلاحظ أن اللغة العربية غالبا مايتم الاندماج

المقصود بمصطلح « الجمل المندمجة » وتقـدم الجملة التالية كمثـال بسيط على ذلك :

The book the man left is on the table

فيها من ناحية اليسار دون اليمين وقد لفتت هذه الظاهرة أنظـار علماء العربية القدماء ـ أعنى اضافة الجمل الى الجملة الأصلية ـ فيما ذهب اليه ابن هشام من تقسيم الجمل الى جملة صغرى وجملة كبرى وهذا التقسيم هو ادراك واضح لفكرة الجملة النواة = أو الجملة الأصلية ومايضاف اليها بعد ذلك من جمل أخرى حتى تتحول الى جملة كبرى أو جملة مركبة وهو تقسيم الجملة الكبرى ذات وجه والى ذات وجهين ، ولكنه قبل ذلك يحدد الجملة النواة أو الجملة الأصل بغض النظر عن ما يزاد فيها من ناحية اليمين من الحروف ، فيقول عقب تعريفه الجملة الأصلية سواء أكانت فعلية أو اسميه «ومرادنا بصدد الجملة المسند أو المسند اليه فلا عبرة بما تقدم عليها من الحروف» «مغنى اللبيب ص ٣٧٦»وبعد تقسيمه الجملة الكبرى الى ذات وجه والى ذات وجهين نراه يتحدث عن الجمل التى لامحل لها من الأعراب « ص ٣٨٢ » ويحصيهـا فى سبع جمل ثم الجمل التى لها محل من الاعراب ويحصيها أيضـا فى سبع جمل « ص ٤١ » واللافت للنظر هنا أن ابن هشـام فيما يبدو يرى أن هذه الجمل سواء التى لامحل لهـا من الاعراب أو التى لها محل من الاعراب ، ماهى الا جمل مندمجـة فى الجملة الأصلية أى بعبارة أخرى أن هذه الجمل تشكل عمقا زائدا للجملة الأصلية وهنا نجد أن المعنى والأعراب معا يتدخلان فى تحديد هذا العمق عند نحاة العربية أما عند علماء النحو التحويلى فأن تطبيق القوانين أو القواعد التحويلية هى التى تحدد هـذا العمق ولكن نحاة العربية وعلماء النحو التحويليين يتفقون على أن لهذا العمق حدا يقف عنده فيما أشار اليه ابن هشام بعدد الجمل التى يجوز الاعتراض بها وحصرها فيما بين جملتين الى سبع جمل كما جـاء ذلك عن الزمخشرى فى تفسيره لسورة الأعراف (مغنى اللبيب ص ٣٩٤) ولكن هذا الحد للعمق يختص فيما يبدو بالجمل المعترضة وليس حدا مطلقا لأن الجملة وهى تتحلق شيئا فشيئا اعتمادا على

الجملة نجد الجملة الآتيـة : The man left the book أو بعبارة أكثر دقة أن هذه الجملة هى السلسلة العميقة للجملـة الأولى وهـى مندمجة فى وسط الجملة The book is on the table ولكنها خضعت لعدة عمليات مختلفة منها مثلا حذف عبارة the book من جملـة الصلة المندمجة ونتيجة لذلك حصلنا على جملة مركبة مقبولة تماما غـير أننا لو حاولنا أن ندمج بعد ذلك جملة أخرى فى وسط جملـة الصلـة التى هى أصلا جملة مندمجة بحيث تصبح لدينا جملة مثل :

The book the man the gardener saw left is on the table.

فسنجد أن قبول هذه الجملة أو عدم قبولها يحتاج الى مناقشة ٠

ومثل ذلك أيضا اذا ما حولنا ادماج جمل داخل جملة : the gardener saw بحيث تنتهى الجملة التى بدأنا بها على الصورة التالية :

The book the man the gardener I emploxyed yssterday saw left is on the table.

ومن المؤكد أننا سنقول أن هذا الناتج غير مقبول لأن هذه الجمل برغم البساطة المنطقية التى تتم بها عملية الاندماج الا أننا لانستطيع أن ننكر الصعوبة الواضحـة التى تتسم بهـا عمليتا انتـاج الكلام

المخزون فى الذاكرة سواء كانت الذاكرة طويلة المـدى أو قصيرة المدى تختلف من شخص الى شخص بل من لغة الى لغة طبقا = = للطاقة التركيبية لهذه اللغة فى ادماج جمل أخرى سواء من اليسار أو من اليمين ٠

وهى عملية ذات أبعاد لغوية تتصـل بثقافة المتكلـم اللغوية وقدرته وتحكمه فى التراكيب كما تتصل بعمليات نفسية وشعورية ولذلك يختلف طول الجملة وطريقة تكوينها من متكلم الى آخر ومن كاتب الى كاتب ولاشك ان لدراسة المقارنة بين لغة الكتاب قديما وحديثا أيضا تثبت هذا التفاوت والاختلاف فى طول الجمل وقصرها وقد يرجع الاختلاف الى طبيعة الموضوع وقدرة الكاتب اللغوية وأظن أن علم الأسلوب يستطيع أن يقدم فى هذا الصدد خدمـة لغوية جليلة ثم على ضوء هذه الدراسـات نستطيع أن نقـوم بالوصف والتفسير لمثل هذه الظاهرة ٠ (المترجم)

واستقباله فى مثل هذه الحالات ، وتفسير ذلك لايمكن أن يعزى بكل بساطة — كما يقول تشومسكى — الى وجود حدود فاصلة تقف عندها قدرة الذاكرة القصيرة المدى برغم أن ذلك يمكن أن يعتبر من العوامل المؤثرة بلا شك الا أن طبيعة التراكيب المندمجة — كما يقول تشومسكى أيضا — تحتوى على قدر من الصعوبة عند اجرائها أكثر من التراكيب الأخرى المشتقة بواسطة ادماج عنصر واحد فى وسط الجملة أو تلك التى يدمج فيها هذا العنصر على يسار أو يمين سلسلة الكلام وأيا كان الأمر فاننا نستطيع أن نفسر الطريقة التى تتولد بها مثل هذه التراكيب بالقاعدة الآتية : X → V + (y) + W

حيث — يمثل الرمزان (W) (V) سلسلتين لعنصر واحد أو أكثر تكون (W) هى العنصر المخزون مؤقتا temparary storege فى الوقت الذى تجرى فيه عملية انتاج العنصر (y) ، وأما العنصر المندمج embedding فيظهر حينما تتوافر للقاعدة خصائص أكثر دقه وتحديدا كأن يصبح العنصر (X)، له نفس القيمة التى للعنصر (y) ، كما فى القاعدة رقم (4) من القواعد التى ذكرناها من قبل . وبظهور هذا التطابق فى القيمة بين العنصرين (X) و (y) يضاف لون من التعقيد من حيث انتاج الكلام وفهمه و فى هذا الصدد قدم تشومسكى وميلر نظرية مناسبة لتفسير هذا التعقيد وهى أن الناحية النفسية الآلية العميقة ليست قادرة أولا تقدر الا بصعوبة بالغة على استبعاد عملية معينة تكون موجودة فعلا وسط عملية أخرى يراد استبعادها أيضا .

غير أن الأبحاث العلمية المعاصرة قد أثبتت أن كلا من نظرية « العمق » عند يتجيف ونظرية « الاندماج » عند تشومسكى ليستا كافيتين لتفسير تلك الظاهرة ولكن من أهم النتائج التى أسفرت عنها نظريتا تشومسكى وينجيف أن البحث فى الخصائص المنطقية للغة بما لها من صلة بالافكار المستقاة من نموذج النحو التحويلى يحتوى على عدة جوانب معقدة تتصل بدراسة العمليات النفسية الآلية التى تختفى

وراء الأداء اللغوى وهو ما أدركه علماء النفس تماما ، يدل على ذلك تعاون جورجى ميلر مع تشومسكى منذ أواخر الخمسينات لدراسة تلك الجوانب كما أشرنا الى ذلك من قبل ومكانة ميلر وشهرته كعالم من علماء النفس لاتقل عن شهرة تشومسكى ومكانته ومن ثم فليس فى وسع المرء الا أن يقبل فى النهاية مايصدر عنهما اذ أن كلا منهما مجدد بل ثورى فى نظرته الى اللغة •

وكان من نتائج هذا التعاون الخلاق بين علم النفس وعلم اللغة أن شهدت السنوات الأولى من العقد السادس من هذا القرن مولد فرع جديد من فروع علم اللغة هو علم اللغة النفسى psycholrgustgs الذى أخذ فى النمو والتطور منذ ذلك الوقت ومع ذلك فان اهتمام علماء النفس باللغة اهتمام قديم فنحن نعلم أن مدرسة بلومفيلد اللغوية قد تأثرت بعلماء النفس السلوكيين •

ولكن مصطلح علم اللغة النفسى عندما استخدم لأول مرة كان يستخدم للدلالة على مزيج غير محدد المعالم من علم النفس وعلم اللغة بل لقد ظن بعضهم لفترة غير قصيرة أن نظرية المعلومات لها تأثير قوى على هذا المزيج العلمى والحقيقة أن علم اللغة النفسى يختلف عن ذلك تماما — على الأقل فى أيامنا هذه — سواء نظرنا اليه على أنه فرع من فروع علم النفس أو فرع من فروع علم اللغة أو هو هجين من العلمين معا فان ذلك لن يقلل من أهمية هذا العلم بل أن هذا الأمر يأتى فى مرتبة ثانية • ولعل أهم مايمتاز به علم اللغة النفسى عن الدراسات النفسية القديمة للغة هو تلك الرابطة القوية التى تربط علم النفس بعلم اللغة فيما يمكن أن نطلق عليه بحق فرع جديد من فروع المعرفة ، ويرجع الفضل أولا وأخيرا فى خلق هذا الفرع الى أفكار تشومسكى ونظرياته الثورية التى وطدت أركانه وأعلت من بنيانه ولاعجب فى ذلك لأن كثيرا من الأفكار التى يمتاز بها علم النفس كانت فى الأصل مطروحة لكى تفسر بعض الجوانب النفسية فى النحو

التحويلي • وقد رأينا في الفصل السابع من هذا الكتاب ، كيف اعتمد تشومسكي على القواعد التحويلية الاختيارية لتفسير العلاقة المتبادلة بين الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية للمجهول وكذا العلاقة بين الجمل المثبتة والجمل المنفية وبين الجملة الاستفهامية والجمل الخبرية كما درسنا بالتفصيل العلاقة بين الجمل المبنية للمجهول والمبنية للمعلوم •

وبناء على تلك الدراسة وذاك التحليل فان الجمل الأصلية أو الجمل البسيطة مثل الجمل المثبتة والخبرية والمبنية للمعلوم تشبه الجملة الآتية John was reading a book

وهي جمل أكثر بساطة من الجمل غير الأصلية non - Kernel من حيث عدد القواعد التحويلية التي تطبق عليها وكان ذلك حريا بالتسليم بأن الجمل الأصلية ليست بسيطة من الناحية اللغوية فحسب وانما من الناحية النفسية أيضا ومن ثم افتراض تشومسكي علاقة وثيقة ومتبادلة بين القدرة اللغوية والأداء اللغوي وذلك للقيام بتجارب أجريت لاختبار صحة العمليات التحويلية نفسيا غير أن النتائج الأولى لبعض من هذه يمكن تذكرها بسهولة عن الجمل المبنية للمجهول وأن الجمل المثبتة أكثر سهولة من الجمل المنفية بل لعله من المدهش حقا أن احدى التجارب قد أجريت لقياس الزمن الذي تستغرقه الاستجابة لأنواع مختلفة من الجمل فأثبتت هذه التجربة أن الزمن الذي يستغرقه رد الفعل بالنسبة الجمل المبنية للمجهول والجمل المنفية أطول وأن الزمن الذي يستغرقه رد الفعل لجمل متناظرة مثل الجملة المثبتة المبنية للمعلوم والجمل المنفية المبنية للمجهول يساوي محصلة الزمن المستغرق في رد الفعل للجمل المثبتة المبنية للمعلوم والجمل المثبتة المبنية للمجهول من ناحية والجمل المثبتة المبنية للمعلوم والمنفية المبنية للمعلوم من ناحية أخرى • وهو مايمكن أن نثبت به الفرض الذي يقول ان عملية بناء الجمل التي تحتوي على مجموعة من العمليات التحويلية تحتاج كل عملية منها الى زمن ثابت للقيام بها •

والحقيقة أن هذه التجارب لم تكلل بالنجاح لأنها أغفلت عدة عوامل هامة فنحن عندما نصف الاختلاف بين الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية للمجهول فى اللغة الانجليزية مثلا نجد أن بعضا من هذه الجمل مألوف وطبيعى أكثر من البعض الآخر ويتوقف ذلك على نوع الأسماء التى تقوم بوظيفة المسند اليه أو المفعول به وعما اذا كانت معرفة أم نكرة أو اذا كانت تدل على انسان أم على جماد أو أى كائن حى .. الخ مثال ذلك الجملة :

John is reading a book.

نجدها جملة مألوفه وطبيعية أكثر من جملة مثل :

A book was being reading by John.

كما نجد أيضا أن جملة مبنية للمجهول مثل :

John was hit by a car.

جملة طبيعية ومألوفة أيضا أكثر من نظريتها المبنية للمعلوم :

A car hit John.

ومعنى هذا أن الجمل المبنية للمعلوم وما يناظرها من الجمل المبنية للمجهول اذا لم تكن طبيعية ومألوفة بالدرجة نفسها عند اخضاعها للتجارب التى أشرنا اليها من قبل فان المرء لايستطيع الحكم على مصدر التعقيد النفسى ومداه فى مثل هذه الجمل بالاضافة الى عامل آخر قد يلعب دورا فى ذلك وهو الاختلاف فى طول كل من الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية للمجهول . ومعنى هذا أيضا أن أى تجربة أجريت لاختبار صحة أى نموذج نحوى grammatical model من الناحية النفسية لابد لها أن تتحكم بكل دقة ووضوح فى كافة العوامل التى تتصل بتنوع الأداء اللغوى وتلك التى يحتمل أيضا أن يكون لها دخل فى ذلك قدر الطاقة وهو ما أدركه فى منتصف الستينات علماء النفس الذين عملوا فى ميادين البحث اللغوى المتصلة اتصالا مباشرا بالنحو التحويلى .

ومع ذلك فلم يفطن التشومسكيون من أدخلوا تعديـلات مبكرة على النحو التحويلى الى حقيقة المنهج الذى قدمه تشومسكى فى كتابه « المظاهر » وهو ما أفاد منه علماء النفس وعلم اللغـة النفسى فوائد جمة فقد كان هذا المنهج منهجا شاملا ومترابطا ترابطا واضحا بل لعل أهم من ذلك كله أنه قدم تصورا دقيقا لعمليات التفسير الدلالى مـن الوجهه النفسية ، واذا كان علم اللغة النظرى قادرا على تحقيق بعض النتائج من خلال دراسته للغات الانسانية على أنها مجرد نظم منطقية فان علم اللغة النفسى ليس بقادر على ذلك ، اذ قد ثبت بوضوح ،ومنذ البدايات الأولى لعلم النفس أن هناك علاقة متبادلة بين درجة التعقيد التحويلى وبين درجة التعقيد النفسى بالمعنى الذى انتهت اليه التجارب المنضبطة فى ذلك ، بل لقد أصبح من الصعب بل من المستحيل الفصل بين العملية النحوية والعملية الدلالية وحتى اذا كان هناك قدر من الاتفاق ضئيل حول وجود نوع من التميز والانفصـال بين هاتـين العمليتين النفسيتين ، فان ذلك ليس بكاف لكى نفترض أن ادراك أى قول وفهمه يتوقفان على التحليل النحوى الكامل له دون التحليل الدلالى ولعل مـن الأفضل صدد هذا أن نفترض أن السامع يتعامل مع عدة أهداف ادراكية، فالتركيب السطحى اذا ما جردناه من المستوى الصوتى فـان الرسالة تتمحض للتركيب العميق للجملة المنطوقة كما أشار الى ذلك تشومسكى فى كتابه « المظاهـر » Aspects أما المرحلة الثانيـة التى امتاز بهـا التشومسكيون فى حقل علم اللغة النفسى فتتمثل فى كلفهم الزائد بعلم الدلالة واعترافهم بأهمية الاعتماد على أكبر قدر من المعلومات السياقية والصوتية التى قد ينوء بها السامع أثناء عمله الشاق فى تفسير الكلام وادراكه والحق ان عمليتى انتـاج الكلام وادراكـه عمليتان منظمتان مؤقتا غير أنهما تخضعان لبعض التعديـلات فى مراحـل مختلفـة قبل أن تصـلا الى الاكتمـال وهى حقيقـة حسمتهـا نظريـة المعلومات وهى فى أوج أيامها منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة خلت وأعترف بأهميتها التشومسكيـون مرة أخـرى ومـع ذلك فاننا لانستطيع أن نتصور أن عمليتى انتاج الكلام وادراكه يمكن تفسيرهما

طبقا لنموذج الحالة النحوية المحدود الذى يعمل وفق اختيار كلمة بعد أخرى من اليسار الى اليمين حيث يقتصر عمل هذا النموذج على بيان المواضع التى يحتمل أن تقع فيها الكلمات (أنظر الفصل الخامس) •

ومعنى هذا أن التحليل النحوى الكامل لمثل هذه الكلمات الداخلة الواحدة تلو الأخرى ليس ضروريا وقد بات واضحا الآن أن الخطط الكاشفة عن الطريقة التى يعمل بها هذا النموذج ذو الاتجاه الواحد لابد أن تكون قادرة على معرفة العلاقة المتبادلة بين التركيب النحوى والقواعد التحويلية — كما ذكرها تشومسكى فى كتابه « المظاهر » — ومستوى التركيب العميق الذى يتعامل معه •

وقد أجريت عدة تجارب حول ذلك خلال المرحلة الثانية من مراحل البحث فى علم اللغة النفسى التى قام بها التشومسكيون ، حاولوا فيها الكشف عن حقيقة الجانب النفسى فى النظرية الأصيلة التى قدمها تشومسكى عن البنى العميقة والتى لم تكن قد حسمت بعد ، كما أجريت تجارب أخرى صممت خصيصا للكشف عن صحة ما ادعته هذه النظرية من وجود ملامح دلالية كلية universsal توحى بها الكلمات • وبذلك نصل الى مايسمى قلب المرحلة الثالثة من مراحل البحث فى علم اللغة النفسى سواء عند التشومسكيون أو اتباعهم •

وقد رأينا فى الفصل السابق أن هناك عدة نماذج models واضحة ومتنافسة أيضا للنحو التحويلى ، لكى يختار منها علم اللغة النفسى ما يناسبه ، الا انها جميعا لم تتطور التطور المفصل الكافى بعد ، لكى يتخذ هذا العلم من احداها أساسا متينا لصياغة نظرية عامة له ومن الحق أن نقرر أن معظم العلماء الذين يعملون فى حقل علم اللغة النفسى يدركون أن النموذج التوليدى النهائى شىء لم يولد بعد ، واذا حدث ذلك فلن يكون فى المستقبل القريب ومن ثم فآراؤهم فى هذا الحقل أقرب الى الانتقاء والاختيار من بين النماذج التحويلية المختلفة

وهو مايثير اهتمام وخيال علماء اللغة النظريين ، و كل هذا يرجع الفضل فيه الى تشومسكي الذى ألح كثيرا على العلاقــة المعقدة القائمــة بين القدرة النحوية grammatical competence وأداء اللغة Language preformance

ولعل من أهم وأخصب ميادين علم اللغة النفسى التى عمل فيهـا التشومسكيون وأتباعهـم هـو دراسـتهم لكسب الطفـل اللغـة child language acquisition وذلك طـول الخمســ عشرة سنــة الماضية (١) •

---

(١) اهتم علماء النفس وبعض علماء اللغة بدراسة اكتساب الطـفل اللغة منذ نهاية القرن الماضى وحتى منتصف القرن الحالى حيث زاد اهتمام علماء اللغة بدراسة اللغة عند الطفل غير أن كثيرا من دراسات علماء اللغة وقفت عند حـدود الدعوة النظرية ووضــع الأسس العامة فى هذه الدراسة بحيث تخرج فى النهاية دراســة لغوية خالصة ، كما اهتم علماء علم اللغــة الاجتماعى بدراســة جانب آخر من جوانب اللغة عند الطفل فيما يعرف باسم كــلام الأطفال أو لغة الأطفال وهم يقصدون بذلك الطريقة التى يتحدث بها الكبار مع الأطفال بلغة ذات سمات صوتية وصرفيــة ونحوية متميزة • غير أن ظاهرة اكتساب الطفل اللغة ونحوها عبر مراحل مختلفة هى الآن كما يقول المؤلف تشكل جانبا هامـا من جوانب علم اللغة النفسى •

والواقع أن ظاهرة اكتساب الطفل اللغة ليست مشكلــة لغوية خالصة بل تصحبها عوامل عقلية ونفسية واجتماعية تؤثر بلا شك فى عملية النمو اللغوى وليس مــن العلم فى شىء تجاهــل تلك العوامل أو الغض من شأنها ، ومن هنــا تأتى أهمية النظريــة اللغوية التى وضعها تشومسكى والتى ربطت ومزجت بين هــذه العوامل جميعا لتعطى فى النهاية تفسيرا علميا لهذه الظاهرة مــن حيث ارتباطها بالقوى النفسية والعقلية عند الطفل،وهذه النظرية =

ومن الصعب بل من المستحيل أن نلخص فى هذا المقام النتائج التى أسفرت عنها هذه الدراسات ، ناهيك بالاختلافات النظرية التى وجهتها

= هى التى دعمت هذا الفرع من فروع علم اللغة ، أعنى علم اللغة النفسى ،وقد قدمت هذه النظرية التفسير العلمى المقبول حتى الآن لقدرة الطفل اللغوية ،وخاصة فيما يتصل باكتساب التراكيب النحوية حيث رفض تشومسكى فكرة التقليد التى سلم بها معظم علماء النفس وعلماء اللغة أيضا ونادى بالملكة الفطرية التى تمكن الطفل من اكتساب النظام اللغوى وبخاصة الجانب النحوى والتركيبى منه .

وفى العالم العربى بدأ الاهتمام بدراسة اكتساب الطفل اللغة منذ الثلاثينات من القرن الحالى حيث كتبت منذ ذلك الحين دراسات مختلفة معظمها يتبنى وجهة النظر النفسية التى اعتمد عليها علماء الغرب منذ نهاية القرن الماضى وحتى أوائل القرن الحالى ، ومع ذلك لم تخل هذه الدراسات العربية من دراسات تتبنى وجهة النظر اللغوية ولكن الملاحظ على هذه الدراسات جميعا أنها لم تصل حتى الآن لدراسة متكاملة عن اكتساب الطفل العربى للغة العربية وان لم تخل بعض هذه الدراسات العامة من مثال أو مثالين عن سلوك الطفل العربى اللغوى ، من هذه الدراسات :

١ — خلف الله أحمد ، الطفل من المهد الى الرشد (١٩٣٧) م

٢ — . د عبد العزيز القوصى ، اللغة والفكر (١٩٤٦م)(١٩٥٤) م

٣ — ترجمة د . أحمد عزت راجح لكتاب جان بياجيه ، اللغة والفكر عند الطفل (١٩٥٤) م .

٤ — د . صالح الشماع ، اللغة عند الطفل من الميلاد حتى السادسة (١٩٥٥) .

٥ — د . على عبد الواحد وافى ، نشأة اللغة عند الانسان والطفل (١٩٤٧) بالاضافة الى اشارات أخرى فى كتابيه ، علم =

ومع ذلك فهناك رؤية عامة للموضوع ينبغى ذكرها فيما يتصل بالنظرة الفلسفية للفطرة nativism على وجه الخصوص ، وهو ما سنتناوله فى الجزء الباقى من هذا الفصل تفصيلا •

وبادىء ذى بدء أقول ان الدليل الواضح الذى توصل المشتغلون فى حقل اكتساب الطفل اللغة والذى يفسر قدرة الطفل على اكتساب اللغة يتسق مع نظرة تشومسكى الى الفطرة ولكن ذلك لايعنى تأييدا مطلقا لنظرة تشومسكى هذه ذلك لأن جميع الأطفال — فيما يبدو — يمرون بعدة مراحل متساوية تقريبا فى تعلم Learning لغتهم الوطنية native language أو كما يفضل المتخصصون اكتساب لغتهم القومية • وهذه المراحل هى :

(١) مرحلة البأبأة babbing stage .

(٢) مرحلة الكلمة الجملة holoprastic stage

(٣) مرحلة الكلمتين two-word stage •••• وهكذا

وهذا ليس بجديد فى ذاته ، كما يتفق مع معظم النظريات والفروض التى يمكن أن نتصورها حول اكتساب اللغة عند الطفل ، غير أن الأمر الهام فى ذلك ، أن كل مرحلة من مراحل اكتساب اللغة عند جميع الأطفال تمتاز بأن ماينطقون به يتشابه ويتماثل فى التركيب بغض النظر عن العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية التى يدرجون فيها ، وأهم من ذلك كله وبغض النظر عن اللغة التى يسمعونها فان ذلك قد يغرى بعض الناس بأن يروا فى ذلك دليلا كافيا على أن

= اللغة (١٩٤٤) م واللغة والمجتمع (١٩٤٦) م
٦ — د محمود السعران ، اللغة والمجتمع (١٩٥٧) م
هذا غير اشارات أخرى كثيرة فى الكتب التى صدرت فى علم اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع • (المترجم)

جميع الأطفال — كما تذهب بعض النظريات — يولدون مزودين بجهاز لاكتساب اللغة (LAD) language acquistion device يحتوى على المعرفة الوراثية المنقولة اليه والتى يسميها تشومسكى المنطقية Formal أو الأصول الكلية الثابتــة substantive universal الا أننـا نجـد تفسيرات أخرى لذلك .

أحدها هو عدم وجود جهاز device خاص لاكتساب اللغة بالمعنى الدقيق لكلمة جهاز ، أى لايوجد جهاز بيولوجى خاص لعملية اكتسـاب اللغة بحيث يطرد وجوده فى الجنس البشرى وينفرد به ، وانما يولد الطفل مزوداً بنظام محدد من الاجراءات لحل بعض المشكلات وهـذا النظام يختص به الجنس البشرى مع تصور بيولوجى معين فى نضـج هذا النظام ونموه ، ولكن مع تطور بعض الأدوات النفسية psychological equipments كالذاكرة memory مثلا يبدأ هذا النظام فى نشاطه فى اكتساب اللغة ، وبرغم وجاهة هـذا التصور الا أنه مـازال يجرى فى حلبة نظرية الفطرة التى نادى بها تشومسكى وان لم يتطابق معها .

وبناء على ذلك نستطيع القول بأن التقويـم evolution الأمين للنتائج التى توصل اليها العلماء فى دراسة اكتساب اللغة عند الطفـل لاتؤدى الى دحض أو اثبات وجود جهاز وراثى لاكتساب اللغة مـن النوع الذى أشار اليه تشومسكى فى كتابه « المظاهر » وكذا فى بعض أعماله الأخرى .

بقيت نقطة أخيرة لابد لنا من ايضاحهـا بصدد هذا ، وهـى أن تشومسكى — كما رأينا فى الفصل الثامن — لم يورط نفســه أبدا فى القول بنظرية الأصول الكلية ، حقا هناك فقرات كثيرة من كتاباته قـد تشير الى أن فكرة الأصول الكلية قد داعبــت خياله أو وقــع أسيرها أحيانا لفترة محدودة إلا أنه كان دائما يقيم فكرته حول الفطـرة على أسس مختلفة عن نظرية الكلية التقليدية ولنا عودة الى ذلك فى الفصل

القادم ، يكفى أن نقرر هنا أن فكرة تشومسكى عن الفطـرة كانت تستند تجريبيا على السرعة التى يحقق بها الطفل اكتساب اللغة والتـى اعتمد فيها الطفل علىمادة علمية غير دقيقة ولذلك فان معظم المشتغلين بعلم اللغة النفسى ينظرون اليها الآن على أنها أقل قيمة وأكثر ضعفـا عما كانت عليه عندما قدمها تشومسكى فى منتصف الستينات لأول مرة • لأن عملية اكتساب اللغة عند الطفل تستمر عدة سنوات ، والكلام الذى يسمعه من حوله قد لايحتوى على أمثلة كثيرة للتراكيب غير النحوية — كما أشار تشومسكى الى ذلك — وسواء كـان ذلك صحيحـا أم غير صحيح ، الا أن ذلك جعل كثيرا من علماء علم اللغة النفسى يشـعرون بأن اكتساب اللغة عملية أقل غموضا وقابلة للتفسير فى اطار من نمـو القدرات الترابطية العامة للطفل •

ومهما يكن من أمر ، فان تأثير تشومسكى فى دراسة اكتساب اللغة لم يعد قويا الآن أو على الأقل لم يعد مباشرا كما كان فى المرحلة الثانية من مراحل البحث فى حقل علم اللغة النفسى ، اذ لم يعد العلماء الآن يلتفتون كثيرا الى فكرة اكتساب القدرة النحوية المجردة ولكنهم رغم ذلك لم يستطعوا التغافل عن اكتساب كل ماهو منهجى وموح بأفكـار لها قيمتها فيما قدمه وكتبه تشومسكى فى كتابه « المظاهر » تحت مصطلح الأداء performmance

واذا كان تأثير تشومسكى فى مسار علم اللغة النفسى الآن أقـل وضوحا عما كان عليه من قبل فان مرد ذلك الى أن معظم علماء عـلم اللغة النفسى قد سلموا له بالمبادىء الأساسية التى آثارها عندما هاجم لأول مرة المنهج السلوكى فى دراسة اللغة لزيف أدلته العلمية وفشـله فى الوصول الىنتائج حاسمة للمشكلات الأساسية فى علاقة اللغة بعلم النفس •

الفصـــل العاشر

فلســـفة اللغـــة والعقــل

ننتقل الآن من الجانب النفســى الى الجانب الفلســفى للنحــو التحويلى ، ولابد لى أن أنوه أولا بأن الفصل بين هــذين الجانبين — كما ذكرت فى أول الفصل الماضى — انما هــو فصل تعسفى arbitrary وخاصة فيما يتصل بتشومسكى الذى يرى أن علم اللغة وعلم النفس والفلسفة لاينبغى النظر اليها بعد الآن على أنها علوم مستقلة ومنفصلة بعضها عن بعض .

بل أن تشومسكى يرى أن علم اللغة قادر على أن يسهم اسهامــا حقيقيا فى دراسة ومعرفة طبيعة العقل البشرى . ومازال هذا العــلم يقدم الدليل تلو الآخر على دوره من خلال الصراع الطويل الأمد الذى قام بين العقلانيين والتجريبيين ، والخلاف الحاد بين هذين المذهبين هو أن العقلانيين يدعون أن العقل أو العلة هما المصدر الأساسى للمعرفــة الانسانية بينما يذهب التجريبيون الى أن المصدر الأساسى للمعرفة هو التجربة ، وقد اشتق اسم هذا المذهب من كلمة يونانية قديمــة بمعنى التجربة ، ومن ثم أصبح مصطلح empricism يدل على هذا المذهب التجريبى .

وبرغم حدة هذا الخلاف بين المذهبين الا أن هناك أوجه خلاف أقل حدة من ذلك حيث أخذ الجدل بين المذهبين على مدى تاريخ الفلسفة الغربية صورا وأشكالا متنوعة فقد كان الخلاف بينهما طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثم بين عدد لابأس به من فلاسفة أوروبــا وأمريكا فيما بعد ظل هذا الخلاف يدور حول العلاقة بين العقل وادراك العالم الخارجى ، هذا اذا كان ثمة شىء اسمه العقــل لأن التجريبيين ينكرون وجوده ولكن هــل الأمر هو مجــرد تسجيل سلبى لمشــاعر

انطباعية ومايتصل بها من ارتباطات فيما يسمى بقوانين الترابط كما يدعى ذلك بعض التجريبين الانجليز أمثال لوك Locke وبركلى Berkely وهيوم Hume ، أم أن الأمر كما يذهب بعض الفلاسفة أمثال ديكارت • الذي يرى أن فهم العالم الخارجي وادراكه يقوم على عدد من الأفكار أي معرفة قضايا ومبادىء فطرية innate وليست وليدة التجربة •

وأيا كان الأمر ، فالذى لاشك فيه أن المذهب التجريبي قد أثر تأثيرا قويا في تطور علم النفس الحديث ولكن عندما امتزج هذا المذهب بالمذهبين الطبيعي (الفيزيائي) physicalism والحتمي determinism كان هذا الامتزاج سببا في اعتقاد كثير من علماء النفس في أن المعرفة الانسانية والسلوك الانساني انما تحددهما البيئة كلية ، ولايوجد فرق جوهرى في هذا بين الانسان والحيوان أو بين الحيوان والآلة •

وأنا أقصد بالمذهب الطبيعي (الفيزيائي) هنا المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل الأقوال التي تعبر عن أفكار أي انسان أو عواطفه أو مشاعره من الممكن إعادة صياغتها في ضوء حالته الجسمية وسلوكه ومن ثم يمكن اخضاعها للقوانين الطبيعية •

أما المذهب الحتمي فأنا أقصد به ذلك المذهب الذي يرى أن الظواهر والأحداث والأفعال والقرارات التي تصدر عن الانسان والتي يظن أنها نتيجة الاختيار أو وليدة الارادة الحرة ، انما هي أمور قد تحددت سلفا بأحداث وظواهر أخرى وأنها جميعا تخضع لقوانين نسبية ومن ثم فان مانسميه الحرية أو الاختيار انما هو وهم وخداع للنفس •

المذهب السلوكي الذي أشرت اليه في الفصل الثالث من هذا هذا الكتاب عندما كنا نعرض لنظرية بلومفيلد في اللغة ماهو الا صورة من المذهبين الطبيعي والحتمي •

أما تشومسكى فرأيه فى الانسان يختلف عن هذا كله ، فهو يعتقد أن الانسان قد وهب عدة ملكات محددة أطلقنا عليها اسم العقل .

وهذا العقل أو تلك القدرات تقوم بدور حاسم فى اكتسابنا للمعرفة ، كما تمكننا من القيا مبدور مستقل عن أى عامل خارجى فى البيئة المحيطة بنا ، أى أننا لا نتأثر بهذه البيئة حتما ، وقد شغل تشومسكى بهذه القضايا فى كتاباته الفلسفية وبخاصة فى كتبه الآتية :

١ — علم اللغة الديكارتى . Cartesian linguistics

٢ — اللغة والعقل . language and mind

٣ — مشكلات المعرفة والحرية problems of knowledge and froeedom

ولكن قبل الخوض فى لجة هذه الأفكار لابد لى من أن أناقش أولا الحجة اللغوية التى استند اليها تشومسكى فى بناء فلسفته العقلية .

نحن نعلم أن علم اللغة — كما قدمه بلومفيلد — كان شيئا يسترعى الانتباه ، بل كان فى بعض الأحيان يتيه بنفسه الا أنه — رغم ذلك — لم يلق بالا الى القضايا النظرية العامة بحيث أننا لو سألنا معظم علماء اللغة الأمريكيين وغيرهم من علماء اللغة فى بعض أرجاء الدنيا منذ خمس عشرة سنة ، لو سألنا هؤلاء جميعا ما الهدف الأساسى لعلم اللغة لأجابوا جميعا « وصف ودراسة اللغة » ، وربما أشاروا فى اجاباتهم الى المزايا العملية لهذه الدراسة بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا والمبشرين وآخرين تقضى أعمالهم الاتصال بأمم وشعوب تتكلم لغات لم تدون قواعدها أبدا ، ثم ينفضون أيديهم عند هذا الحد من الأمر كله .

ولكن قلة من هؤلاء العلماء ربما أجابت بما أجاب به ادوارد سابير E. Sapir على مثل هذا السؤال فى كتابه «اللغة» . الذى نشره منذ

جيل مضى وهو أن اللغة تستحق الدراسة لأن الانسان يمتاز بها دون سائر الخلق ولأنها لازمة للفكر ولا غنى له عنها • وقد يستعمل بعضهم كلمة اللغة فى صيغة المفرد وهم يقصدون اللغات متجاوزين بذلك خصائص استعمال الكلمة كما فعلت أنا الآن ، لأن هذا الاستعمال يوحى بأن هناك شيئا مشتركا بين جميع اللغات وان كان علماء اللغة السلوكيون يرتابون فى ذلك ، بل لقد صرح زعيمهم بلومفيلد قائلا « ان التعميمات الوحيدة المفيدة حول اللغة هى التعميمات الاستقرائية وأن هذه الملامح التى نظن أنها تعم اللغات جميعا قد لانجدها عند دراستنا للغة أخرى » •

غير أن آراء تشومسكى فى هذا المجال — كما فى مجالات أخرى — تتعارض مع آراء بلومفيلد تعارضا جذريا ، فهو يعتقد أن الهدف الأساسى لعلم اللغة هو بناء نظرية استدلالية deductice theory خاصة بتركيب اللغة الانسانية ، بحيث يمكن تطبيقها على جميع اللغات وليس على اللغات التى نعرفها فحسب بل وعلى جميع اللغات المحتمل أن نعرفها ، ويرى أن هذه النظرية لاينبغى أن تكون مغرقة فى التعميم حتى يمكن تطبيقها على نظم الاتصال الأخرى أو أى نظام آخر نريد له أن يدخل فى اطار مانطلق عليه مصطلح « اللغة » ، أى بعبارة أخرى ، أن علم اللغة ينبغى أن يكون عاما وشاملا ومحددا للخصائص الأساسية للغة الانسانية •

والحقيقة أن موقف تشومسكى هذا — كما أعترف هو — يشبه موقف عالم اللغة الروسى ياكبسون Roman Jakobson الذى استقر به المقام فى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة سنوات كان خلالها يجهر بالقول ناقدا آراء بلومفيلد ومذهبه فى علم اللغة ، وكان تشومسكى يشارك «ياكبسون» فى اعتقاده بأن هناك وحدات فونولوجية ونحوية ودلالية كلية وشاملة قد تشترك فيها اللغات جميعا ، ولكنها ليست

متحققة بالضرورة فى جميع اللغات ، بل ربما يتحقق هذا الوجود بصور مختلفة وأقل اطرادا مما قد يوحيه مصطلح الكليـة universal أو الشمول ومع ذلك فان هذه الوحدات يمكن تحديدها بصور مستقلة عند وجودها فى لغة معينة ، بل يمكن أيضا التعرف عليها عندمـا توجد فى عدد من اللغات شريطة أن يتم تعريف هذه الوحدات وتحديدهـا فى اطار نظرية لغوية عامة •

فنحن نعرف مثلا أن هناك نظاما فنولوجيا ثابتا يحتوى على مايقرب من عشرين وحده فنولوجية ذات خصائص وسمات مميزة ، مثـال ذلك خاصية الجهر voicing التى تميز /p/ عن /b/ أو تميز /t/ عن /d/ وذلك فى نطق الكلمات الانجليزية : Ten, den أو pin, bin وكذلك الغنة nasality التى تميز /b/ عن /m/ أو /d/ عن /n/ فى كلمات مثل : bad و mad أو pad و pan غير أننا قد لانجد هذه الملامح المميزة متحققة فى كل فونيمات اللغات الأخرى ، ولكـن ذلك لايحول دون أن تشكل وتختار كل لغة من بين هذه الملامح الفنولوجية المختلفة مايناسبها • ومثل ذلك أيضـا نجده علـى المستوى النحوى والدلالى مثل التصنيف النحوى لأجزاء الكلام الى اسم وفعل ، وتقسيم الفعل الى ماض ومضارع ومثل ذلك أيضا فى العناصر المكونة لدلالات الكلمات مثل العنصر الذى يدل على مذكـر أو مؤنث أو جـماد أو غير ذلك ، وكل هذا تبينه عناصر ثابتة عن طريقها يمكـن وصف التركيب النحوى أو الدلالى لكل اللغات برغم أن ذلك لا يؤدى بالضرورة الى وجود كل هذه العناصر التى تعتبر طبقا لنظرية لغوية عامة عناصر كلية وشاملة وهذه العناصر الفنولوجية والنحوية والدلالية هى مـا يطلق

عليها تشومسكي الأصول الكلية الثابتة للنظرية اللغوية (١) .

---

(١) النظرية التى ترى أن اللغات الانسانية على اختلاف أنواعها وطرق تركيبها ترجع كلها الى أصل واحد هي نظرية قديمة تكشف عنها بعض الأساطير حول تبلبل الألسنة فى بابل حيث كانت اللغة الانسانية واحدة قبل ذلك كما ترددت فكرة الأصل الواحد أو المشترك للغات الانسانية عند اليونان والرومان والعرب حيث لاحظ ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) تشابها بين اللغات العربية والعبرانية والسريانية ، كما قامت هذه النظرية على أسس علمية وفلسفية فى عصر النهضة فى أوروبا ، ثم دعمتها الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة منذ أواخر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر حيث درس فقه اللغة المقارنة أوجه الشبه بين اللغات الانسانية المختلفة ، وبناء على هذه الدراسة انبثقت فكرة العائلات اللغوية وقسمت اللغات الانسانية الى عائلات بناء على التشابة الصوتي الصرفي والنحوي ، وكان التركيب النحوى هو الأساس الذى أقيمت عليه نظرية العائلات اللغوية .

وقد زودت هذه الدراسات اللغوية السابقة بالاضافة الى الأصول العقلية الواحدة التى نادى بها أصحاب المذهب العقلي وعلى رأسهم ديكارت ، زودت تشومسكي وغيره من علماء اللغة بالأصول اللغوية والفلسفية للنظرية التى تقول بوجود أصول عامة تجمع اللغات الانسانية جميعا مما مهد لظهور فروع أخرى فى علم اللغة وخاصة على المستوى الدلالى تدعم هذه النظرية فنظرية الحقول الدلالية semantic Field وهى من النظريات الحديثة نسبيا تحاول عن طريق دراسة مجموعة من الألفاظ مثل ألفاظ القرابة Kinship وألفاظ الألوان أن تصل الى علاقات دلالية تربط بين هذه الألفاظ فى لغة واحدة وفى عدة لغات ولاشك أن اختلاط علم اللغة بالمنطق فى العصر الحاضر قد دعم هذه الدراسات اللغوية وبخاصة فى المستوى الدلالى الذى يبدو أنه سيصبح علم المستقبل فقد امتزج =

ولعل من أهم الخصائص التى يتميز بها فكر تشومسكى وتبين أصالته ، مايشير اليه دائما تحت مصطلح المنطقية الكلية Formal universal أو المنطقية الشاملة وهى عبارة عن مبادىء عامة تحدد صورة القواعد وشكلها وطريقة عملها من خلال النظم النحوية لعدة لغات معينة ، فهو يرى مثلا أن النحو التحويلى وقواعده التى تصل مابين الجمل المختلفة كما تشترك فى بنائها أيضا لها ما يسمى بالتركيب التابع structure dependent وهذه التراكيب التابعة لها أشكال وأنماط مختلفة ، بمعنى أنها تطبق عن طريق تنظيم سلسلة من الكلمات فى جمل (انظر اللغة والعقل ص ٥١) •

وبناء على ذلك المفهوم للقواعد التابعة ، فان جميع القواعد التحويلية التى تناولناها بالدراسة فى الفصل الرابع وخاصة قواعد المبنى للمجهول لتصبح مستوفية لشروط القواعد التابعة لأن طريقة تطبيقها قد تحددت بناء على تحليل سلسلة الكلمات أو المدخل input بماله من صلة براسم أركان الجملة وهو ما يقصده تشومسكى عندما يتحدث عن التركيب التابع وصدد هذا يقول تشومسكى ان من الحقائق الهامة عن اللغة أنها لاتستخدم عمليات التركيب المستقلة structure independent operations لكى تصل ما بين نوع معين من الجمل بنوع آخر

= هذا العلم بالأبحاث المنطقية والرمزية ، ولاشك أن الفضل يرجع لتشومسكى فى احياء فكرة الاصول الكلية للغات الانسانية ولكن بناء على مبادىء لغوية وفلسفية لم تدعم بها هذه الفكرة من قبل وربما كان الأصل التاريخى لهذه الفكرة من العوامل التى ساعدته على بلورة هذه النظرية لأنه يؤمن بأن فحص ودراسة الدراسات اللغوية التقليدية قد تكشف عن نظرات لها قيمتها فى دراسة اللغة • (المترجم)

مثال ذلك العلاقة بين جملة خبرية مثل : John was here ysterday

وجملة استفهامية مثل : was John here ysterday?

حيث يبدو لنا لأول وهلة — أنه من السهل علينا تحديد العلاقة بينهما بوصف العملية البسيطة التى تمت باعادة ترتيب الكلمتين الأول والثانية مع تغيير فى التنغيم intonation المصاحب لنطق الجملة الأولى والذى لن نلتفت اليه هنا .

ولكن هذه العملية — أعنى العلاقة بين الجملتين — هى من قبل التراكيب المستقلة بشرط أن تكون محددة بواسطة قاعدة لاتشير الى الوظيفة النحوية لكل من الكلمتين John و Was فاذا مانظرنا على هدى من ذلك الى أمثلة أخرى متنوعة مثل :

His elder brother was here ysterday.
Was his elder brother here ysterday?
The blast off took place on time.
Did the blast of take place on time?

فسنجد أننا ينبغى أن نعبر عن هذه القاعدة كما يلى :

« يجب ابدال المسند اليه — وهو مركب أسمى بأكمله بالفعل المساعد الأول ثم تقديم الفعل المساعد do ليحل محل الفعل المساعد الأول First auxiliary verb اذا لم يكن هناك فعل مساعد آخر »
وهذا معناه أن الجمل التى تشبه :

John was here ysterday.
Was John here ysterday?

يمكن أن تنتمى احداهما للأخرى بواسطة القاعدة التى تقول « أعد ترتيب وضع الكلمتين الأولى والثانية » وهو ما يدخل فى نطاق

القاعدة العامة للتركيب التابع ؛ أى أن الذى حدث هو أن المسند اليـه وهو عبارة عن كلمة مفردة أصل الموضع الأول فى الجملة الخبرية أمـا الكلمة الثانية فقد كانت فعلا مساعدا .

ومعنى هذا — طبقا لرأى تشومسكى — أن مايبدو لنا دائما أنـه عمليةمن عمليات التركيب المستقل السليمة هو فى الواقع نماذج خاصة لعمليات التركيب التابع .

وقد اقترح تشومسكى وأصحابه وضع عدد محـدد من القيـود العامة على عمل القواعد النحوية يضيق المقام عن ذكرها جميعا ولـذا سنكتفى بذكر واحدة منها كمثال على ذلك ، وهو ما أطلق عليه تشومسكى اسم مبدأ الـ A-over - A وهـو واحد من ثلاثة قيـود ناقشهـا ودرسها فى كتابه « اللغة والعقل » وهو يقصد بهذا المبدأ أنه اذا كانت هناك قاعدة تحويلية تشير الى تركيب من النـوع (A) وكانت سلسلـة العناصر التى تنطبق عليها هذه القاعدة تحتوى على تركيبين من النوع نفسه أحدهما فى الآخر متضمنه ، فان القاعدة تطبق على التركيب الاكبر الذى يضمهما،ومعنى هذا أننا عندما نكون راسم أركان الجملة فان الجملة الكبرى من النوع(A) هى التى تتحكـم وتسيطر على التركيـب الذى ضمنت فيه من النوع (A)

والمثال الواضح لسلسلة العناصر التى يصـدق عليها هذا المبـدأ تتمثل فى الجملة الاسمية التى تحتوى عـلى مركبـات اسمية أخـرى مثال ذلك :

The book on the desk.

هنا سنجد أن هـذه الجملة عبـارة عن جملة اسميـة والتركيب (the desk) الذى تضمنه هذه الجملة هو مركب أسمى أيضا وطبقـا لمبدأ A-over-A فان أى قاعدة تطبق على المركب الاسمى الأول مثلا يمكن أن تطبق على الجملة الاسمية كلها أو على جملة :

The book on the desk ولكنها لاتطبق على المركب الأسمى الثانى فى العبارة وهو the desk (١)

---

(١) هذه القاعدة التى وضعها تشومسكى وأطلق عليها قاعدة ...
هى قاعدة لتفسير العلاقة بين أركان الجملة وكذا العلاقة بين جملة ما وجملة أخرى تشبهها وقد أراد عن طريق هذه القاعدة اختصار القواعد التحويلية الى حد ما بحيث تصبح قواعد أساسية كليــة ولذلك اقترح هذه القاعدة التى تقوم على فكرة التركيب المستقل والتركيب التابع ، وهو يقصد بالتابع هنا الذى يتماثل مع المستقل التركيب ، وحجر الزاوية فى هذه القاعدة هو اختصار القواعــد التحويلية واقامة علاقات مترابطة بين أجزاء الجملة الواحدة أو بين عدة جمل متماثلة .

وفى هذا الصدد أيضا نجد مايشبه تلك الفكرة أو هذا القانون مع اختلاف فى التناول والمنهج عند ابن هشام فى الباب الثانى من كتاب مغنى اللبيب (ص ٣٧٤ ومابعدها)فى حديثه عن تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها حيث نجده يعرف الجملة بقوله :

والجملة عبارة من الفعل وفاعله (قام زيد) والمبتدأ وخبره (زيد قائم) . وهنا نلاحظ أن ابن هشام يتحدث عن صورة الجملة من خلال المثالين (قام زيد) ، (زيد قائم) وهو يكاد يوجه النظر الى الجانب التركيبي وحده باعتبار أن هذه الصورة الأساسية لتركيب الجملة فى العربية ، كما تتمثل فى عملية الاسناد سواء فى الجملة الأسمية أو الفعلية ثم يشير الى الجمل التابعة كما يطلق عليها المحدثون قائلا :

وما كان بمنزلة أحدأهما ـ يقصد الجملة الفعلية المبنية للمجهول والجملة الاسمية ـ نحو «ضرب اللص»«أقائم الزيدان» وكان«زيد قائما » و « ظننته قائما »] (ص ٣٧٤) .

ومعنى هذا أن ابن هشام يرى أن الجمل السابقة هى جمــل =

وطبقا لهذا المبدأ نستطيع أن نفسر عددا من الظواهر فى قواعـد اللغة الأنجليزية وبعض اللغات الأخرى ، غير أن تشومسكى لم يعتـد

= تابعة أو كما يقول محمولة من ناحيـة التركيب عـلى الجملـة التى تحتوى على مسند ومسند اليه وهى الأصل يؤكـد ذلك أن الجملتين « قام زيد » « زيد قائم » تشتركان فى بنية عميقة واحدة اذ كل منهما تتكون من :

١ ـ الجملة ← مركب فعلى + مركب أسمى

٢ ـ الجملة ← مركب أسمى + مركب فعلى (عـلى أعتبار أن قائم أسم فاعل) وكذا الجمل التابعة الأخرى كلها ترجع الى هذا التركيب العميق نفسه (ص ٣٨٠)

أما النوع الثانى من الجمل التابعة داخل الجملة الواحدة فيشير اليه أيضا ابن هشام فى حديثه عن أقسام الجملـة الى صغرى وكبرى يقول « الكبرى هى الاسمية التى خبرها جملة نحو « زيد قام أبوه » ، « زيد أبو قائم » والصغـرى هى المبنية عـلى المبتدأ كالجملة المخبر عنها فى « المثالين » .

وهنا سنجد أننا أمام جملتين أحداهما أصلية والأخرى تابعـة فالجملة الأصلية أو الكبرى كما يطلق عليها ابن هشام هى جملة «زيد قام أبوه» أما الجملة التابعة فهى جملة الخبر «قام أبوه » وكذا فى جملة «زيد أبوه قائم»فزيد هو المبتدأ وجملة «أبوه قائم» جملة تابعة واقعة خبراً وتظهر التبعية هنا فى علاقة الاسناد فى كل من الجملتين بين المبتدأ والخبر حيث يمثل المبتدأ زيد أو كما يقول تشومسكى « أبوه قائم» الـ الثانية .

ولكن ابن هشام يوضح العلاقة فى صورة أوضح فى قوله :

« وقد تكون الجملة صغرى وكبرى باعتبارين نحو « زيد أبوه غلامه منطلق » مجموع هذا الكلام هو جملة كبرى لاغير و «غلامه منطلق» صغرى لاغير لانا ه خبر و «أبوه غلامه منطلق» كبرى =

بذلك وأشار الى أن هناك قواعد معينــة لاتستجيب لهذا ولكــن ذلك لايحول دون اضافة بعض التعديلات وأن كنا لاندرى فى هــذه المرحلة من البحث هل من الأفضل التخلى كلية عن مبدأ A-over-A أم نبحث أمكان تعديله بطريقة ما بحيث تنضوى تحته جميع القواعد الشاذة ٠ ويبدو أن ذلك كله رهن بالتعديلات المقترحه حتى الآن على الرغم من أنها تعديلات جزئية لاتفسر الا القليل من الظواهر التى تنضوى تحت هذا المبدأ وهو بتكوينه الحالى ليس صالحا كما اعترف تشومسكى نفسه بذلك وانما هو وسيلة لتوضيح نوع من القيود التى وضعها تشومسكى وأصحابه عند تطبيق بعض القواعد التى كانت فى فكر تشومسكى عندما كان يتحدث عن الجوانب المنطقية الكلية أو الشاملة للنظرية اللغوية ٠

= باعتبار « غلامه منطلق » وصغرى باعتبار جملة الكلام » (ص٣٨٠) حيث نجد أن جملة «غلامه منطلق» هى جملة تابعة فى تركيبها من حيث هى مكونة من مبتدأ وخبر للجملة الأصلية المكونة أيضا من مبتدأ وخبر وهى جملة «زيد أبوه غلامــه منطلق» وكذا جملــة «أبوه غلامه منطلق» وهــذه الاخيرة هى جملــة تابعــة لجملــة هى : « غلامه منطلق» ولعل التحليل الى المكونات المباشرة يوضح ذلك بشكل أدق ٠

١ ــ زيد أبوه غلامه منطلق

الجملة ← مركب أسمى + مركب أسمى + ضمــير + مركب مركب اسمى + + ضمير + مركب أسمى ٠

٢ ــ غلامه منطلق

الجملة ← مركب أسمى + ضمير + مركب أسمى ٠

٣ ــ أبوه غلامه منطلق

الجملة ← مركب أسمى + ضمير + مركب أسمى + ضمير + مركب أسمى

(المترجم)

ولعله من الضـــروري في هـــذا الصدد أن نشـــير الى أن رأى تشومسكى فى وجود الأصول الكلية الثابتة لايتعارض مع رأى بلومفيلد لأن تشومسكى قد سلم بأن هذه الملامح العامة قد لاتوجد فى اللغـات المألوفة لنا فحسب بل فى لغات أخرى لانعرفها ، ولهذا أشرت مـن قبل الى الفرق بين رأى تشومسكى وتصوره للقواعد الكلية ورأى بلومفيلد وتصوره الذى يمثل اتجاها فى هذا السبيل حيث نجده — أى بلومفيلد — وأصحابه من البنيويين يتبعون فىذلك رأى «بواس» الذى يؤكداختلاف اللغات الانسانية لأسباب شرحناها فى الفصل الثالث ، بينما تشومسكى يؤكد تشابهما • ولاشك أن المرء لابد له من أن يزن اختلافات التركيب النحوى فى اللغات الانسانية بميزان دقيق • وان كان ذلك لايدفـــع الشك فى موقف مدرسة بلومفيلد وغيرها من المدارس اللغوية التى دفعها الحرص الشديد الى تحاشى الأصول النحوية التقليدية الى المبالغــة فى القول بالاختلاف بين اللغات ونتيجة لذلك بالغوا فى تطبيق المبدأ القائل بأن كل لغة يحكمها قانون تنفرد به الا أن أوجه الشبه النحويــة التى توجد بين اللغات المختلفة وغير المتصلة بعضها ببعض تاريخيـــا تلفت النظر شأنها فى ذلك شأن الاختلافات ، بل لقد أثبت التحليل اللغــوى حديثا أن أوجه الشبه بين اللغات أكثر عمقا ، بينما أوجه الخلاف أشــد سطحية •

وقد رأينا فى الفصل التاسع من هذا الكتاب أن تشومسكى كـــان أشد حرصا من أصحابه فى قبول الفكرة التى تقول أن : اللغات برغم اختلافها الظاهر الا أنها تتشابه فى التركيب العميق أكثر من تشابههــا فى التركيب السطحى • ونتيجة لهذا الحرص فى قبول هذه الفكرة علق أهمية كبيرة على أستغلال اللغات المختلفــة لعمليات منطقية واحـــدة فى بناء وتكوين جمل نحوية وعلى هذا الرأى أقام فلسفته العقلية للغة كما سنرى فيما بعد •

ولعل ذلك يذكرنا بأن تشومسكىقد انتقد نموذجين نحويين له هما :

«القواعد النحوية المحدودة» «القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة» على أساس أن كلا النموذجين عاجز عن وصف اللغات الطبيعية . وقد أشار بنفسه الى هذا العجز عندما أدخل بعض التعديلات على النموذج الثالث له وهو «القواعد النحوية التحويلية» الذى رأى فى قوته الزائدة بعض القصور أيضا (انظر الفصل الثامن) . وهنا يبرز أمامنا مبدأ على درجة كبيرة من الأهمية اذا أردنا أن نفهم بدقة فكرة تشومسكى حول الأصول النحوية الكلية ففى الفصل الرابع من هذا الكتاب عندما ناقشنا أهداف النظرية اللغوية رأينا أن عالم اللغة عندما يأخذ فى وضع قواعد النحو التحويلى للغة ما فانه يلتزم بدراسة خصائص جميع الجمل وجميع الجمل فقط فى هذه اللغة وتلك نظرة مثالية لاتتفق وطبيعة اللغات ولكنها نظرة صحيحة من ناحية المبدأ ، لأن النظرية اللغوية — كما رأينا أيضا من قبل — ينبغى أن تجمع بين أمرين : أحدهما أن تكون نظرية عامة بحيث تكفى لمعالجة جميع اللغات ، أما الثانى فهو الا تكون فى الوقت نفسه مغرقة فى عموميتها بحيث يمكن تطبيقها على نظم الاتصال الأخرى وبذلك تدخل هذه النظم ضمن اللغات وقد أخذت نظرية النحو التحويلى — فى صورتها الحالية — على عاتقها تنفيذ ذلك حيث تسمح القواعد التحويلية فيها باجراء عدد من العمليات المتنوعة بطرق مختلفة لبناء سلاسل من العمليات الأخرى التى لاتتطلبها — فيما بعد — دراسة ووصف أى لغة انسانية ومعنى هذا أن نظرية النحو التحويلى « عامة » أكثر مما تحتاج أى نظرية فى وصف ودراسة تركيب اللغات الانسانية ، ولكن المشكل هنا أن نبحث عما اذا كانت هناك قيود منطقية formal limitation نستطيع أن نضعها على النظرية التحويلية بحيث يمكن للقواعد النحوية التى نحصل عليها بعد تطبيق النظرية التحويلية بقيودها المنطقية الجديدة أن تكون قادرة على حصر جميع الجمل الموجودة فعلا فى أى لغة من اللغات وفى الوقت عينه تكون قادرة على استبعاد أكبر قدر من التراكيب التى ليست بجمل .

ان تشومسكى يؤمن — كما رأينا من قبل — بأن هناك شروطا محددة بدقة تحكم عمل القواعد النحوية فى جميع اللغات وبواسطة هذه الشروط المحددة التى اقترحها ، يمكن الحد من قوة النحو التحويلى الزائدة . وهكذا نصل الى النتائج الفلسفية لفكرة تشومسكى حول الأصول النحوية الكلية بمعنى أنه اذا كانت جميع اللغات الانسانية على هذا النحو من التشابه المدهش فى التركيب ، فمن الطبيعى أن يتساءل المرء لم هى كذلك ؟ ومن الطبيعى أيضا أن يتلمس أحد الفلاسفة التجريبين الاجابة عن ذلك كان يقول ان جميع اللغات تشير الى أشياء وصفات العالم الطبيعى والتى تفترض أن جميع البشر العاديين من الناحية الفسيولوجية والنفسية قادرون على ادراكها وأن جميع اللغات فى أى ثقافة أو حضارة تستخدم فى القيام بعدة وظائف متشابهة مثل اصدار الأوامر وطرح الأسئلة والاجابة عنها وغير ذلك وأن هذه اللغات تستغل نفس الجهاز الفسيولوجى وبنفس الطريقة بحيث يمكن القول بأن عمل الجهاز وراء بعض الخصائص المنطقية للغة . كل تلك الحقائق — بلا شك — ذات صلة باللغة ، وربما أثرت فى بعض الأحيان على التركيب اللغوى ، غير أن كثيرا من هذه الملامح العامة للغة سواء الواقعية منها أو المنطقية لايمكن تفسيرها على هذا النحو السهل ، والتفسير الوحيد المقنع — على الأقل حتى الآن — هو كما قال تشومسكى ان الانسان قد أوتى — بالوراثة — ملكة اللغة language faculty وهى ملكة خاصة مميزه تميزا واضحا وهى التى تحدد تلك الملامح الكلية مثل التركيب التابع ومبدأ A-over A كما ذكرنا من قبل وبمقولة الملكة اللغوية هذه يبدأ اتصال تشومسكى بتراث الفلاسفة العقلانين rationalits حيث يؤكد تشومسكى نظريته تلك بدعوة لتدبر الطريقة التى يتعلم بها الأطفال لغتهم الوطنية وكل القرائن تدل على أن الأطفال يولدون وليس لديهم استعداد لتعلم لغة دون الأخرى ولذلك يمكن أن نفترض أن جميع الأطفال — بغض النظر عن الأرومة race أو الوراثه لديهم قدره على تعلم اللغات مطلقا دون لغة بعينها ، فاذا ما درج

هؤلاء الأطفال فى ظروف طبيعية أصبحوا من أبناء اللغة التى يسمعونها فى المجتمع الذى ولدوا ودرجوا فيه • ولكن كيف يصل الأطفال الى هذا التحكم الابداعى الخلاق فى اللغة الوطنية الذى يمكنهم من بنـاء فهم جمل لم يسمعوها قط من قبل ؟

ان تشومسكى — كما رأينا من قبل — يؤكد أن التفسير الوحيـد لذلك ، هو أن الطفل يولد مزودا بمعـرفة دقيقة ومحـددة بالأصـول النحوية الكلية وباستعداد لاستغلال هذه الأصول فى التعرف على مـا يسمعه من كلام يتردد من حوله وهذه المعرفة لايمكن تفسيرها وفـق طرق تعلم اللغة language learning التى توصلت اليها النظريات التجريبية اذ لاتستطيع هذه النظريات أن تسد الفجوة بين عدد الجمل القليلة نسبيا التى يسمعها الطفـل والتى تعج بالأخطـاء errors التحريفات distortions والتردد hesitation وبين قدرته على بناء القواعد النحوية وكل ذلك فى وقت قصير وعلى أساس من هذه المادة اللغوية الهزيلة الناقصة التى يسمعها ولاشك أن المعرفة الفطرية inborn Knovwledge بالأصـول الكلية التى تحكـم تركيب اللغـة الانسانية هى التى تسد تلك الفجوة أو هذا النقص فى تفسير التجريبيين لعملية اكتساب اللغة language aquisition وهذه الأصول اللغوية الكلية هى جزء مما نسميه العقل رهى تظهر بصورة ما فى تركيب المـخ وكذا فى الطريقة التى يعمل بها وهذه الأصول الكليـة تشبه الأفكـار الفطرية innate ideas عند ديكارت وغيره من الفلاسـفة العقلانيين الذين يمتد تراثهم حتى افلاطون •

وقد أشرت فى نهاية الفصل الماضى الى التحول الـذى طرأ عـلى موقف العلماء فى السنوات القليلة ازاء ما سمى بالمادة الأولية primary data أى الكلام الذى يسـمعه الطفـل من حيث مـا يحتـوى عليـه من انحراف وفساد سواء فى النطق أو التركيب كما فهم تشومسكى وصرح بذلك • ولكن من الحق أن نقول هنا أن تشومسكى يرى أن كلامه قـد

فهم فهماً غير سليم أو أسيء فهمه • وأنــا لا أملك بينــة عــلى ذلك، ولكن يبدو أن الأمر قد تعرض لســوء فهــم وهو ما ندركــه مــن التصريحات والأقوال غير الصحيحة التى صدرت حول ذلك •

ولكى نتبين وجه الحق فى هذه القضية ، دعونا نفترض أن هنــاك عالما أخذ فى دراسة مادة تحتوى على نسبة خطأ قدرها ٢٠٪ من هــذه المادة ولكنه لايدرى فى أى جزء من أجزاء هذه المادة العلمية تقع هــذه النسبة ، لاشك أن سيواجه موقفا صعبا بل أنه يواجهه مصاعب جمــة لاتقارن بالمصاعب الأخرى الناجمة عن عدم تحكمه فى المادة العلمية كلها ما اذا كانت المادة العلمية محكومة عن طريــق التجارب فالموقف يختلف كلية ، اذ ستأتى النتائج وثيقة الصلة بالفروض النظرية أى بالشروط التى ينبغى توافرها فى القواعد النحوية مثلا وصدد هــذا يقول تشومسكى أنه لم يؤكد مطلقا أن « الغالبية العظمى من الجمل التى يسمعها الطفل جمل غير صحيحة نحويا ungrammatical وأنه لم يحدد مطلقا كم هذه الجمل ، ومعنى هذا أن تشومسكــى يرى أن الظروف والملابسات التى يكتسب فيها الطفل لغته الوطنية والتى تحتوى ولو على عدد من الجمل غير الصحيحة نحويا من حيث هى جزء من المادة اللغوية الأولية تسبب مشكلة خطرة لأى نظرية تجريبية فى اكتساب اللغة • ونظرا لاختلاف وجهات النظر بين تشومسكى وناقديه من التجريبيين حول ذلك ، فلابد لنا من التأكيد مرة أخرى على حقيقة هامة وهى أن كثيرا من علماء النفس الذين يعملون فى حقل أكتساب اللغة ويختلفون مع تشومسكى فيما ذهب اليه من أن الطفل يولد مزودا بمعرفة نظرية للأصول الكلية للقواعد النحوية، هؤلاء العلماء يوافقون — برغم ذلك كله — على قول تشومسكــى ان نظريات التجريبيين فى اكتساب اللغة تقف عاجزة عن تفسير هذه القدرة التى تمكن الطفل من بناء جمل نحوية لم يسمعها قط من قبل •

وبرغم أننى قد أكدت — أكثر من مرة خلال هذا الكتــاب — أن نظرية النحو التحويلى قد وضعها تشومسكى فى اطار عــام للاستقلال

الذاتى لعلم اللغة عن بقية العلوم الأخرى الا أن من يرجع الى ماكتبه وبخاصة فى أعماله الأولى يجده يتناول بعض القضايا الفلسفية ممـا يوحى بأن فى ذلك اقحاما لعلوم أخرى على عـلم اللغة ، اذ لم يكـن هناك مايدعوه مثلا لمناقشة النظرية التجريبية فى المعرفة والادراك مثله فى ذلك مثل كثير من علماء اللغة بل وعلم النفس أيضا ، وربما أحس بذلك أيضا كل من يحاول تقويم آرائه الفلسفية غير أن ذلك كله تفسره حياة تشومسكى الشخصية فقد أمضى فترة دراسته الأولى أثناء سيطرة المذهب التجريبى على الحياة العلمية الحديثة ومن ثم كان يخشى أن فكرة الانتقال الوراثى للأصول النحوية الكلية قد تبدو — حينئذ لكثير مـن الفلاسفة والعلماء فكرة خيالية مضحكة .

وقد أشار الى شيء من هذا فىمقابلة اذاعية معه عام ١٩٦٨م حينما قال « ان النظرية التجريبية متغلغلة فى أعماقنا على نحو يشبه الخرافة وفى دراستنا للعقل البشرى بخاصة » .

ومهما يكن من أمر فاننا لانتهم أى عالم بيولوجى مثلا بالصوفية أو أنه يذهب مذهبا غـير علمى عند ما يسلـم بمبدأ الانتقال الوراثى genetic transmisson ومايترتب على ذلك مـن القول بالسلوك الغريزى الشديد التعقيد عند الأجناس المختلفة .

ثم لماذا نحن على استعداد دائما لكى نسلم بأن السلوك الانسانى الشديد التعقيد والبالغ المرونة فى آن واحد يمكن تفسيره دون افتراض وجود قدرات ونظم خاصة نسميها نحن العقل والتى وهبنا اياها بالوراثة وتظهر آثارها بل تكشف عن نفسها فى ظروف مناسبة ومرحلة معينة من تطورنا ولاجدال فى أن كلمة «العقل» قد ارتبطت باتجاهـات تقليدية وتجريبية عند تشومسكى وهو ما يتمثل فى فلسفته العقلية التى نادى بهـا .

انكثيرا من الفلاسفة على رأسـهم ديكارت — يفرقون تفرقـة

دقيقة بين «الجسم» «والعقل» ويقولون ان الوظائف الفسيولوجية التى يقوم بها الجسم لاتشبه فى أى شىء عمل العقل لأن هـذه الوظائف تخضع للقوانين الطبيعية والآلية التى تخضع لها بقية الأشياء فى العالم المادى ولكن موقف تشومسكى يختلف عن ذلك الى حد ما ، حيث يقترب موقفه من موقف الفلاسفة العقاريين بعامة وديكارت بخاصـة اذ يرى تشومسكى أن السلوك الانسانى — فى جزء منه على الأقل — لايتحدد بالمثير الخارجى eyternal stimali أو وفقا للحالات النفسية الداخلية وهو بهذا يقف ضد المذهب الآلى mechanism أو المذهب الطبيعى physicalism كما يختلف أيضا عن «ديكـارت» وكثير من الفلاسـفة العقلانيين فهو لايذهب مذهبهم فى الفصل المطلق بين الجسم والعقـل ، ففى المقابلة الاذاعيـة التى أشرنا اليها من قبـل نجده يقـول « ان السؤال عن الأسس الطبيعية physical basis لتركيب العقل قضية فارغة ، لأن تطور العلم الحديث قد أثبت أن فكرة الأسس الطبيعية قد أمتدت شيئا فشيئا حتى أصبحت تشمل كل شىء نستطيع فهمه ولذلك عندما نبدأ من دراسة خصائص العقل البشرى فسنجد أننا — ببساطة — قد توسعنا بفكرة الطبيعية بحيث أصبحت تحتوى فى داخلها على كل هذه الخصائص أيضا » •

وهو هنا يسلم — من ناحية المبدأ — بقدرة الانسان على معرفـة مايسمى بالظاهرة العقلية mental phenomena وتحديـد ماهيتها فى ضوء ما ندركه من العمليات النفسية والطبيعية الآن ، من هـذا يتضح لنا بجلاء أن تشومسكى برغم أنه يضع نفسه فى مصاف العقلانية الا أنه يعارض المذهب الآلى الحتمى بعامة والمذهب السلوكى بخاصة ، وهـو مايضعه وجها لوجه أمام الفلاسفة مثل افلاطون وديكارت ومـع ذلك قلنا أن نصفه أيضا بأنه من الطبيعيين •

(خـاتمـــة)

وبعد ، فقد حاولت خلال فصول هذا الكتاب أن أقــدم عرضــا واضحا ومنهجيا لآراء تشومسكى حول اللغة وقد تعمــدت ألا أذكر أى تعليقات نقدية قد تفسد هذا العرض أو تشوهه ، ولكنى لا أريــد أن يظن القارىء أن تشومسكى قد بلغ مبلغا لايصل اليه النقــد ؛ أو أن ناقديه هم مجرد حاقدين أو مضللين ، ولذا ينبغى على فى هذه الخاتمة أن أعيد التوازن الى فصول الكتاب بذكر بعض الآراء الشخصية حول نظرية تشومسكى التى لا أشك فى أهميتها غــير أن كثيرا من آرائــى الخاصة قد تلتقى مع آراء تشومسكى حول كثير من القضايا الا أننى أظن أن هناك بعض القضايا والمسائل التى بالغ فيها كثيرا •

وقد أشرت من قبل الى أن دراسة تشومسكى وأبحاثه حول بناء نظرية نحوية هى التى تميزه عن غيره وتعطيه أصالة ، بل لعــل ما قدمه فى هذا الميدان من ميادين الدراسة العلمية للغة هــو الاســهام الغالب له الذى لايتطرق اليه أدنى شك • فقد وسع من آفاق علم اللغة الرياضى mathematical linguistics وفتح به ميدانا جديــدا فى الدرس اللغوى لايهم علماء اللغة فحسب بل المناطقة وعلماء الرياضيات أيضا ، واذا كان بعض الناس يظنون — أحيانا — أن أعمال تشومسكى أو بعض أعماله فى النحو التحويلى ليست لها صلة مباشرة بالدراســة الوصفية للغات الانسانية الا أن ذلك لم يحل دون أن تحظــى بتقدير وتقريظ المناطقة وعلماء الرياضيات الذين يهتمون كثيرا ببناء ودراسة النظــم المنطقية formal systems فى ذاتها من أجل تجاربهم التطبيقية ، ولست فى حاجة الى التكثر بالقول فى هذا الصدد •

ولكن من الحق أن نقول أيضاً أن النموذج الذى وضعه تشومسكى للنحو التحويلى قد وضع وصمم من أجــل تحليــل ودراسة اللغــات الانسانية الطبيعية وأن هذا الأنموذج قد استخــدم بقدر كبير مــن

التوفيق والنجاح خلال السنوات العشر أو الخمس عشرة الماضية مما لفت أنظار علماء النفس والفلاسفة ، وقد أشار تشومسكى نفسه — كما رأينا من قبل — الى أن النتائج التى أسفرت عنها نظرية النحو التحويلى لها آثار واضحة على كل من علم النفس والفلسفة وأنا أظن أنه قد وقف بها أيضا وقفة حاسمة أمام المذهب السلوكى وبخاصة حينما قدم حججا مفحمة أثناء تصديه لمناقشة الفجوة الموجودة بين اللغات الانسانية ونظم الاتصال عند الحيوان وعلاقة كل منهما بنظرية التعلم حيث قال ان هذه النظريات المعاصرة قوامها التجارب العلمية على الحيوان لكي تفسر لنا فى النهاية استخدام اللغة عند الانسان والحيوان ومعنى هذا أن مبدأ « الابداعية » هو المبدأ الذى يستطيع تفسير ذلك ولأنه يقوم أيضا على استخدام اللغة الأنسانية واكتسابها كما أنه مبدأ مستقل لايعتمد على صحة أى نموذج من النماذج التحويلية الموجودة فعلا بين أيدينا أو تلك التى يحتمل بناؤها فى المستقبل •

وفى هذا الصدد لابد لنا من وقفة قصيره أمام بعض المحاولات الحديثة لتعليم اللغة للشمبانزى والنتائج التى ترتبت على هذه المحاولات بمالها من صلة بالفطرية nativism والابداعية اللتين نادى بهما تشومسكى •

نحن نعلم أن هناك محاولات قديمة قام بها بعض العلماء لتعليم الشمبانزى اللغة المنطوقة ولكنها باءت جميعها بالفشل ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع الى أن الشمبانزى لايملك جهازا للنطق vocal apparatus مثل الذى يملكه الانسان ، ولكن هناك تجارب حديثة أجريت على نظم للاتصال تعتمد على وسائل بصرية يدوية manual - visual وليس على وسائل نطقية سمعية vocal - auditry حيث أحرزت الوسائل البصرية اليدوية نجاحا ملحوظا جعل كثير من الناس يعتقدون أن رأى تشومسكى فى اكتساب الحيوان اللغة قد دحض ، وخصوصا ما صرح به فى كتابه « اللغة والعقل ص ٥٩ » حيث قال : « ان مجرد اكتساب

البدايات الفجة الأولى للغة فوق طاقة أى قرد مهما أوتى من ذكاء »
فهل تتمتع القردة حقا بذكاء ما ؟

هناك شمبانزى تدعى « واشو » Washoe كانت تتعلم لغة الصم والبكم deaf and dumb أو ما يسمى بلغة الاشارة الأمريكية American sign language (Asl) وهى لغة مستعمله على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى أشبه بنظام اللغة التصويريه ogographic منها بالنظام الألفبائى alphabetic بمعنى أن هذه اللغة ليست مؤسسة على مبدأ الهجاء بالأصابع finger spelling وانما هى رموز وعلامات كل واحدة منها يرتبط مباشرة بكلمات معينة أو بدلالتها •

وقد استطاعت « واشو » أن تتعلم أكثر من مائة علامة من هذه العلامات ، قبل أن تواجه بعض الصعوبات فى ذلك عندما بلغت السادسة من عمرها بل لقد استطاعت أن تستخدم هذه الرموز وتؤديها بتلقائية ، كما استطاعت تفسيرها عندما تصدر عن سواها ، ومن المدهش أنها استطاعت أيضا أن تكون سلسلة متعاقبة من هذه الرموز لم تصادفها قطم ن‌ة بقل حقا لم تكن هذه السلسلة بالغة الطول ولكنها كانت مساوية فى طولها لكلام الأطفال فى المراحل الأولى من اكتسابهم اللغة •

ومعنى هذا أن « واشو » أظهرت قدرة على بناء تراكيب جديدة من وحدات منفصلة وهو ما أطلقنا عليه مصطلح « الابداعية » وهذه القدرة التى أظهرتها « واشو » تختلف عما ذكرناه فى الفصل الثانى عن « لغة النحل » عند فون فريش von frisch.

وهناك شمبانزى أخرى مشهورة كذلك تدعى « سارة » Sarah كانت تتعلم نظام اتصال يختلف كلية عن نظام لغة الاشارة الأمريكية (ASL) بمعنى أن هذا النظام لم يعتمد على وجود سابق للغات

الانسانية ، وانما بنى بطريقة مخصوصة تتلائم مع الغرض الذى وضع من أجله . وقد كانت «واشو» تعتمد فى اكتساب نظام لغة الصم والبكم الأمريكية (ASL) على مدربيها عن طريق نوع من التفاعل الطبيعى بينها وبينهم أما «سارة» فقد تعلمت عن طريق برنامج منظم يقوم على المؤثر الشرطى operant conditioning وهو واحد من المبادىء الأساسية فى النظرية السلوكية فى علم النفس . وكانت اللغة التى تتعلمها «سارة» مكونة من مجموعة من الجمل كلماتها ملونة بطبقة من البلاستيك وكانت الكلمات تلصق رأسيا على سبورة ممغنطة طبقا لقواعد خاصة وضعها مخترعوا هذا النظام مما يجعل من السهل تكوين وبناء عبارات مثبتة أو منفية وجملا استفهامية وشرطية وعبارات مسورة مثل: « لاتفاح » no apples ، « كل التفاح » all the apples بعض التفاح Some opples هاتان هما « واشو » و « سارة » اللتان تمثلان أول وأشهر التجارب التى يخوضها اليوم عدد كبير من القردة ، فهل أظهرت كل منهما قدرة على اكتساب اللغة ؟ الحق أن الاجابة عن هذا السؤال غير واضحة . ذلك لأن كلا من «سارة» و «واشو» قد أثبتت أن نوعا من الثدييات غير بنى الانسان لديه القدرة على تعلم نظم ذات درجة من الابداع تحكمها قواعد معينة ، كما تحتوى على عدد من التراكيب التابعة مما يفتح أمام تشومسكى ثغره لكى ينفذ منها ليقول أن الفرق بين هذا النوع من النظم واللغة الطبيعية كاملة النمو فرق كيفى qualitative أكثر منه فرق كمى quantitive ولكن الجدال حول ماهو كيفى وما هو كمى مشهور بصعوبة الوصول الى حل فيه وكثير من العلماء يرون أن الفرق بينهما ضئيل .

ويبدو لى أن نتائج التجارب التى أجريت على القردة لم تقدم ولم تؤخر كثيرا بل تركت مشكلة اكتساب الحيوان للغة كما كانت عليه ، ومع ذلك فقد قيل أن القردة اذا كانت لم توفق فى اكتسابه المبادىء اللغوية الأولى فان الأطفال فى المراحل الاولى من حياتهم يعجزهم ذلك أيضا . ولكن هذا الاعتراض ينطوى على مغالطة مضللة لأن الأطفال

بعد المرحلة الأولى يمضون قدما الى مراحل أبعد من تلك المرحلة التى تتوقف عندها القردة ، والسبب فى ذلك كما يقول تشومسكى ان الأطفال ينطلقون من خلال قدرات انسانية خاصة تفتقر اليها القردة ، ومعنى هذا أن لاصحة للزعم بأن هناك تشابها بين ما ينطق به الأطفال الصغار ومانطقت به واشو أو غيرها من القردة الذين تعلموا لغة الصم والبكم الأمريكية (ASL) بل من الحق أن نقول أيضا أن الأطفال قد أظهروا قدرة واضحة على اكتساب اللغة بينما لم تظهر القردة مثل هذه القدرة. وقد يرى بعض الناس أن هذه القـردة أو مايشبهها مـن الحيـوان تدحض رأى تشومسكى بأكتسابها لنظام ، اتصالـى يشبه فى النـوع والدرجة اللغة الانسانية بما يحتوى عليه من ابداعيه محكومة بقواعـد معينه وكذا بما يحتوى عليه من تراكيب تابعة وكل هذا غير صحيح لأنه لم يحدث حتى الآن .

وينبغى أن نعـلم صدد هذا أن مايوصف بأنـه كمى فى حين يرى تشومسكى أنه كيفى لايحل المشكلة بحيث نعتمد عليه فى التفرقة بين اللغات الانسانية ونظم الاتصال الأخرى يضاف الى ذلك تلك المناقشات السطحية الشائعة حول الفرق بين اللغة وغير اللغة فيما يسمى بالملامح المحددة design Features أو الخصائص العامـة general properties للغة وقد ذكرنا منها فى هذا الكتاب ثلاثا هى :

الازدواجية duality والابداعية Creativity ثم التركيب التابع structure dependence وربما ذكرنا أيضا الاعتباطية arbitrainess والتمفصل discreteness (١) .

---

(١) سبق أن ذكر المؤلف كما يقول ثلاثا من الخصائص العامه للغـة الأنسانية وهى الازدواجية والابداعية والتركيبه التابع ثم يضيف هنا خصيصتين جديدتين هما الاعتباطية والتمفل أما الاعتباطية =

ويعلق تشومسكى أهمية خاصة على هـذه الخصائص باستثناء خاصية واحدة هى التركيب التابع وقد ظهرت هذه الخصائص وغيرها فى

= فهى تنفى العلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى التى نادى بها بعض القدماء من علماء العربية مثل الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جنى كما قال بها بعض علماء اللغة فى العصر الحديـث والتى ترى أن هناك مناسبة طبيعية بين لفظ ما والمعنى الذى يدل عليه فى هـذا اللفظ فيما أسماه ابن جنى «امساس الألفاظ أشباه المعانى» يقول أعلم أن هذا موضع شريف لطيف قد نبه عليـه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقول والاعتراف بصحته ، قال الخليل كأنهم توهموا فى صوت الجندب أستطالة ومد ، فقالوا صر ، وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا «صرصر» . وقال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان أنهـا تأتى للاضطراب والحركـة نحو الغليان والغيثان ... ووجدت أنا من هـذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحداه ومنهاجهما مثلا .وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير نحو الزعزعة والقلقة والتمتمة ... ووجدت أيضا أن الفعلى فى المصادر والصفات انمـا تأتى للسرعـة نحو البشكى والجمزى » الخصائص ٢/١٥٢)
وهو ما أشار اليه بعض علمـاء اللغـة حديثـا تحت مصطلح onomatopoeia أى الكلمات التى تحمل دلالتها أو جزءا من دلالتها فى أصوات الفونيمات المكونة لها ، ولكن علم اللغة قـد تجاوز هذه النظرية الجزئية الى بعض المفردات فى الثروة اللغوية لأى لغة التى قد تصدق عليها تلك النظرية الى نظرة اوسع وأشمل وهى القول بالعلاقة الاعطباطية بين اللفظ والمعنى أى عدم وجود علاقة طبيعية أو منطقيـة فى دلالة لفـظ ما على معنـى ما لأن الاعتراف بوجود العلاقة الطبيعية أو المنطقية يعنى توحد اللغات فى تسمية الشىء الواحد باسم واحد فى جميع اللغات ومن ثـم قال علم اللغة بالعلاقة العرفية الاعتباطية بين اللفظ والمعنى التى يشير اليها المؤلف هنا . =

قائمة مكونة من ست عشرة خصيصـة ذكرها عـالم اللغـة هوكيت C.F. Hockett وذلك منذ خمس عشرة سنة ، ولى على هذه القائمة ملاحظتان أرى من الضروري ذكرهما :

أما الأولى فهى اضفاء أهمية مبالغ فيها للنظم الاشارية signalling systems التى تعتمد على النطق والسمع ومع ذلك فان تحديد اللغـة بتعريف ينص على الانتقال transmisson عن طريق النطق والسمع موضع خلاف بين العلماء . وقد رأينا من قبل كيف استطاعت كل مـن « واشو » و « ساره » اكتساب اللغة وهذا الاعتراف باكتسابهما للغة يقوم على أساس أن الانتقال عن طريـق النطق والسمـع ليس من الخصائص المميزة للغة وهو أمر على جانب كبير من الأهمية ، يضاف الى ذلك دليل آخر ، وهو أن المخ بشقيه الأيمن والأيسر يتدخـل فى

---

(١) أما التمفصل فهو يعنى أن اللغة الانسانية تمتع بخاصيـة هامة وهى أنها تكون من وحدات منفصلة متمايزة نتوصل اليها مـن خلال التحليل اللغوى الذى يحـول الكل المركـب الى عناصر ووحدات لغوية يحددها كل نظام لغوى لأى لغة فالكلام رغـم تتابعه واتصاله الا أنه يتكون فى النهاية من وحدات منفصلة فاللغة أى لغة هى عبارة عن وحدات صوتية يمكن فصلها وتميزها مثل الفونيمات على المستوى الصوتي والمورفيمات على المستوى الصرفى والنحوى ومن ثم فان علم اللغة يحلل الكلام فيما يسمى بالتحليل الوظيفى حيث ننظر الى العلاقات التركيبية القائمة على وحدات منفصلة ومترابطة فى آن واحد فالفونيمات تكون المقاطع والمقاطع تكون المورفيمات : والمورفيمات تكون الكلمات وهذه تكون الجمل وذلك على النحو التالى :

فونيمات ← مقاطع ← مورفيمات ← كلمات ← جمل ←

وهذه وحدات منفصلة يمكن أدراكهـا وتحديدهـا وخاصيـة التمفصل هى احدى خصائص اللغة الانسانية التى تميزها .

(المترجم)

عدة جوانب من العملية اللغوية حيث يقوم الشق الأيسر عنـد معظم الناس بتنفيذ العمليات اللغوية الدقيقة بينما يوكل الى الشق الأيمـن التعامل مع العمليات اللغوية الأقل دقة بالاضافة الى أداء بعض الاشارات الصوتية فاذا تصورنا أن استعداد الانسان لاكتساب الكلام يختلف عن استعداده لاكتساب اللغة فمعنى هذا أن الدليل على وجود احداهمـا ليس دليلا على وجود الآخر لأن كلا منهما يتداخل مع الآخر •

أما الملاحظة الثانية : فهي أكثر أهمية من الملاحظـة الأولى ذلك لأن القائمة التي وضعها « هوكيت » للخصـائص المميزة يظن الكثير أنها قائمة نهائية يختار على أساس منها أى نظام من نظم الأتصال ومن ثم ينظر اليه على أساس مدى التشابه بينه وبين اللغات الطبيعية طبقا لعدد الخصائص التي تجمـع بينه وبـين هذه اللغـات والتي ذكرها « هوكيت » في قائمته تلك ، وبتطبيق فكرة المقارنة بين اللغات الطبيعية ونظم الاتصال المختلفة سنجد أن مجموعة الاشـارات التي تستخدمها بعض الطيور المغردة وكذلك الغربان لاتختلف الا في خصائص قليلـة مثل : القابلية على المراوغة والقدرة على التفكير والتأمل وهكذا نجد أن مثل هذه المقارنة هي أدنى من العبث نظرا للنتائج التي تسفر عنها ومن ثم لايحتاج المرء الى كثير من الجهد لكي يرى الخطـأ البين في منهج المقارنة بين اللغات الانسانية ونظم الاتصال المختلفة على أساس مـن تلك القائمة التي تحتوى على خصائص وملامح ليست محددة تحديدا دقيقا حتى أن كثيرا منها لاتسهل معرفته كمـا لايثبت عند المقارنـة • فخصائص مثل اللا نهائية أو الابداعية ومن المؤكد أيضا خصائص مثل الدلالية والاعتباطية والتمفصل والازدواجية كلها مازالت موضع أخذ ورد وجدال بين علماء اللغة من حيث مفهومها ودلالتها ولعل مايمكن أن نعول عليه في هذا الصدد هو مدى توافر هذه الخصائص في اللغات الانسانية والطريقة التي تتفاعل كل خصيصة منها مع الأخرى بحيث تجعل من نظم اللغة جهازا عليا للاتصال ، ومن هنا قد يكون تشومسكى محقـا

أو غير محق عندما نادى بالخصائص الانسانية التى تحدد اللغة ولكن الأمر الذى لاخلاف عليه هو أن نظرية تشومسكى فى النحو التحويلى تنشد وضع خصائص محددة ومميزة للغة مثل : « القاعدة العاملة » governd « التركيب التابع » « الابداعية » وكلها بلا شك ملامح وخصائص أساسية بل هى جزء من اللغة ونظرية تشومسكى اذ تؤكد ذلك انما تستند الى قوة القواعد النحوية فى الكشف عن مدى تعقد هذه الخصائص للغة الانسانية وقد يطول بنا المقام لو حاولنا استقصاء كل ماينبغى أن نقوله حول المقارنة بين اللغة الانسانية ونظم الاتصال عند الحيوان ولعله من المفيد أن نذكر مرة أخرى أن تشومسكى عندما قدم أسبابا مقنعة لعدم ايمانه بجدوى فكرة المثير والاستجابه فى تفسير جميع الحقائق حول السلوك اللغوى لم يبين اذا ما كانت هذه الفكرة قادرة على تفسير بعض هذا السلوك أم لا ، اذ من الجائز أن بعض الكلمات التى تشير الى بعض الأشياء فى بيئة الطفل وكذا بعض مايتفوه به من عبارات فى بعض المواقف المتكررة التى يجد نفسه فيها من الجائز أن يكون قد تعلمها بطريقة من السهل تفسيرها وفق المصطلحات السلوكية حيث تمثل الكلمات والعبارات « الاستجابة » بينما تمثل الأشياء والمواقف «المثير» بحيث يمكن القول بأن هذا الجزء من اللغة ينبغى تعلمه عن طريق ارتباطه بالعالم الخارجى وبالنشاط الاجتماعى وليس هناك أى دليل — فيما أعلم — على خطأ هذه النظرة أو الشك فيها لأن كل ماذكره تشومسكى حوله تفسير السلوكيين لمثل ذلك هو أن هذا التفسير يحتاج الى شىء أكثر ثباتا من مجرد اللجوء الى فكرة « القياس » analogy عند الطفل .

ولكن ترى ما القضايا الفلسفية التى آثارها تشومسكى ؟ يخيل الى أن فكرة العقلانية هى الفكرة الوحيده التى يمكن الوقوف حيالها وهى فكرة — كما يبدو لى — ليست على هذه الدرجة من القوة التى تصورها

تشومسكى ، إذ هى تقوم ـ كما رأينا من قبل ـ على دعوى وجـود أصول ومبادىء منطقية كلية لبناء الجمل فى اللغات الطبيعيـة وصدد هذا يقول : « إن اللغة المصطنعة تعتدى عند بنائهـا على حرمه المبادىء والأصول الكلية ولذا لايمكن تعلمها البته أو على الأقل لايمكن تعلمهـا بسهولة ويسر كما يتعلم الطفـل العادى اللغـة الانسانية (انظـر (The listener 30 May 1968 p. 68a. وهذا الفرض الذى أشار اليـه تشومسكى فى الفقرة السابقة لايمكن اخضاعه للتحقيق التجريبى اذ من المستحيل ـ عمليا ـ تربية طفل منذ مولده دون أن يحصـل على أى معرفة بأية لغه طبيعية البته ، ومـن ثم يتعرض لسماع هـذه اللغـة الاصطناعية دون أى تأثير من اللغات الطبيعية ثم كيـف يمكن القيام بمثل هذه التجربة النفسية أو المضى فيهـا وهى لن تقـدم أو تأخر فى الموضوع المراد اثباته .

وحتى لو سلمنا جدلا بأن هذه الأصول والمبادىء المنطقية التى ينادى بها تشومسكى هى أصوله كلية أى موجودة فى جميع اللغات التى يتكلم بها البشر فهل يسوغ لنا ذلك التسليم بأنها موجودة على نحـو متميز ومتجانس فى العقل الانسانى أيضا بحيث يجب أن تخضع لهـا أى لغة انسانية نتصورها ؟ .

الحقيقة أننا مادمنا غير قادرين أن نثبت ـ بعد ـ أن اللغات التى تنتهك حرمة هذه الأصول والمبادىء لايمكن تعلمها أو استخدامها فمن حقنا أن نمسك عن قبول مايذهب اليه تشومسكى من «فطرية» فى هذه المبادىء والأصول المنطقية ، اذ لعلنا قد نجد تفسيرا جـديدا لوجود هذه المبادىء والأصول فى جميع اللغات كـأن تكون اللغـات الانسانية منحدرة من أصل واحد مشترك كان يجمعها فى الماضى السحيق ثم احتفظت

كل لغة ببعض هذه الأصول أو كلها (١) •

على أى حال ، سواء أكانت اللغات الأنسانية الموجودة منحدرة من أصل واحد غير معروف أم لا ، فاننا بلا شك — نواجه فرضا يبدو من المستحيل اثباته وان كان من المحتمل حدوثه •

ولأن علم اللغة يعد الآن علما تجريبيا الى حد بعيد ، يسعى الى بناء نظرية حول تركيب اللغة الانسانية فمن واجب علماء اللغة بل من

---

(١) ناقش تشومسكى هذه الفكرة فى كتابه « اللغة والعقل » (ص ٧٤ — ٧٥) حيث قال ان ذلك التفسير من قبل سوء الفهم الشديد للفكرة المطروحة على بساط البحث لأن فكرة الأصل المشترك لاتؤدى الى تفسير الطريقة التى يستطيع بها الطفل اكتشاف القواعد النحوية لأى لغة من خلال المادة اللغوية التى يسمعها •

والواقع أن تلك ليست القضية التى طرحت فكرة الأصل المشترك من أجلها كتفسير لوجود الأصول المنطقية فى اللغات ، لأن تشومسكى عندما افترض أن هذه الأصول فطرية انما كان يريد أن يعتمد فى ذلك على حل مشكلتين فى آن واحد هما :

(أ) كلية وشمول هذه الأصول اذا كانت موجوده أصلا لكى تكون عامة وشاملة بعد ذلك •

(ب) نجاح الطفل فى تكوين وبناء قواعد لغته الوطنية على هدى من الكلام الذى يسمعه من حوله والشق الثانى هذا الذى اهتم به تشومسكى أكثر من الأول ولذا نراه يقول « ان اللغة تكتشف فى كل مرة تتعلم فيها والمشكلة العملية التى تواجه نظرية التعلم هى كيف يتم هذا الكشف فيما يتصل بالقواعد النحوية » ؟

(المؤلف)

الضرورى أن يتعاونوا فى اطار دراسة هذه الأصول والمبادىء المنطقية الكلية بحيث يمكن التحقق من وجودها فى كل اللغات أو بعضها • وأنـا أعتقد أن تشومسكى كان على حق حينما قال ان تنوع واختلاف طرق التركيب فى اللغات الانسانية ظاهرة غير غريبة كما أدعى ذلك البنيويون stucturalists بل على العكس فاننا مازلنا نفتقر الى الدراسة الوصفية الكاملة للغات الانسانية لأن عدد اللغات التى تمت دراستها دراسة وصفية تفصيلية مايزال قليلا • وصدد هذا سنجد أن معظم الدراسات النحوية الحديثة متأثرة فى كثير من جوانبها تأثيرا مباشرا بأعمال تشومسكى وهو مايعطى دفعة قوية وتأييدا واسعا لهؤلاء الذين يشايعون فكرة الأصول النحوية الكلية التى تحكم اللغات المختلفة ولكن النتائج التى أسفرت عنها هذه الدراسات مازالت — حتى اليوم — نتائج غير نهائية ، ولابد أن نعى ذلك حقا وبخاصة عندما يستخدم الدليل اللغوى فى المناقشات الفلسفية •

ولعله من المعروف الآن أن بعض الاتجاهات الفلسفية المتصارعة قديما قد فقدت كثيرا من حدتها اليوم مثال ذلك العقلانية فى مقابل التجريبية والغريزة مقابل التعلم والعقل مقابل الجسم والوارثة مقابل البيئة وهكذا حيث نجد مصداقا لذلك فى الدراسات المعاصرة حول المقارنة بين سلوك الانسان والحيوان التى ترى أن السلوك الذى يوصف — عادة — بأنه سلوك غريزى يحتاج الى شروط بيئية يجب توافرها أثناء فترة النضج بحيث يصبح من الصعب أن ترجح هل هو سلوك فطرى أم مكتسب عن طريق التجربة والتعلم وهذا يعنى أن الغريزة والبيئة كلاهما ضرورى وأن احداهما لاتغنى عن الأخرى وبرغم أن تشومسكى يضع نفسه مع العقلانيين الا أنه لايريد أن يخضع لهذا التراث الفلسفى المتعارض حول العقل والجسم ولذا فهو يحدد موقفه — فيما يبدو — من قضية معرفة اللغة على أساس أن ارهاصات هذه المعرفة عند الطفل وان كانت فطرية الا أنها تحتاج الى شروط بيئة معينة أثناء فترة النضج • وانطلاقا من ذلك نستطيع أن نقدم فرضا

بديلا للفرض الذى قدمه تشومسكى وهو أن معرفة الأصـول الكليـة والمنطقية ، للغة ليست فطرية كلية وانما هناك عامل آخر ، تمثل فى البيئة الصالحة التى تتفاعل مع هذه الأصول الفطرية بحيث تؤدى فى النهايـة الى تكوين القدرة اللغوية (١) وهو فرض عقلى أيضا لأنه يتعارض مع اتجاه المذهب التجريبى المتشدد الذى لم يبق من أنصاره الا القليـل لأن كثيرا من علماء النفس والفلاسـفة يسلمون بأن بعض الملكـات العقلية يختص بها الانسان وحده دون بقية المخلوقات ولايمكن تحديد هذه العوامل أو التعرف عليها الا من خـلال البيئة والبيولوجى معا ، وان كان بعضـهم يفضلون الاستعمل عبارة « ملكه عقلية » mental faculty فى هذا المقام • ولابد أن نعترف — مرة أخـرى — بعـدم وجود أى دليل يفضله من يطلقون على أنفسهم اسم التجريبيين يوضح أو يثبت أن الفرض الهزيل الذى يذهبون اليه فرض صحيح ، وليس معنى هذا أننى أدعى أن تشومسكى كان على خطأ وانما أريد أن أقول أن ماذهب اليه يحتاج الى دليل حاسم • والحقيقة اننا اذ ننقد رأى

---

(١) لم يقتنع تشومسكى بهذا الفرض وقال انـه لايرى فيه فرضـا بديلا حقيقا ولكنه سلم بأن البيئة المناسبة ضرورية لنضج القدرة التركيبية الفطرية عند الطفل (انظر المظاهر Aspects ص ٣٣ — ٣٤) ويرى أن اتخاذ أى قرار فى الطريقـة التى يطبق بها مصطلـح «المعرفة» على ناحية غير معروفة تماما فيه مخاطرة ثم يقترح بعد ذلك أنه كان ينبغى على أن أوضح أن بعض التجريبيين المتشددين لايقبلون فرضا خلوا من المحتوى التجريبى — أى لم يختبر تجريبيا الا أن من التجريديين يقبلون بشكل عام الفرض الذى يحتوى على أدلة يمكن اثباتها والا كان فرضا بلا معنى حتى وان كانت هـذه الأدلة ليست محايدة كلية اذا قورنت بأدلة أخرى يمكن أن نتصورها صدد هذا • وأنا لاأريد أن أوحى بأن نقـدى لفرض تشومسكى هذا بأنه فرض بلا معنى أو فرض فارغ انما أردت فقط أن أوضح هذه النقطة وأحددها • (المؤلف)

تشومسكى بأنه يفتقر الى دليل حاسم من حيث اعتماده على النظرية العقلية فان هذا لايعني مطلقاً أن رأيه هذا لا أهمية له وانما يكفى أنه أثبت أن القدرة على التكلم بلغة ما تدل على أن المتكلم يملك — سواء بالفطرة أو بالتعلم — عددا من القواعد التحويلية الدقيقة قادرة على العمل على انتاج الجمل وصياغتها وتحليلها ومن ثم تستطيع الاحتفاظ بالتراكيب العقلية المجردة ، وهو فرض لايحتوى على شيء غير علمي ، وكل هذا يعد في ذاته أنجازا علميا لاسبيل الى انكاره كما أنه يقف بحزم ضد رأى شاع بين بعض علماء النفس واللغة ، وربما أيضا بين فلاسفة العلوم منذ فترة قصيرة لعدم قبول أى نظرية تذهب الى ماوراء المادة المدروسة •

ولاشك أيضا فى أن تشومسكى كان محقا عندما تحدى الرأى القائل بأن العقل ليس الا عضوا بسيط التركيب أكثر من أى عضو آخر من أعضاء الجسم وأن الفروض البسيطة تكون دائما كافية لتفسير الظواهر التى توضع من أجلها •

ومهما يكن من أمر فان هذا الكتاب غير مناسب سواء من ناحية حجمه أو طبيعته أو امكانياته لعرض نقد مفصل من وجهة نظر عالم للغة لنظرية تشومسكى فى النحو التحويلى (١) ولكن ذلك لايحول دون أن أعلن عن اغتباطى بأمرين فى هذه النظرية :

أما الأول فهو التفرقة التى وضعها تشومسكى بين القدرة والأداء

---

(١) القارىء الذى يرغب فى معرفة المزيد حول ذلك عليه الرجوع الى عرض ونقد ماتيوس Mathews لهذه النظرية فى :
Mathews, P.H. Review of chomsky's Aspects of the theory of syntax, in Journal of linguistics, Vol. 3 (1967) PP. 119 - 152.
(المؤلف)

وهو ماذكرته فى الفصلين الرابع والتاسع ، ولاشك أن هذه التفرقة لها أهميتها فى علم اللغة سواء من الناحية النظرية أو المنهجية ولكن ذلك لايحول أيضا دون أن أقول أن تشومسكى كان أحيانا يصف بعض العوامل على أنها من الآداء بينما هى تدخل فى اطار القدرة .

وأما الأمر الثانى فقد يتصل بالتفاصيل أكثر من الأول حيث نجد أن بعض علماء اللغة يميلون غالبا الى اصدار بعض الأحكام الاعطباطية على الطريقة التى يصفون بها المادة اللغوية كأن يقول مثلا ان هذا وصف طبيعى أو غير ذلك بل أننا قد لانعرف أحيانا هل يرجع هذا الاختلاف فى الحكم الى طبيعة المادة اللغوية نفسها أم يرجع الى اختلاف الفكرة والمصطلحات .

ولست أشك فى أن هذين الأمرين فى حاجة الى دراسة مسهبة فى ضوء التطورات المعاصرة فى علم اللغة . واليك المثال التالى فيما يتصل بالفرق بين القدرة والآداء يقول تشومسكى فى كتابه « المظاهر » (ص٣):

« ان النظرية اللغوية تهتم — أولا — بالمتكلم المستمع المثالى فى أى مجتمع متكلم كامل التجانس ، حيث يعرف هذا المتكلم المستمع لغة ذلك المجتمع معرفة تامة دون أن يتأثر بأى ظواهر أخرى مثل قصور الذاكرة أو الحيرة أو تشتت الانتباه أو الأخطاء ... الخ وذلك عندما يطبق معرفته بالنظام اللغوى فى صورة آداء فعلى » .

ولكن مما يؤسف له أن تشومسكى قد استخدم مصطلح الآداء لكى يدل على كل شىء لايقع فى اطار فكرة القدرة من حيث هى فكرة مثالية ومحددة نظريا ، وهو مالم يقره كثير من الباحثين وأنا معهم فى ذلك ، وكان من الأفضل عندى أن تكون فكرة الآداء اللغوى مقصورة على انتاج وتفسير الجمل فى ظروف معينة من الاستعمال اللغوى ، أما فكرة المثالية فى المجتمع اللغوى الكامل المتجانس وكذا مفهوم تشومسكى للغة على أساس أنها عبارة عن نظام من الجمل ، فكان لابد

من وضع حدود أخرى لسها غير مصطلح الأداء غير أن ذلك لايترتب عليه اصطلاحيا أن تصور تشومسكي للمثالية لأمر شاذ أو عمل غير مشروع — وأنا شخصيا لا أظن ذلك — ولكن تبعة تحديد الفروق الاصطلاحية بين الأداء في ظروف معينة والأداء المثالي تقع على عاتق علماء اللغة من حيث الفروق الأسلوبية واللهجية بما لها أيضا من صلة بالعوامل الاجتماعية والسياقية ومجال هذا كله هو علم اللغة الاجتماعى Sociolinguistics وفى هذا يقول ديل هايمز Dell Hymes وهو أحد علماء اللغة الذين اهتموا بفكرة الأداء وتوسعوا فيها :

« ان الطفل الذى يستطيع أن ينطق بأى عدد من الجمل أو بجميع الجمل الصحيحة نحويا قد يصبح وحشا اجتماعيا Social monster (Foundation of Sociolinguistics, p. 75) وهذا حق لايستطيع تشومسكى أن ينكره والا أنكر الآثار الاجتماعية للاختلافات اللهجية والأسلوبية ومع ذلك فهناك وجهات نظر متعددة ومختلفة فى هذا الصدد فبينما يرى بعض علماء اللغة ضرورة احترام الاختلاف اللهجى والأسلوبى يرى تشومسكى أن دراسة الخصائص المميزة للغة الانسانية يمكن أن تتم بغض النظر عن الاختلافات الاجتماعية والسياقية — وأننا لنرى أنه ليس هناك مايحول دون ذلك — ولعل هذا ما جعل بعض علماء اللغة — ولا أظن أن تشومسكى منهم — يطبقون بعض القواعد النحوية على مادة لغوية نشك فى صحتها من حيث الاختلاف اللهجى والأسلوبى ولكنهم عندما يواجهون بذلك يلجئون الى نوع من المناورة لتبرير ذلك أى بأى اللهجات نبدأ الدراسة بلهجتى أم بلهجتك ومعنى هذا أن اهتمامهم منصب على تحقيق المادة اللغوية دون المبادىء المثالية فى ذاتها وهو موقف غير صحيح . وكان لابد لى من أن ألفت النظر الى ذلك نظرا لما طرأ من تغير على موقف علماء اللغة من حيث الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والسلوكية فى اللغة دون الجوانب النحوية الطبيعية التى كان اهتمامهم محصورا فيها من قبل ، ولذلك نجد أن علم اللغة

الاجتماعي لكي يحقق أهدافه من الدراسة اللغوية يأخذ بما يراه الجوانب الايجابية من مثالية تشومسكي والواقع أن كل أتجاه من هذه الاتجاهات المختلفة يحتوى على قدر من العقلانية والمثالية شأنه فى ذلك شأن جميع العلوم التجريبية التى قد تختلف ولكن لكل منها وجهة نظره الصحيحة وحقه فى الوجود وهو أمر يتصل أكثر ما يتصل بالأختلاف حول المصطلح والأفكار • وكما رأينا فى الفصل السابق هناك عدد من التعديلات طرأت على النظرية التوليدية كما اتضح ذلك عند التشومسكيين ومن بعدهم ولكن تشومسكي يرى أن هذه الاختلافات حول النظرية ان هى الا اختلافات محلية أى ترتبط باختلافات البيئات الوطنية ولست أدرى مدى صحة هذا الزعم لانه من الصعوبة أن نتبين فى نظامين نحويين قائمين على نظرية واحدة أيهما الأقوى وأيهما الأقل قوة أو الأضعف ولكن اذا استطاع كل نظام منهما أن يولد عددا من من الجمل ترجع جميعا الى منهج وصفى واحد عند دراسة تركيبها حينئذ نقول أن النظامين متعادلان •

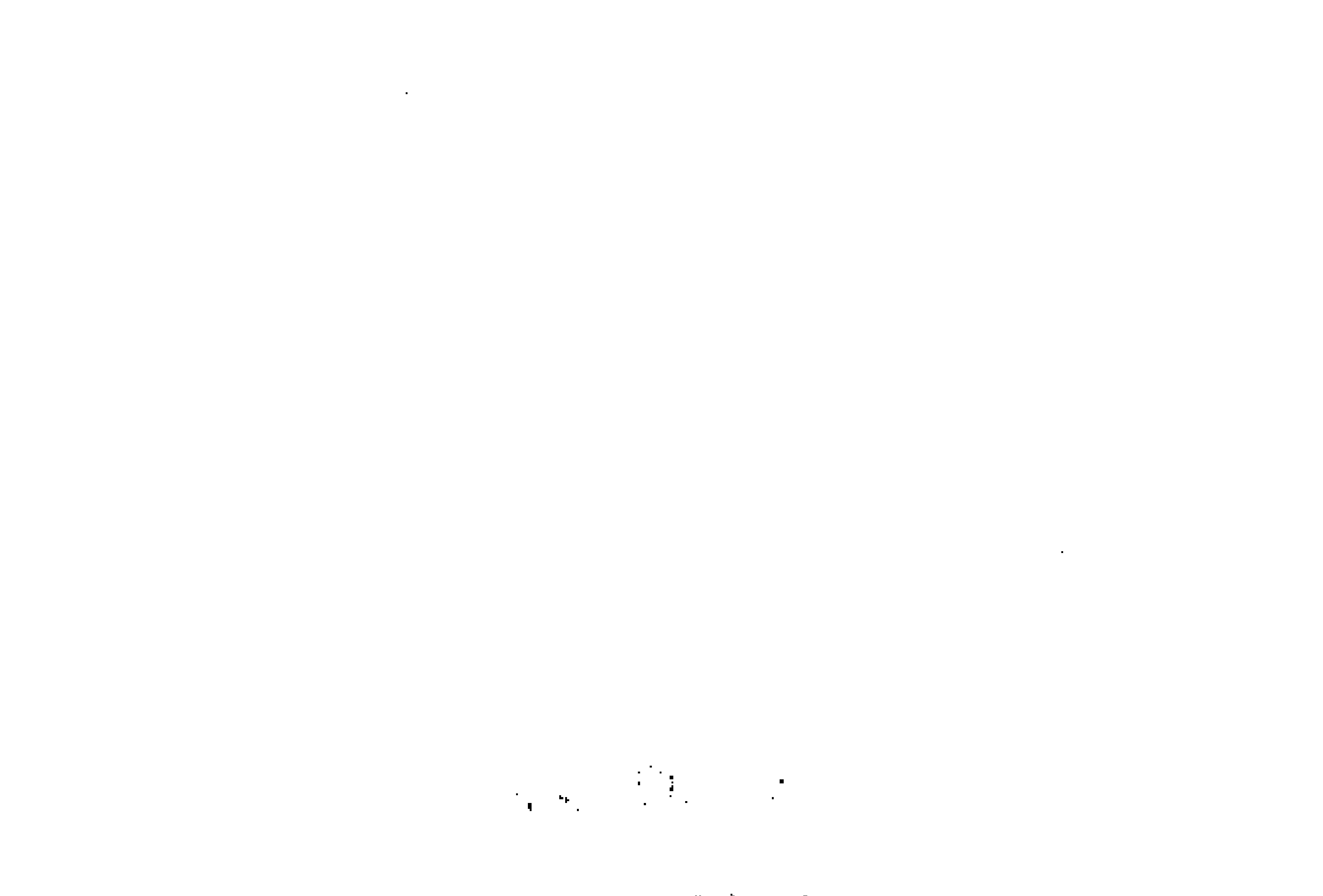
غير أن كثيرا من العلماء قد يختلفون حول مفهوم الصورة المنطقية لتركيب الجملة ومعنى هذا انه اذا لم يتفق هؤلاء العلماء حول قضايا المصطلحات والاختلافات المحلية ما معناها وما حدودها فان كل هذا لن يؤدى الى الثمرة المرجوة ولعل بعض المناقشات التى دارت بين تشومسكي وبعض العلماء الذين يفضلون صورا وأشكالا أخرى من النحو التوليدى تحمل هذا الطابع من الاختلافات حول المفاهيم والمصطلحات ، ومعنى هذا أن بعض علماء اللغة الذين قد يؤيدون تشومسكي تراهم يختلفون معه فى بعض القضايا الأخرى ، ناهيك بهؤلاء العلماء الذين لهم اعتراضات أساسية على نظرية النحو التوليدى ذاتها•

ولقد أشرت من قبل أنه لابد من أن يأتى يوم تنهار فيه نظرية تشومسكي هذه على يد عدد من العلماء الذين يرون أنها غير ملائمة لدراسة ووصف اللغات الانسانية ولكنى أعتقد ويشاركنى فى ذلك الاعتقاد

عدد من علماء اللغة ، ان هذه المحاولة التى قام بها تشومسكى اذا قدر لها يوما أن تسقط فان المحاولة فى ذاتها زادت من فهمنا وادراكنا بمـــا قدمته من أفكار وآراء ، ومن هنـــا فان الثورة التشومسكية لايمكن أن تكون الا ثورة ناجحة بما قدمته وحققته •

فهرس الألفـــاظ

والعبارات الاصطلاحية



فهرس الألفاظ والعبارات الاصطلاحية

(A)

abstract analysis	تحليل تجريدى
abstract verbal suffix	لاحقة فعلية مجرده
acceptable	مقبول
accusative	المفعولية (النصب)
active	مبنى للمعلوم
active words	كلمات نشطة
active declarative sentence	جملة خبرية مبنية للمعلوم
actual performance	آداء فعلى (آداء حقيقى)
acquiring	اكساب
additional expression	تعبير اضافى
adequate	ملائم
adjective	صفة
adult	بالغ
adverbial modifier	حال (ظرف واصف)
affirmative	مثبت (جملة مثبتة)
affirmative active sentence	جملة مثبته مبنية للمعلوم
agent	فاعل (عامل)
agentive	الفاعلية
agreement	مطابقة
alphabetic	الفبائى
ambiguous	غموض (لبس)
American Indian languages	اللغات الهندية الامريكية
American linguistic theory	النظرية اللغوية الامريكية
analogous	قياسى
analogy	قياس

animate	حي
anthropologist	انثربولوجي (عالم انثربولوجيا)
apparatus	آلة (جهاز)
applicable	صالح للتطبيق (قابل للتطبيق)
application grammar	النحو التطبيقي
aquisiton of language	اكتساب اللغة
arbitrary	اصطلاحي (عشوائي)
article	أداة
artifical language	لغة مصطنعة (لغة غير طبيعية)
artistic creation	خلق فني
audible speech	كلام مسموع
automata theory	نظرية العمل الآلي(النظرية التلقائية)
autonomy	مستقل (ذاتي)
auxiliary element	عنصر اضافي (عنصر مساعد)
auxiliary transformation	تحويل مساعد
(B)	
babbling stage	مرحلة البأبأة
base component	قاعده أساسية
base rule	عنصر أساسي (مكون أساسي)
basic research	بحث أصولي (بحث الاصول العامه)
behaviour	سلوك
behaviouricist	عالم سلوكي
behaviourism	السلوكية (المذهب السلوكي)
behaviourist psychology	علم النفس السلوكي
biologist	عالم أحياء (أحيائي)
Bloomfieldians	البلومفلديون (أتباع بلومفيلد)
bracketing	التقويس (وضع الاقواس)

(C)

Capacity	الطاقة (القدره)
case grammar	قواعد الحالة النحوية
categorial grammar	قواعد التصنيف النحوى
categories	تصنيفات (مقولات)
Causation	تعليل
Causative consttruction	تراكيب مسببة
Causative verb	فعل مسبب
Characteritic	مميز
Child language aquisition	اكتساب الطفل اللغة
Chomskyan	التشومسكيون
Chomskyan revolution	الثوره التشومسكية
Civilized language	لغة متحضرة
Classify	يصنف
Clausel Sentence	شبه جمله (جمله صغرى)
Clause correspondence	تبادل محكم (رابطة محكمة)
Code	شفرة (رمز)
Common deep structure	التركيب العميق المشترك
Communication	اتصال
Communication system	نظام اتصال
Compatibility	توافق
Competence	قدره (القدرة اللغوية)
Completely homogeneous	تجانس كامل
Complex sentence	جملة مركبة (جملة معقده)
Compound Sentence	جملة كبرى (جمله مركبه)
Computer	حاسب آلى (كومبيوتر)

Computer scientist	عالم الحاسب الآلي(عالم الكومبيوتر)
Concord	توافق
Conditioning	الشرط (فى علم النفس)
Congnitive psychology	علم النفس الادراكى
Conjoining	الربط (العطف)
Constituents	عناصر (مكونات)
Constituents structure	عناصر تركيبيه (المكونات التركيبية)
Constructional homonymity	الترادف التركيبي
Context	سياق
Context free grammars	القواعد النحوية الحرة السياق
Context sensitive rule	قاعدة الشعور السياقي
Contextual information	معلومات سياقية
Contiuous	مستمر
Correctness	الصحة اللغوية
Creativity	ابداعية
Critieria	معيار
Critical limit	الحد الحرج (المدى الحرج)
Critical test	اختبار نقدى (اختبار دقيق)
(D)	
data	مادة (مادة لغوية)
dative	المفعول غير المباشر
deaf and dumb	الصم البكم
declarative sentence	جملة خبريه
deductive theory	نظرية استقرائية (نظرية استدلالية)
deep stucture	تركيبه عميق (بنية عميقة)
definite article	اداة تعريف
dependency	تبعية

dependency grammar	القواعد اليحوية للتراكيب التابعة
depth hypothesis	فرضية العمق (نظرية العمق)
derivation	اشتقاق
derived	مشتق (اشتقاق)
description	وصف
descriptive	دراسة وصفية
descriptive science	علم وصفى
design features	ملامح محدده
designer	مصمم (واضع التصميم)
determinism	الحتمية (المذهب الحتمى)
device	جهاز
dialect	لهجة
definite	معرفه (معرف)
discipline	نظام (منهج)
discovery	كشف (اكتشاف)
discovery Procedures	اجـراءات كشـفية (اجـراءات استكشافية)
discrete units	وحدات منفصلة
discreteness	تمفصل
distinct message	رسالة غريزية
distinctions	فروق (فروق متميزه)
distortion	تحريف
duality of structure	ثنائية التركيب

(E)

entity	كينونه
entity expression	تعبير عن الكينونة
enviroment	بيئة
embedded	مندمجة (متضمنه)

embedded seutence	جملة مندمجة (جملة متضمنة)
embeding	اندماج (تضمين)
emotion	عاطفة (شعور)
empirical	تجريبي
empirical science	علم تجريبي
empiricism	المذهب التجريبي
empiricist	عالم تجريبي
error	خطأ
evaluation	تقويم
evalution procedure	إجراء تقويمي
explanation	تفسير (شرح)
external stimuli	مثير خارجي
(F)	
Faculties	ملكات (قدرات)
Faculty of speech	القدرة على الكلام (القدرة الكلاميه)
Features	ملامح (سمات)
Final state	حالة نهائية
Finger spelling	الهجاء بالأصابع
Finite	محدود
Einite number	عدد محدود
Finite state grammar	حالة القواعد النحوية المحدود (القواعد النحوية المحدوده)
Finit state languuge	لغة ذات قواعد محدوده
First auxiliary verb	الفعل المساعد الأول
Formal	منطقي (صوري)
Formal language	لغة منطقية
Formal limitations	قيود منطقية (حدود منطقية)

Formal logic	المنطق الصورى (المنطق الشكلى)
Forme properties	خصائص منطقية
Formal represntation	التمثيل المنطقى (الصورة المنطقية)
Formation rules	قواعد البناء (قواعد الصياغة)
Formal semantics	علم الدلالة المنطقى (الدلالة المنطقية)
Formal system	نظام منطقى (نظام صورى)
Formal universals	الاصول المنطقيه الكلية
Formula	معادلة
Free word order	ترتيب الكلمات ترتيبا حرا (ترتيب

(G)

generalization	تعميم
generalized transformations	تحويلات عامة
general principles	أصول عامه (مبادىء عامه)
general theory	نظرية عامه
generate	يولد
generative capasity	الطاقة التوليديه(المقدره على التوليد)
generative grammar	النحو التوليدى (القواعد النحوية التوليدية)
generative rules	القواعد التوليديه
generative semantics	علم الدلالةالتوليدى(الدلالة التوليديه)
generativists	علماء النحو التوليدى (التوليديون)
geneiic	وراثى
genetic transmissom	انتقال وراثى (انتقال بالوراثه)
genitive	حالة الاضافة (الجر)
Germanic philology	الفيلولوجيا الجرمانية

govern	عمل (يعمل نحويا)
grammatical	صحيح نحويا
grammaticality	الصحة النحوية (الصحيح نحويا)
grammatical model	نموذج نحوى (طراز نحوى)
grammatical sentence	جملة صحيحة نحويا
grammatical structure	تركيب صحيح نحويا
grammatical subject	الفاعل النحوى
grammatical theory	نظرية نحوية
grammar	النحو (القواعد النحوية)

(H)

habit	عادة
hearer	سامع
heredity	وراثه
hesitation	تردد
holophrstic stage	مرحلة الكلمة الجملة
human	بشرى (انسانى)
humanistis	عالم انسانيات
humanities	انسانيات (دراسات انسانية)

(I)

idealization	مثالية
idealized description	دراسة وصفية مثالية (وصف مثالى)
ideal speker listener	المستمع المتكلم المثالى
ill formed	تركيب غير صحيح
immediate constituents analysis	التحليل الى المكونات المباشرة
inanimate	جماد (غير حى)
inaudible	غير مسموع
inborn knowledge	معرفة فطرية

included	متضمن
inconsistency	عدم ثبات (عدم اتساق)
incorrect	خطأ
indefinite	غير محدد (نكرة)
indigenous languages	لغات محلية
indirect object	المفعول غير المباشر
inductive generalization	تعميم استقرائي
infinite	غير محدود (لا نهائي)
inflected	معرب
inflected languages	لغات معربة
informant	راوية
information theory	نظرية المعلومات
initial element	عنصر مبدئي (عنصر أولي)
innate	فطري
innate ideas	افكار فطرية
innate properties	خصائص فطرية
input	المعلومات الداخله (مدخل)
instinctual	غريزي
instrument	اسم الآلة
intellectual depth	العمق العقلاني
intensity	شدة الصوت
interdependent word	كلمة تابعة متبوعة
internal state	حالة داخلية
interpretive	تفسيري
interpretivist	التفسريون (المفسرون)
interpretivist theory	نظرية تفسيرية
interrogative	استفهام

interrogative sentence	جملة استفهامية
intonation	تنغيم
intransitive	لازم
intuition	حدس
italic	الكتابة المائلة
(J)	
judgements	أحكام
justification	مسوّغ
(K)	
kernel sentence	الجملة النواة (الجملة الأساسية)
(L)	
language acquisition	اكتساب اللغة
language acquisition device (LAD)	جهاز لاكتساب اللغة
language faculty	ملكة اللغة (الملكة اللغوية)
language learning	تعلم اللغة
language performance	أداء اللغة
language processing	ممارسة اللغة
language use	استعمال اللغة
larger phrase	عبارة كبرى (جملة كبرى)
laws of association	قوانين الترابط (قوانين التداعي)
learning theory	نظرية التعلم
left hemisphere	الشق الأيسر من المخ
length	طول
letter	حرف كتابي
lexicalization	تحديد المعنى المعجمي (وضع المعنى في كلمات)
lexicon	معجم
linear structure	تركيب طولي

linguist	عالم لغـــه
linguistics	علم اللغة
linguistic competence	قدرة لغوية
linguistic evidence	حجة لغوية (شـاهد لغوى)
linguistic school	مدرسة لغوية
linguistic theory	نظرية لغوية
list	قائمة الفاظ
literary critic	ناقد أدبى
literary criticism	النقد الأدبى
location	الموقعية (ظرف المكان)
locomotion	حركة
logical structure	تركيب منطقى
logical subject	فاعل منطقى
logicians	المناطقة (علماء المنطق)
logographic	لغة تصـويرية
long term memory	ذاكرة طويلة المدى
loose	فضفاض
(M)	
malfunctioning	عجز
manual - visual	بصرية يدوية (وسـائل يدويه بصرية)
mathematical	رياضى
mathematical analogy	قياسى رياضى
mathematical description	وصـف رياضى
mathematical linguistics	علم اللغة الرياضى
mathematical psychology	علم النفس الرياضى
mathematical rigour	دقه رياضية
mtric sentence	الجملة الأصل (الجملة الام)

meaning	معنى
mechanism	المذهب الآلي (الآلية)
mechanistic	آلي
medium	وسط
memory	ذاكرة
memory limitation	قصور الذاكرة (ذاكرة ضعيفة)
mental	عقلي (ذهني)
mental faculty	عامل عقلي
mentalistic	عقلاني (عقلي)
mental phenomena	ظاهرة عقلية
mental process	عملية عقلية
mental representation	التمثيل العقلي
mental schemata	البرمجة العقلية
method	منهج
methodological	منهجي
mispronunciation	نطق غير صحيح (نطق خاطيء)
mistake	خطأ
model	نموذج (طراز)
modern formal logic	منطق حديث (علم المنطق الحديث)
modern linguistics	علم اللغة الحديث
modifying	تعديل
morphology	مورفولوجيا (علم الصرف)
morphophonemic rules	قواعد مرفولوجية فونيميه
movement	حركة اعراب

(N)

nasality	غنة
native language	لغه وطنية

native speaker	ابن اللغة
native speaker ability	قدرة ابن اللغة (القدره اللغويــة لابن اللغة)
nativism	فطرية
natural language	لغة طبيعية
naturally	عفوى (طبيعى)
negation	نفى (تناقض)
negative	نفى (جملة منفية)
negative passive sentence	جملة منفية مبنية للمجهول
Neo - Bloomfieldian	البلومفلديون الجدد
neutral	محايد
nominative	حالة الفاعلية (حالة الرفع)
non - adjacent word	كلمه غير عاملــه (كلمة مستقلة) (كلمة غير تابعة)
non - generative	غير توليدى
non - instinctive	غير غريزى
non - kernel sentence	جملة فرعية (جملة غير اساسية)
non - sentence	ليست جمله (لا جملة)
non - standard theory	نظرية غير أصيلة
non - stylitic	غير اسلوبى
non - symbolic	غير رمزى
normative grammar	قواعد نحوية معياريه (نحو معيارى)
noun phrase (NP)	مركب اسمى (ركن اسمى)
number transformation	رقم التحويل (رقم القاعدة التحويلية)

(O)

object	مفعول به
objective	موضوعى

objectivity	موضوعية
obligatory	اجباري
observations	ملاحظات
open - endedness	غير محدود (لانهائي)
operant - conditioning	مؤثر شرطي
operational techniques	طرق شبه (طرق اجرائية)
optional	اختياري
optional transformational rules	قواعد تحويلية اختيارية
organism response	استجابة عضوية
orthographic form	صورة كتابية (بنية كتابية)

(P)

Passive	مبني للمجهول
passive registration	تسجيل سلبي
passive word	كلمة خامله (كلمة غير مستعملة)
permutation	تبادل
personality	شخصية
philosophical system	نظام فلسفي (مذهب فلسفي)
philosophy of language	فلسفة اللغة
phoneme	فونيم
phonetic-represenation	التمثيل الصوتي (الصوره الصوتية)
phonological analysis	تحليل فونيمي (تحليل صوتي)
phonological component	عنصر فنولوجي (مكون صوتي)
phonological level	مستوى فنولوجي
phonological rules	قواعد فنولوجية
phonological structure	تركيب فنولوجي
phonological unit	وحده فنولوجية
phonological system	نظام فنولوجي

phonology	فنولوجيا (علم الفنولوجى)
phrase marker	واسم أركان الجملة
phrase structure grammar	قواعد تركيب اركان الجملة
physical basis	اصول طبيعية
physicalism	المذهب الطبيعي (المذهب المادى)
physiologcal apparatus	جهاز فسيولوجي(اجهزة فسيولوجية)
pitch	درجة الصوت
plural	جمع
post - chomskyan	(مابعد التشومسكيين)
practical events	أحداث عملية
pragmatic	نفعي
predicate	مسند (محمول)
predicate calculus	حساب المحمول
predispositons	نوازع (ارهاصات)
preposition	حرف جر
prescription	معيارية
prescriptive	معياري
prescriptive rules	قواعد معيارية
present	مضارع
presupposition	افتراض (فرضية)
primary level	مستوي اولي (مستوى ثانوى)
primary units	وحدات اولية
primitive language	لغة بدائية
principles	مبادىء (أصول)
produce	ينتج
production of sentences	انتاج الجمل
prouanciation	نطق (تلفظ)

pronouns	ضمائر
propositional calculus	حساب القضايا المنطقية
propositional uncleus	نواة الخبر (نواة القضية المنطقية)
psycholinguistics	علم اللغة النفسى
psychological complexity	تعقيد نفسى
psychological equipments	أدوات نفسية
psychological mechanism	عملية نفسية آلية
phychological models	نماذج نفسية
phychological theory	نظرية نفسية (نظرية فى علم النفس)
psychologist	عالم نفسى (عالم نفسانى)
psychology	علم النفس
punctuation	علامات ترقيم
(Q)	
qualitative	كيفى
quantification	تسوير القضايا المنطقية
quantified phrases	عبارات مسورة
quantifiers	اسوار القضايا المنطقية
quantitative	كمى
(R)	
racc	أرومه (جنس بشرى)
radically	ثورى (راديكالى)
range of sounds	سلسلة أصوات
rational	عقلى
rationalism	المذهب العقلى (عقلانية)
rationalist	عقلانى
rationalist hypothesis	فرض عقلى (فرض عقلانى)
rationalist tradition	تراث عقلى (عقلانية)

reaction	رد فعل
reason	علة (سبب)
reception	استقبال
recursive rules	قواعد متكررة
reflectiveness	تأمل (تفكير)
regional dialect	لهجه اقليمية
reinforcement	تعزيز
relative clause	صلة الموصول (جملة الصلة)
replacing	بديل (احلال)
representative sample	عينه نموذجية
response	استجابة
(S)	
sample	عينة
scientific	علمى
scientific description	وصف علمى
scientificness	العلمية
secondary units	وحداته ثانوية
self - embedding	مندمجة (جملة مندمجة)
semantic component	عنصر دلالي (مكون دلالي)
semantic data	مادة دلالية
semantic processing	عملية دلالية
semantic relationship	علاقة دلالية
semantic represntation	تمثيل دلالي (صوره دلالية)
semantic rules	قواعد دلالية
semantics	علم الدلالة
semantic structure	تركيب دلالي
semi - technical	شبه اصطلاحي

sensations	مشاعر (أحاسيس)
sense impressions	شعور انطباعي (انطباعات)
set of procedures	نظام من الاجراءات
sequences of phonemes	تتابع فونيمي (تتابع الفونيمات)
sequences of words	كلمات متتابعة (سلسلة كلمات)
shifts of attention	تشتيت الانتباه
short term memory	ذاكرة محفوظة (ذاكرة قصيرة المدى)
signal	اشارة
signalling code	شفره اشارية
signalling system	نظام اشارى
sign language	لغة اشارية (لغة الاشارة)
simple past tense	ماضي بسيط
simple sentence	جملة بسيطة (جملة بسيطة التركيب)
simplicity	بساطة
single element	عنصر مفرد
singular	مفرد
situation	موقف (مقام)
social dialect	لهجه اجتماعية
sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعي
speaker	متكلم
speculative	تخميني (تصورى)
speech	كلام
speech community	مجتمع لغوى (مجتمع متكلم)
speech organs	أعضاء النطق
spelling	تهجي (هجاء)
spoken language	لغة منطوقة
standard literary language	لغة فصحى

standard theory	نظرية أصيلة
standard truth conditions	درجة شروط الصدق (منطق)
state diagram	رسم بياني لحالة (لغوية)
stem	جذر (جذر الكلمة)
stimulus	مثير
stratificational grammer	النحو التقسيمي
stress	نبر
string consisting	سلسلة مؤلفة
string of elements	سلسلة من العناصر
structure dependent	تركيب تابع (تركيب غير مستقل)
structural ambiguity	غموض تركيبي (لبس في التركيب)
structural linguisties	علم اللغة البنيوى
structuralism	البنيويه (المذهب البنيوى)
structuralist	عالم بنيوى
independent structure	تركيب مستقل
style	اسلوب
stylistic	اسلوبي
stylistcs	علم الاسلوب
subclass	طبقة داخلية (تقسيم فرعي)
suffix	لاحقـــة
subject	المسند اليه (الفاعل)
subjective	ذاتي (غير موضوعي)
superficial	ظاهري (غير حقيقي)
supplanting	الحاق (اضافه)
surface features	مظاهر سطحية (ملامح سطحية)
surface structure	تركيب سطحي (بنية سطحية)
substive universal	اصول كلية ثابته (اصول ثابتة)

substitute response	استجابة بديلة
substitute stimulus	مثير بديل
substitution	ابدال (احلال)
symbol	رمز
symbolic logic	المنطق الرمزى
syntactic analysis	التحليل النحوى
syntactic class	طبقة نحوية (فئة نحوية)
syntactic function	وظيفة نحوية
syntactic level	مستوى نحوى لمستوى التركيب النحوى
syntactic peocesing	عملية نحوية
syntactic rules	قواعد نحوية
syntactic structure	تركيب نحوى
syntactic theory	نظرية نحوية
syntactic unit	وحده نحوية
syntax	نحو (تركيب)
system	نظام
systematic	منهجى
systemic grammar	نحو منهجى
system of communication	نظام اتصال

(T)

temporary storage	مخزون مؤقت
terminal elements	عنصر دائم (عنصر مستمر)
terminal string	سلسلة نهائية (سلسلة دائمة)
terminal symbol	رمز نهائى (رمز دائم)
terminological	اصطلاحى
theme	جذر (جذر الكلمة)

thematic	جذرى
themotic relation	علاقه جذرية
theoretical linguistics	علم اللغة النظرى
theory of grammar	نظرية نحوية
theory of language	نظرية لغوية (نظرية فى اللغة)
theory of semamtics	نظرية دلالية (نظرية فى علم الدلالة)
traditional	تقليدى
traditional grammar	نحو تقليدى (قواعد تقليدية)
traditional grammarians	النحاه القدماء (النحاة التقليديون)
transformation	تحويل
transformational analysis	التحليل التحويلى
transformational component	عنصر تحويلى (مكون تحويلى)
tr. ns-formatinal grammar	النحو التحويلى
transitive	متعدى (فعل متعدى)
tree diagram	الشكل الشجرى (رسم الشجرة)
truth conditions	شروط الصدق (فى المنطق)
two word stage	مرحلة النطق بكلمتين

(U)

ultimate constituents	مكونات جوهرية (مكونات اساسية)
unconscious	غير واع
underlying phrase marker	راسم أركان الجملة التحتية العميقة
underlying string	سلسلة تحتية (سلسلة عميقة)
ungramanatical	غير صحيح نحويا
unitary deep structure	تركيب عميق موحد
universal base hypothesis	نظرية القاعدة العامه (فرضية القاعدة الكلية)
universal grammar	القواعد النحوية الكلية (القواعد النحوية الشاملة)

universality	الكلية (أو الشمول)
universal phonetic features	ملامح صوتية كلية
(V)	
valency	تكافؤ
valency of the verb	تكافؤ الفعل
validity	صحة
verbal behavior	سلوك لغوى
(VP)	
verb phrase	تركيب فعلى (ركن فعلى)
vertical	رأسى
vocabulary	مفردات (ثروة لفظية)
vocal signal	اشارة صوتية
vocal auditory	سمعى بصرى (رضبالل سمعية بصرية)
voicing	جهر
variable	متغير
(W)	
weak equivalance	تعادل ضعيف
well formed	صحيح نحويا (جملة صحيحة)
written language	لغة مكتوبة

ملحق بمـــا كتب
حول نظرية تشومسكى باللغة العربية

[illegible]

[illegible]

ملحق بما كتب حول نظرية تشومسكى باللغة العربية

أولا : الكتب

١ ـ أحمد سليمان ياقوت (دكتور) فى علم اللغة التقابلى
الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ط • أولى ،
١٩٨٥ م •

٢ ـ داود عبده (دكتور) أبحاث فى اللغة العربية
بيروت ، مكتبة لبنان ، ط ـ أولى ، ١٩٧٣ م

٣ ـ رمضان عبد التواب (دكتور) المدخل الى علم اللغة
القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٢ م

٤ ـ زكريا ابراهيم (دكتور) مشكلة البنية
القاهرة ، مكتبة مصر ، ط • أولى ١٩٧٦ م

٥ ـ عبده الراجحى (دكتور) النحو العربى والدرس الحديث
الاسكندرية ، ط • أولى ١٩٧٧ م

٦ ـ محمد على الخولى (دكتور) قواعد تحويليه للغة العربية
الرياض ، دار المريخ ، ط • أولى ١٩٨١ م

٧ ـ محمود غالى (دكتور) أئمة النحاة فى التاريخ ، جدة ، دار الشروق
١٩٧٦ م

٨ ـ محمود فهمى زيدان (دكتور) فى فلسفة اللغة
بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥ م

٩ ـ محمود سليمان ياقوت (دكتور) التراكيب غير الصحيحة نحويا
فى كتاب سيبويه ، الاسكندرية ، دار المعرفـة الجامعية
١٩٨٢ •

١٠ — ميشال زكريا (دكتور) الألسنية التوليديه التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط • أولى ١٩٧٣ م

١١ — ـــــــــ الألسنية علم اللغة الحديث المبادىء والاعلام ، بيروت ، ١٩٨٣ م

١٢ — ـــــــــ الألسنية التوليديه التحويليه وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) بيروت ط • أولى ١٩٨٣

١٣ — ـــــــــ مباحث فى النظرية الألسنية وتعليم اللغة بيروت ، ط • أولى ، ١٩٨٤

١٤ — نايف خرما (دكتور) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد رقم ٩ ، ١٩٧٨ م

١٥ — نهاد الموسى (دكتور) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط • أولى ١٩٨٠ م

ثانيا : الدوريات :

١ — تمام حسان (دكتور) اعادة وصف اللغة العربية ألسنيا سلسلة اللسانيات ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية الجامعة التونسية ، العدد رقم (٤) عن اللسانيات واللغة العربية عام ١٩٨١ م ص ١٤٥ — ١٨٤ •

٢ — جون سيرل تشومسكي والثورة اللغوية مقال مترجم فى مجلة الفكر العربى التى تصدر عن

معهد الانماء العربى ، طرابلس — ليبيا العددان ٩٤٨ عام ١٩٧٩ م ص ١٢٣ — ١٤٣ .

٣ — داود عبده (دكتور) التقدير وظاهر اللفظ مجلة الفكر العربى ، معهد الانماء العربى ، طرابلس ليبيا العددان ٨ ، ٩ عام ١٩٧٩ ص ٦ — ١٦

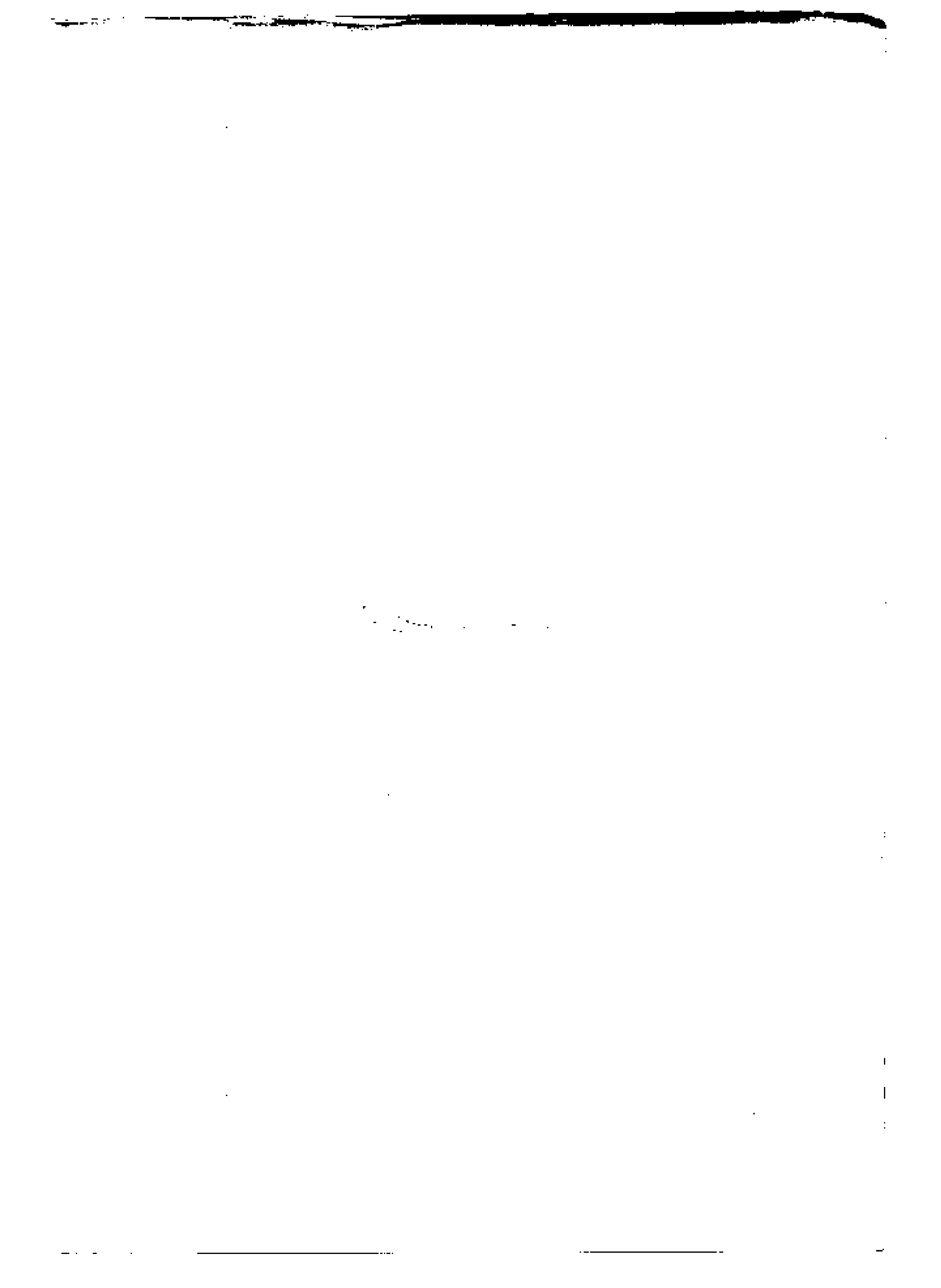
٤ — السعيد بدوى (دكتور) التراكيب النحوية مجلة « المجلة » ، المجلد العاشر العدد ١١٩ عام ١٩٦٦ م ص ١١٧ — ١٢٠ .

٥ — مازن الوعر (دكتور) النظريات النحوية والدلالية فى اللسانيات التحويلية التوليدية محاولة لسبرها وتطبيقها على النحو العربى . مجلة اللسانيات ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، جامعة الجزائر ، العدد السادس عام ١٩٨٢ م ص ٢٣ — ٦٥

٦ — ———— حول بعض القضايا الجدلية النظرية فى القواعد التوليدية التحويلية مقابله مع نعسوم تشومسكى ، مجلة اللسانيات معهد العلوم اللسانية والصوتية ، جامعة الجزائر ، العدد السادس عام ١٩٨٢ م ص ٦٦ — ٨٢ .

٧ — محمد عبد المطلب (دكتور) النحو بين عبد القاهر وتشومسكى مجلة فصول المجلد الخامس ، العدد الأول ١٩٨٤ م ص ٢٥ — ٣٦

محتويات الكتاب



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة